كاتب حقّقت رواياته مرتبة الأكثر مبيعاً على قائمة نيويورك تايمز

ستيفن كينغ

STEPHEN KING

في وقت لاحق

LATER

المكتبة الرقمية العربية

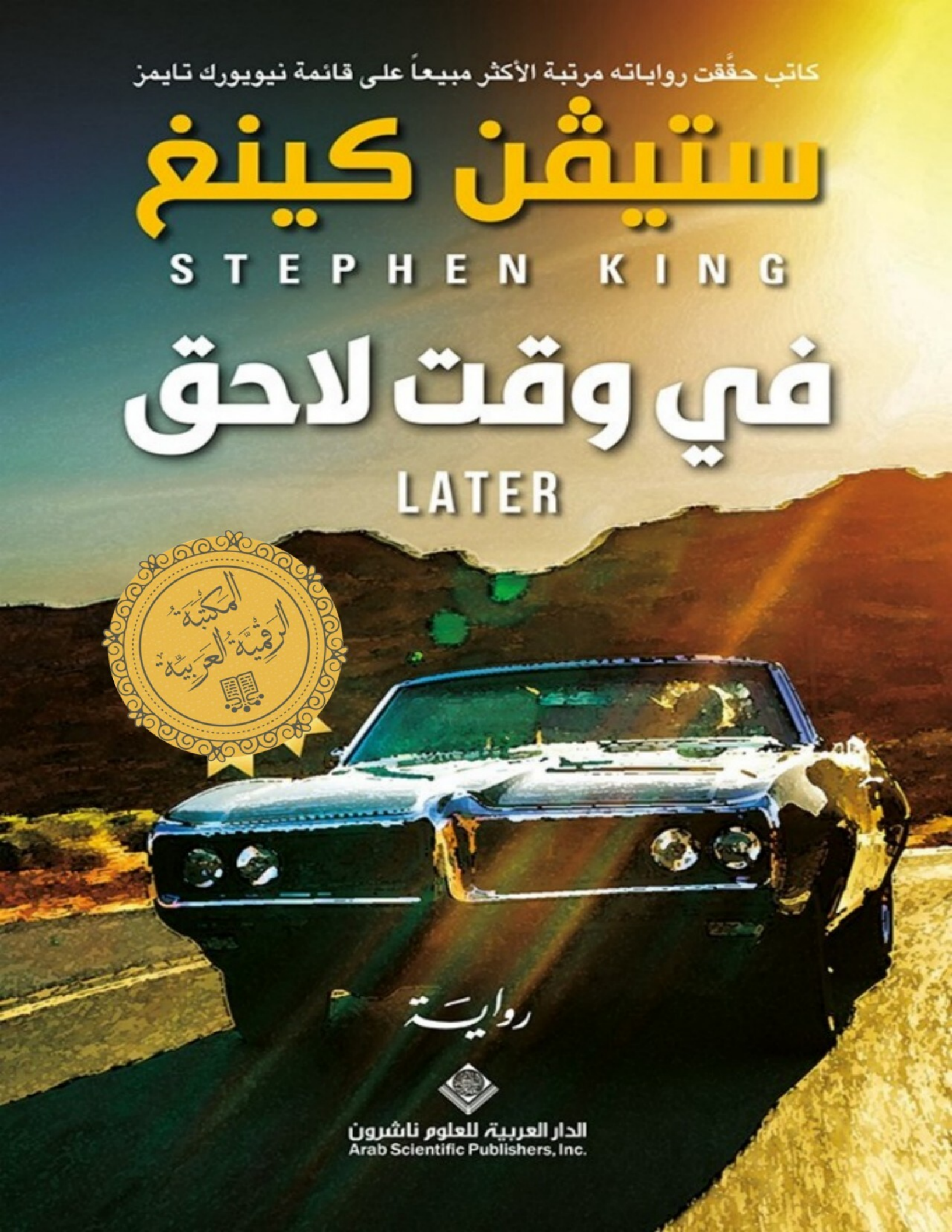

رواية

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

«المكتبة الرقمية العربية»

ستيفن كينغ
STEHRHEN KING
في وقت لاحق
LATER

كاتب حققت رواياته مرتبة الأكثر مبيعاً على قائمة نيويورك تايمز

ستيفن كينغ
STEHRHEN KING
في وقت لاحق
LATER

رواية

تعريب
منتدى فايز علمي

مراجعة وتحرير
مركز التعريب والبرمجة

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

Later

حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونيًا

Published by Hard Case Crime

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون

Copyright © 2021 by Stephen King

All rights reserved

Arabic Copyright © 2022 by Arab Scientific Publishers

الطبعة الأولى: حزيران/يونيو 2022 م - 1443 هـ

ردمك 978-614-01-3492-8

جميع الحقوق محفوظة للناشر

إصدار

الدار العربية للعلوم ناشرون م م ح

مركز الاعمال ، مدينة الشارقة للنشر

المنطقة الحرة ، الشارقة

الإمارات العربية المتحدة

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

التوزيع في المملكة العربية السعودية
دار إقـــراء للـنـشـــر

جوال : 0585597200 - داخلي : 971-585597200+

هاتف :(+961-1)785107-785108-786233

البريد الالكتروني: asp@asp.com.lb

الموقع على شبكة الانترنت : http://www.asp.com.lb

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات ، واسترجاعها دون إذن خطي من الناشر

إن الآراء الواردة في هذا لكتاب لا تعبر بالضرورة عن أي رأي الدار العربية للعلوم ناشرون

تصميم الغلاف: علي القهوجي

أُفضّل عدم البدء بهذه الرواية بتقديم اعتذار- ولعل هنالك قاعدة تمنع ذلك مثل تلك التي تمنع إنهاء الجملة بحرف جر- ولكنني شعرت أن عليّ الاعتذار بعد أن قرأت الصفحات الثلاثين التي كتبتها، إذ يتعلق هذا الأمر بعبارة محددة أستعملها كثيرًا؛ لقد تعلمت الكثير من العبارات من أمي واستخدمتها منذ صغري - ستكتشفون هذا الأمر في وقت لاحق - لكن هذه العبارة المؤلفة من ثلاث كلمات ألا وهي في وقت لاحق - كما تجدها في "لقد اكتشفت ذلك في وقت لاحق" - أعلم أنها مكررة جدًا، ولكن لم يكن لديّ خيار آخر. تبدأ قصتي منذ كنت أعتقد بحقيقة سانتا كلوز وجنية الأسنان؛ ولكنني أصبحت أشكك في صحة مثل هذه القصص منذ كنت في السادسة من عمري. أنا الآن في الثانية والعشرين من عمري، وهذا يجعلني أتحدث في وقت لاحق أليس كذلك؟ أعتقد أنني عندما سأبلغ الأربعين من عمري سأستنتج أن هناك كثيرًا من النقاط التي لم أكن أفهمها في شبابي، وسيكون هناك في وقت لاحق دائمًا؛ فأنا متأكد من هذه الحقيقة الآن؛ ولكن إذا متنا، فسيبدأ الكلام بالوقت السابق.

اسمي جيمي كونكلين، وسبق لي أن شكّلتُ ديكًا روميًا بالورق المقوى وكان التشكيل فاشلًا، وقد اكتشفت في وقت لاحق أن الحقيقة مؤلمة جدًا.

أعتقد أن هذه قصة رعب، وهذا ما ستكتشفونه.

1

كنت عائدًا من المدرسة وأمّي تمسك بيدي، وكنت أمسك بيدي الأخرى الديك الرومي الذي شكّلته في الصف الأول قبل عيد الشكر، وكنت حينها فخورًا بنفسي وبعملي للغاية.

بوسعك أن تُشكّل هذا الديك بوضع يدك على الورق المقوى، ثم تحدد الرسم بالألوان لتحصل على الذيل والبدن، وكان عليك أن تكتشف بنفسك كيف ستصنع الرأس.

عرضت ما صنعته على أمي التي أثنت كثيرًا على عملي، ولكنني أشك في أنها رأته حقًا، لأنني أُرجّح أنها كانت تفكّر في كتابها الجديد الذي ستحاول بيعه.

أمي وكيلة أعمال أدبية، وأخوها هاري هو من أسس هذه الوكالة الأدبية، ولكنها استلمت العمل قبل سنة من بداية قصتي؛ وهي قصة طويلة ومحزنة.

قلت لها: "لقد استخدمت لون الغابات الأخضر لأنه لوني المفضل؛ ألّا تعلمين ذلك يا أمي؟". أوشكنا على الوصول إلى بيتنا الذي كان يبعد ثلاثة شوارع عن مدرستي.

لم تجبني سوى بنعم وصحيح، ثم قالت: "ستشاهد بارني عندما نصل إلى المنزل، فلديّ عدة مكالمات ضرورية يجب أن أجريها.

فقلت لها أجل ومرحى، فقرصتْ خدي وابتسمتْ لي. كنت أحب ابتسامات أمي لأنني وأنا في السادسة من عمري كنت أعلم أنها نادرة، ولكنني اكتشفت في وقت لاحق أنني السبب في ذلك؛ فقد اعتقدتْ أنها تربي طفلًا مختلًا. إن اليوم الذي أخبركم عنه هو اليوم الذي تأكدت فيه أمي أنني لست مختلًا، كان هذا مصدر راحة وإزعاج في الوقت ذاته.

في وقت لاحق من ذلك اليوم قالت لي: "لا تخبر أحدًا سواي عن ذلك، حتى إنه من الأفضل ألّا تخبرني أنا أيضًا بذلك. أتفهمني يا بني؟".

عندما تكون صغيرًا، وتملي عليك أمك أشياء، فستقول لها حسنًا على كل شيء، ولكنك ستمانعها إن قالت لك حان وقت النوم أو تناول البروكولي.

وصلنا إلى البيت، وكان المصعد معطلًا؛ ستظن أن الأمور كانت ستأخذ منحى مختلفًا إن كان يعمل، ولكنني لا أظن ذلك. لم آخذ على محمل الجد الناس الذين يقولون إن حياتنا مقتصرة على قراراتنا، فنحن كنا سنصل إلى الطابق الثالث سواء أصعدنا عبر الدرج أو بواسطة المصعد؛ كما أعتقد أن قدرك محتوم وكل السبل ستؤدي إليه؛ يمكن أن أغيّر رأيي عندما أكبر، ولكنني لا أعتقد ذلك.

قالت أمي: "تبًا لهذا المصعد. أظنك يا بني لم تسمعني أقول هذا أليس كذلك؟".

قلت لها: "ما الذي لم أسمعه؟"، ابتسمت لي مجددًا، وكانت آخر ابتسامة لها بعد ظهر ذلك اليوم. لطالما سألتها أن أساعدها في حمل حقيبتها الثقيلة – فهي كانت تقرأ المسوّدات وهي تنتظر خروجي من المدرسة إذا كان الطقس جميلًا – ولطالما أجابتني: "شكرًا على عرضك هذا، ولكن ماذا أقول لك دائمًا؟".

"عليّ أن أتحمل بنفسي أعباء هذه الحياة".

"هذا صحيح".

سألتها: "هل هذه العبارة من أقوال ريغيس توماس؟".

"هذا صحيح، إنه ريغيس العجوز الذي يدفع لنا إيجارنا".

"أهذا يخص روينوك؟".

"أتسأل حقًا يا جيمي؟"، لقد ضحكت على هذا، لأن كل شيء يكتبه ريغيس كان عن روينوك.

كان هذا عبئه في الحياة.

صعدنا إلى الطابق الثالث حيث هناك شقتان بالإضافة إلى شقتنا التي تقع في نهاية الرواق، والتي كانت الأكثر فخامة. وقف السيد والسيدة بوركيت عند الشقة 3أ، فعلمت أن هناك خطبًا ما؛

فقد كان السيد بوركيت يدخن سيجارة، وهذا ما لم يسبق لي أن رأيته يفعله، كما أن التدخين كان ممنوعًا في مبنانا.

غطى الشيب شعره، وذبلت عيناه. لطالما ناديته بالسيد، ولكنه كان بروفيسورًا في جامعة نيويورك، وفي وقت لاحق علمت أنه درّس الأدب الإنكليزي والأوروبي. ارتدت السيدة بوركيت ثوب النوم وكانت حافية القدمين؛ كان ثوب النوم شفافًا تقريبًا.

سألت أمي: "ما الخطب يا مارتي؟".

عرضت ديكي الرومي عليه قبل أن يجيب بهدف إسعاده لأنني شعرت أنه حزين؛ ولكنني كنت فخورًا به أيضًا، وقلتُ: "انظر يا سيد بوركيت، لقد صنعت ديكًا روميًا"، غطيت وجهي بالديك كي لا أنظر إلى ثوب السيدة بوركيت وقلت لها: "انظري يا سيدة بوركيت".

لم يكترث السيد بوركيت لهذا الأمر، ولا أظن أنه سمعني، وقال: "لديّ خبر حزين يا تي، لقد توفيت مونا صباح اليوم".

ألقت أمي الحقيبة مع المسوّدة على الأرض، ووضعت يدها على فمها ثم قالت: "يا إلهي، هل تمزح؟".

بدأ بالبكاء وقال: "استيقظتْ ليلًا، وقالت لي إنها تريد كوبًا من الماء، ثم خلدت إلى النوم مجددًا، وعندما استيقظتُ صباحًا وجدت مونا على الأريكة، وكانت قد رفعت الغطاء إلى وجهها، فشرعت في تحضير القهوة لأنني ظننت أن رائحتها ستو... قظها... ستوقظها".

لقد انهار السيد بوركيت تمامًا، فعانقته أمي كما كانت تعانقني عندما أؤذي نفسي مع أنه كان طويلًا جدًا؛ عرفت لاحقًا أن طوله مئة وأربعة وسبعون سنتيمترًا.

عندها قالت لي السيدة بوركيت بصوت خافت: "ليس هناك ديك رومي أخضر اللون يا جيمز".

قلت لها: "ولكن ديكي أخضر".

ظلت أمي تعانق السيد بوركيت وتربّت على كتفه، ولم يسمعاها لأنهما لا يستطيعان، وكما أنهما لم يسمعاني لأنهما كانا يواسيان بعضهما.

قال السيد بوركيت: "اتصلت بالطبيب وقال لي إنها أصيبت بذبحة قلبية على الأرجح"، لقد اعتقد أنه قال ذلك فقد كان يبكي بحرقة، "فاتصلتُ بدار الجنائز وأخذوها فورًا؛ لا أعلم ماذا سأفعل من دونها".

قالت السيدة بوركيت: "سيحرق زوجي شعر أمك بسيجارته إن لم ينتبه لحركاته".

كنت واثقًا من أنه أحرق بضع شعرات بالفعل، حيث شممت رائحة غريبة؛ كانت أمي مهذبة، ولم تشر إلى الموضوع، لكنها ابتعدت عنه، وأخذت السيجارة منه وأطفأتها على الأرض؛ رأيت أن هذا الفعل غير مقبول، ولكنني لم أقل شيئًا لأن هذه حالة خاصة.

كما أنني كنت متأكدًا أن التحدث إلى السيد بوركيت أو أمي سيخيفهما أكثر، إذ يستطيع أي طفل تقدير الظروف إن لم يكن مختلًا؛ فعليك أن تقول من فضلك، وشكرًا، وتهندم ملابسك ولا تتحدث عند تناولك الطعام، كما عليك ألّا تتحدث إلى الموتى الذين يقفون بجانب معارفهم الذين يشتاقون إليهم؛ أريد أن أدافع عن نفسي وأقول إنني لم أعلم أنها ميتة في ذلك الوقت.

في وقت لاحق، تحسنت في التفريق بين الموتى والأحياء.

استطعت أن أرى ثوب نومها الشفاف حيث إن الموتى يشبهون الأحياء تمامًا، ولكن الفرق الوحيد هو أن الموتى يرتدون الثياب التي فارقوا الحياة بها طوال الوقت.

في غضون ذلك، كان السيد بوركيت يسرد كل ما جرى، فقال لأمي إنه جلس بالقرب من الأريكة، وأمسك بيد زوجته إلى أن أتى الطبيب وبعده متعهد دفن الموتى - وبحسب كلمات السيد بوركيت - لينقلها إلى الحياة الأخرى، ولكنني لم أفهم هذه الجملة إلى أن شرحتها لي أمي لاحقًا. في بادئ الأمر، اعتقدت أنه قال متعهد التجميل بسبب رائحة شعر أمي عندما أحرقه بالسيجارة. هدأ من روعه قليلًا، ثم تعالت أصوات بكائه عندما قال: "لقد اختفى خاتم زواجنا، وخاتم خطوبتنا ذو الألماسة الكبيرة. بحثت عنهما على الطاولة التي تضع عليها ذلك المسحوق ذا الرائحة النتنة..."،

اعترفت السيدة بوركيت: "إن رائحته نتنة حقًا. إن لانولين مستخرج من مخلفات الخاروف ولكنه فعال".

أومأت برأسي كي أعلمها أنني فهمت، ولكنني لم أجبها.

"لقد بحثت عنهما في الحمام... لقد بحثت عنهما في كل مكان".

قالت أمي: "ستعثر عليهما يومًا ما"، ثم عانقته مجددًا بعد أن أصبح شعرها بأمان وأضافت: "لا تقلق يا مارتي، ستعثر عليهما".

"إنني أشتاق إليها".

وضعت السيدة بوركيت يدها على وجهها وقالت: "أخمن أنه سيصطحب دولوريس ماغوان إلى العشاء في غضون ستة أسابيع".

تمتم السيد بوركيت، فربّتت أمي على كتفه وواسته كما كانت تفعل معي عندما أؤذي نفسي، وكما فعلت عندما سكبت ماء ساخنًا على يدي وأنا أعد لها كوبًا من الشاي. استغللت فرصة انشغالهما، وسألت السيدة بوركيت بصوت خافت: "أتعلمين أين خاتماك يا سيدة بوركيت؟".

كان الموتى يقولون الحقيقة؛ لم أكن أعلم هذا في سن السادسة، حيث توقعت أن كل البالغين يقولون الحقيقة، كما كنت أعتقد أن ماشا حقيقية في ذلك الوقت. انعتني بالغبي إذا أردت، ولكنني لم أعتقد أن الدببة الثلاثة كانت تستطيع الكلام فعلًا على الأقل.

قالت السيدة بوركيت: "إنهما على الرف الأخير من خزانة الردهة، لقد وضعت مجوهراتي خلف الكتب هناك".

سألتها: "لم اخترت ذلك المكان؟"، رمقتني أمي بنظرة غريبة، إذ لم تستطع سوى أن تراني أخاطب مدخل المنزل الفارغ، لكنها كانت على دراية تامة في ذلك الوقت بأنني لست كسائر الأطفال. اكتشفت هذا بعد حادثة أليمة في سنترال بارك - سأتحدث عنها في وقت لاحق - حيث سمعتها تقول لأحد زملائها عبر الهاتف إنني مسكون، فأرعبني ما سمعته حيث اعتقدت أنها ستحول اسمي لميسون وهذا اسم فتاة.

أجابتني السيدة بوركيت: "لا أعرف لماذا. أعتقد أن أعراض الذبحة كانت قد بدأت، وكنت أفكر من أخمص قدمي".

لم أستطع أن أنسى كلامها.

عرضت أمي على السيد بوركيت أن يزورنا ويشرب الشاي - أو شيئًا أقوى - لكنه رفض العرض وقال لأمي إنه سيبحث عن الخاتمين مجددًا، فسألته إذا أراد أن تطلب له بعض الطعام الصيني معنا، فقبل عرضها وشكرها.

قالت له أمي لا شكر على واجب - استخدمت هذه العبارة وكأنها تكرر أجل أجل أجل، وحسنًا حسنًا. وقالت له بعدها أننا سنحضر له الطعام في تمام الساعة السادسة، إلّا إذا أراد أن يتناوله معنا في شقتنا، فقال إنه يود تناول الطعام في شقتهما، ولكنه يريدنا أن نشاركه؛ قال السيد بوركيت شقتنا وكأن السيدة بوركيت لا تزال على قيد الحياة، ولكنها توفيت مع أنها لا تزال هنا.

قالت أمي: "أعتقد أنه بحلول وقت الطعام ستكون قد عثرت على الخاتمين"، ثم أمسكت يدي وقالت: "هيا بنا يا جيمي، سنلتقي بالسيد بوركيت في وقت لاحق، ولكن دعنا نتركه الآن".

قالت السيدة بوركيت: "إن ما صنعته لا يشبه الديك الرومي، فالديك لا يمكن أن يكون أخضر، إنه عبارة عن ورقة لونها أخضر وعليها أصابع. أنت لست رمبرانت يا فتى".

يجب على الموتى أن يقولوا الحقيقة وهذا ضروري عند الإجابة عن الأسئلة، ولكنني قلت لكم من قبل إن الحقيقة مؤلمة؛ كنت قد بدأت أغضب منها، ولكنها شرعت بالبكاء فامتنعتُ عن ذلك. واجهت السيد بوركيت وقالتْ له: "من سينبهك عندما تنسى إدخال حزامك بشكل صحيح؟ دولوريس ماغوان؟ عليّ أن أبتسم وأقبل شخصًا مقرفًا"، قبّلت وجنته، أو بالأحرى، لقد قبّلتها دون أن تلامسها تمامًا؛ لم أستطع أن أرى الفرق؛ ثم تابَعت: "أنا لا زلت أحبك يا مارتي".

مسح السيد بوركيت وجنته مكان قبلة السيدة بوركيت كما لو أن بعوضة قد لامسته؛ اعتقدت أن هذا ما فكّر به.

2

كما لاحظتم، أنا أستطيع رؤية الموتى، ولطالما كانت لديّ هذه المقدرة، ولكن الحقيقة لا تشبه فيلم بروس ويليس، إذ يمكن لهذه المقدرة أن تكون ممتعة ومخيفة في الوقت ذاته - كالرجل في سنترال بارك - حتى يمكنها أن تتحول إلى مصدر إزعاج، ولكنها مقدرة موجودة؛ إنها تشبه أن تكون أعسر أو تستطيع عزف الموسيقى الكلاسيكية وأنت في الثالثة من عمرك أو أن تصاب بمرض الزهايمر المبكر وأنت في سن الثانية والأربعين كخالي هاري. كان عمري ست سنوات، وكنت أرى ذا الثانية والأربعين عامًا كبيرًا جدًا، ولكنني كنت على دراية تامة أنه عمر مبكر لينتهي بك المطاف بعدم معرفة من أنت حقيقة أو ما أسماء الأمور. لقد أخافني هذا الأمر جدًا لسبب ما كلما ذهبنا لزيارة خالي هاري؛ لم تتلاشَ ذاكرته بسبب جلطة، ولكنها تلاشت بالفعل.

اتجهتُ وأمي إلى الشقة 3ت ودخلنا إليها؛ لقد استغرق الأمر بعض الوقت حيث كان هناك ثلاثة أقفال على الباب، وقالت لي إنّ هذه ضريبة أن تعيش في شقة فخمة. كان لدينا شقة فيها ست غرف، ولديها إطلالة على الحديقة العامة.

أطلقت عليها أمي اسم قصر الحديقة. كانت لدينا سيدة تأتي لتنظيف الشقة مرتين في الأسبوع، وكانت أمي تمتلك سيارة رانج روفر تركنها في مرأب في الجادة الثانية، وفي بعض الأحيان، كنا نزور منزل خالي هاري في سبينوك. يعود الفضل لحياة الترف تلك لريغيس توماس وبعض الكتّاب الآخرين؛ ولكن لريغيس في المقام الأول؛ لكن هذا العز لم يدم طويلًا نتيجة تطور كئيب سأطلعكم عليه قريبًا. الآن أعتقد أن حياتي كانت عبارة عن قصة من قصص ديكينز، ولكن أضيفوا إليها جانب الشتائم.

ألقت أمي حقيبة العمل ومحفظتها على الأريكة وجلست، فأصدرت الأريكة صوتًا يشبه صوت إطلاق الغازات. لطالما أضحكنا هذا الصوت، ولكننا لم نضحك عليه اليوم. قالت أمي: "اللعنة، ما هذا؟"، ثم رفعت يدها وقالت: "أنت...".

قلت لها: "لم أسمع ما قلته".

"ممتاز، عليّ أن أضع حزامًا كهربائيًا ينبهني كلما شتمت بجانبك"، ثم رفعت شعرها عن وجهها وقالت: "لا يزال لديّ مئتا صفحة لأقرأها من كتاب ريغيس الجديد...".

سألت أمي: "ما اسمه؟"، توقعت أن العنوان سيحتوي على روينوك مثل سائر كتبه.

قالت لي: "عذراء روينوك الشبح... إنه أحد أفضل كتبه. تحتوي مقاطع كثيرة عن الجن... عن القبل والعناق".

مسحت أنفي.

"اعذرني يا بني، ولكن الفتيات يفضلن هذه المقاطع التي تُعبّر عن الحب والشغف".

نظرت إلى الحقيبة التي تحتوي على مسوّدة كتاب عذراء روينوك الشبح؛ كانت تلك المسودة مربوطة بإحكام بواسطة حزمة من المطاط، كما كانت تلك الحزمة تتطاير حين تفتحها أمي فتبدأ حينها التلفظ بأبشع شتائمها؛ لا زلت أستخدم تلك الشتائم؛ "لا أريد أن أفعل شيئًا الآن سوى أن أحتسي الكثير من النبيذ. كانت مونا بوركيت مزعجة جدًا، لقد ارتاح السيد بوركيت منها، ولكنه الآن مصدوم. أتمنى أن يكون لديه أقارب لأنني لا أريد أن آخذ دور الشخص الذي يواسيه".

قلت لها: "ولكنها أحبته أيضًا".

رمقتني أمي بنظرة مريبة وقالت: "أتعتقد ذلك؟".

"أنا واثق من ذلك. لقد ذمّت ديكي الرومي، ولكنها بكت وقبّلت السيد بوركيت على وجنته".

قالت لي من دون مبالاة: "هذا محض خيال يا جيمز"، وقتها كانت تعرف الحقيقة، ولكن البالغين يعانون عند الاعتراف بالأمر وسأخبركم السبب؛ عندما يكتشفون أن سانتا كلوز وماشا من نسج الخيال أو حتى أن أرنب عيد الفصح غير حقيقي - يمكنني إعطاؤكم العديد من الأمثلة - فهذا يجعل لديهم عقدة ألّا يصدقوا شيئًا حتى يكون لديهم دليل قاطع.

"كلا لم أتخيل ذلك، لقد قالت لي إنني لست رامبرانت. من هو رمبرانت يا أمي؟".

أجابتني: "إنه رسام"، ثم أبعدت غرتها عن وجهها مجددًا؛ لا أعرف لماذا لا تغير قصة شعرها مع أنها ليست جميلة.

"إياك أن تقول شيئًا عما تعتقد أنك رأيته للسيد بوركيت عندما نزوره".

قلت لها: "لن أقول شيئًا. كانت السيدة بوركيت محقة، فديكي الرومي بشع جدًا"؛ أزعجتني تلك الحقيقة.

لاحظت أمي انزعاجي، وفتحت ذراعيها وقالت لي: "تعالَ إلى هنا يا صغيري".

دنوت منها وعانقتها.

"لم يسبق لي أن رأيت ديكًا روميًا أجمل منه، سألصقه على البراد وسيبقى هناك إلى الأبد".

عانقتها بشدة، وشممت رائحة عطرها، ثم قلت لها: "أنا أحبك يا أمي".

"وأنا أيضًا يا جيمي. اذهب الآن وشاهد التلفاز؛ سأجري بعض المكالمات الهاتفية قبل أن أطلب الطعام الصيني".

قلت لها: "حسنًا يا أمي"، ثم توجهت إلى غرفتي، ولكنني توقفت وقلت لها: "وضعت مجوهراتها على أعلى رفٍ في خزانة الردهة خلف بعض الكتب".

حملقت أمي بي وقالت: "لماذا فعلت ذلك؟".

"طرحت عليها السؤال نفسه، وأجابتني أنها لا تعرف. قالت لي إنها كانت تفكر من أخمص قدميها".

همست أمي وقالت: "يا إلهي".

"عليك أن تجدي طريقة لتقولي له هذه الحقيقة عندما نتناول الطعام، فلن يقلق بشأن هذا الأمر مجددًا. هل يمكنني تناول وجبة دجاج الجنرال تسو؟".

قالت لي: "حسنًا، ولكن مع أرز بني وليس أبيض".

قلت لها: "حسنًا، حسنًا، حسنًا"، ثم ذهبت لألعب بمكعباتي؛ لقد صنعت منها روبوتًا.

3

كانت شقة آل بوركيت أصغر من شقتنا، ولكنها جميلة؛ بعد العشاء، تناولنا بسكويت الأماني1؛ كتب في الورقة التي كانت موجودة في بسكويتتي: عصفور في اليد أفضل من عشرة على شجرة؛ لم أفهم هذه العبارة أبدًا - قالت أمي: "هل تحققت من الخزانة يا مارتي؟ أقصد في بحثك عن الخاتمين".

سأل السيد بوركيت سؤالًا منطقيًا: "لِمَ ستضعهما في الخزانة؟".

"لن تفكر بحكمة عندما تصاب بجلطة".

كنا نتناول الطعام في المطبخ على طاولة صغيرة ومستديرة، وكانت السيدة بوركيت تجلس على كرسي قرب البار وتوافق أمي بشدة.

قال السيد بوركيت بغرابة: "سوف أتحقق من الأمر في وقت لاحق، فأنا أشعر بالتعب والوهن الآن".

قالت أمي: "تحقق من الخزانة في غرفة النوم، وسأتحقق من خزانة الردهة؛ سوف ينفعني هذا العمل كي أسرِّع هضم هذا الطعام".

قالت السيدة بوركيت: "هل فكرت في هذا لوحدها؟ لم أكن أعلم أنها بهذا الذكاء".

كان من الصعب عليّ أن أسمعها؛ لم أكن أستطيع سماعها بوضوح بعد ذلك؛ كنت أرى فمها يتحرك وحسب وكأنها تقف وراء جدار زجاجي، وكانت ستختفي بعدها تمامًا.

قلت لها: "أمي ذكية فعلًا".

قالت السيدة بوركيت: "لم أقل عكس ذلك. سأرفع لها القبعة إن وجدت الخاتمين في خزانة الردهة".

في تلك اللحظة، قالت أمي: "وجدتهما"، أتت وبيدها الخاتمين. كان خاتم الزواج عاديًا، ولكن خاتم الخطوبة كان كبيرًا ومتلألئًا.

صرخ السيد بوركيت: "يا إلهي، كيف بحق الله...؟".

قالت أمي: "لقد صليت للقديس أنطونيو"، ثم رمقتني بنظرة خاطفة، وابتسمت لي مضيفة: "لقد قلت له: طوني طوني أيها الخفي أظهر لنا ما قد خُفِيَ، وكما ترى، لقد نفع الأمر".

كنت سأقول للسيد بوركيت أن شعره يشبه الملح والفلفل حيث امتزج الشيب والسواد؛ لكن الوقت لم يكن مناسبًا لأكون حذقًا؛ قالت أمي إنّ الناس لا يفضلون الحذقين.

4

بعد ثلاثة أيام، أقيمت الجنازة، وكانت أول جنازة أحضرها؛ كانت ممتعة، ولكنها لا تعتبر مسلية؛ فلم يتوجب على أمي أن تؤدي دور المواسي.

كان لدى السيد بوركيت أخ وأخت ليؤديا ذلك الدور؛ كانا متقدمين في العمر، ولكنهما لم يكونا أكبر منه. بكى السيد بوركيت طوال الجنازة، وزودته أخته بالمناديل؛ كانت حقيبتها مليئة بالمناديل، واستغربت أنها اتسعت لحاجيات أخرى.

تلك الليلة، طلبت أمي البيتزا من دومينوز، وشربت النبيذ وكافأتني بعصير كولايد على حسن تصرفي في الجنازة. عندما أوشكنا على إنهاء العشاء سألتني أمي إذا كنت أعتقد أن السيدة بوركيت حضرت الجنازة.

"أجل. لقد جلستْ على الدرج الذي يؤدي إلى حيث يجتمع الكاهن بالعاملين في الكنيسة".

"أتقصد المنبر؟ هل تمكنت من..."، أمسكت أمي بآخر قطعة من البيتزا ثم تركتها وقالت لي: "هل تمكنت من رؤيتها؟".

"أتقصدين مثل شبح من الأفلام؟".

"أعتقد أن هذا ما أقصده".

"لا، لقد كانت بشحمها ولحمها، وكانت ترتدي ثوب نومها. استغربت عندما رأيتها، فقد توفيت منذ ثلاثة أيام ولم يسبق لهذا الأمر أن حصل معي".

قالت لي وهي تحاول التفكير في الموضوع: "هل يختفون فجأة؟"، بدا عليها أنّها منزعجة من الحديث عن الموضوع، ولكنني كنت مسرورًا؛ لقد ارتحت قليلًا عندما تحدثنا معًا.

"أجل".

"ماذا كانت تفعل يا جيمي؟".

"اكتفت بالجلوس، نظرت إلى تابوتها مرتين أو ثلاث مرات، ولكنها كانت تنظر إليه معظم الوقت".

"إلى السيد بوركيت؟ مارتي؟".

"هذا صحيح، لقد قالت شيئًا، ولكنني لم أستطع سماعه. يبدأ صوت الموتى بالتلاشي بعد وفاتهم بالطريقة نفسها التي ينخفض فيها صوت المذياع في السيارة، فبعد فترة وجيزة، لا يعود بالإمكان سماعهم".

"ويختفون حينها".

قلت لها: "أجل"، لقد كان حلقي جافًا حينها، فشربت باقي العصير ثم أضفت قائلًا: "يختفون تمامًا".

قالت لي: "ساعدني في تنظيف الطاولة، وبعدها يمكننا أن نتابع حلقة من تورتشوود2 إن شئت".

قلت لها: "أجل، هذا رائع"، لم أكن أعتبر تورتشوود رائعًا، ولكنني فضّلت فكرة أن أتجاوز وقت نومي المعتاد.

"حسنًا، بما أنّك واثق من أنّها حالة خاصة، فعليّ أن أقول لك شيئًا مهمًا قبل هذا؛ أريد منك أن تركّز معي جيدًا".

"حسنًا".

جثت على ركبتها لكي تصبح بطولي، وأمسكت بكتفي بحزم ورقة ثم قالت لي: "لا تقل لأحد أنك تستطيع رؤية الموتى يا جيمي".

"لن يصدقوني في جميع الأحوال؛ في الماضي حتى أنت ما كنتِ تصدقينني".

قالت لي: "صدقتك إلى حدّ ما منذ ذلك اليوم في سنترال بارك، أتذكر ذلك؟"، أبعدت غرتها عن وجهها وتابعت: "أنت تتذكر بالطبع، كيف لك أن تنسى؟".

"طبعًا أتذكر"، ولكنني تمنيت لو أنسى.

نظرت إلى عيني وقالت لي: "دعني أشرح لك الأمر؛ من الجيد ألّا يصدقك الناس، ولكن أحدهم سيصدقك يومًا ما، وهذا سيشكل خطرًا عليك".

"لماذا؟".

"هناك مثل قديم يقول الموتى لا يمكنهم إفشاء الأسرار يا جيمي، ولكنهم يستطيعون أن يتحدثوا إليك أليس كذلك؟ جميع الموتى. أنت تقول لي إنّ عليهم الإجابة عن الأسئلة بصراحة تامة، وكأن الموت هو عبارة عن جرعة من مصل الحقيقة الذي هو بنتوثال الصوديوم".

لا أدري ماذا فضح وجهي من تعابير، ولكنها قالت لي ألّا آبه بكلامها عن المصل، ولكنها طلبت مني أن أتذكر ما قالته السيدة بوركيت عندما سألتها عن خاتميها.

قلت لها: "فإذًا؟"، أحببت أن أكون قريبًا من أمي، ولكنني استهجنت نظرتها العميقة.

"إن الخاتمين قيمان وخصوصًا خاتم الخطوبة. يموت الناس مع أسرارهم، وكثيرون هم الناس الذين يودون معرفة تلك الأسرار؛ لا أريد أن أخيفك، ولكن الخوف ضروري في مثل هذه الأمور".

كان ذلك الرجل في سنترال بارك درسًا لي كي أحذر من الازدحام، وأن أعتمر خوذة وأنا أقود دراجتي؛ اعتقدت أن هذا ما عنته، ولكنني لم أقل شيئًا.

قلت لها: "لن أتحدث عن الأمر".

"نهائيًا. يمكنك أن تطلعني عليه أحيانًا عندما تحتاج إلى ذلك".

"حسنًا".

"ممتاز، نحن متفاهمان".

ذهبنا إلى غرفة الضيوف، وشاهدنا التلفاز، وعندما انتهى المسلسل، ذهبت إلى الحمام، ونظّفت أسناني ويدي. رافقتني أمي إلى سريري، وقبّلتني، ثم قالت جملتها المعتادة: "ليلة هانئة وأحلامًا سعيدة".

في العادة، لا أراها في الليل؛ كنت أسمعها تسكب لنفسها كأس نبيذ وتستمع إلى موسيقى الجاز وهي تقرأ مسوّدة ما. أعتقد أن للأمهات حاسة سادسة حيث أتت وجلست بالقرب مني،

ولعلها سمعت بكائي رغم محاولتي إخفاءه؛ كانت تقول لي دائمًا إنه عليّ أن أساهم في الحلول وليس في المشاكل.

سألتني وهي تداعب شعري: "ما الخطب يا جيمي؟ أتفكر في الجنازة؟ أم في حضور السيدة بوركيت؟".

"ماذا سيحصل لي إذا توفيتِ يا أمي؟ هل عليّ أن أعيش في ميتم؟"، لأنني كنت متأكدًا من أنني لن أعيش عند خالي هاري.

قالت لي أمي: "بالطبع لا، ولكن، هذا جدال عقيم لأنني لن أموت قريبًا. أنا في الخامسة والثلاثين من عمري، وهذا يعني أنّ لديّ كثيرًا من الوقت".

"ماذا لو أصبت بمرض خالي هاري، وأجبرت على العيش معه؟".

انهالت دموعي بغزارة، وأراحني تدليكها لجبهتي، ولكنه جعلني أبكي بحرقة أكثر لسبب ما، فقلت: "إن رائحة ذلك المكان نتنة؛ إن رائحته كالبول".

قالت لي: "إن فرصة حدوث ذلك ضئيلة جدًا، وإذا وضعتها بقرب نملة فستبدو النملة وكأنها غودزيلا". ابتسمت لها؛ فقد جعلني كلامها أشعر بتحسن. أعرف الآن أن أمي كانت تكذب أو ليست على اطلاع تام، ولكن تلك المورثة التي أصابت خالي هاري - مورثة الزهايمر المبكر - قد انحرفت عنها ولله الحمد.

"لن أموت يا صغيري، ولن تموت أنت أيضًا. أعتقد أن هناك فرصة أن تفقد مقدرتك هذه عندما تتقدم في العمر. هل تثق بي يا صغيري؟".

"أجل يا أمي".

"لا تعاودِ البكاء يا جيمي. ليلة هانئة...".

أتممت لها جملتها وقلت: "وأحلامًا سعيدة".

قالت لي: "أجل، أجل، أجل"، ثم قبّلت جبهتي وغادرت تاركةً الباب نصف مفتوح كعادتها.

لم أشأ أن أقول لها إنّ سبب خوفي لم يكن الجنازة أو السيدة بوركيت، بل كان الرجل في سنترال بارك؛ لقد كان مريبًا.

5

كنا عند تقاطع الشارع 86 في طريقنا إلى ويف هيل في برونكس حيث ستقيم صديقتي حفلة عيد ميلادها - قالت أمي: "حدثني عن تدليل الطفلة وإفسادها" - وكنت أمسك بهدية ليلي. انعطفنا ورأينا أشخاصًا يجتمعون في الشارع؛ لقد حصل الحادث للتو؛ كان هناك رجل ملقى بين الرصيف والشارع، وبجانبه دراجة مهشمة، وقد غطى أحدهم القسم العلوي من جسده بسترة سوداء. كان يرتدي بنطالًا خاصًا بركوب الدراجة أسود اللون ومبقع باللون الأحمر. كانت حاميتا ركبتيه وحذاؤه ملطخين بالدماء، وتلطخت ساقاه وجرابه بالدم أيضًا؛ استطعنا سماع صوت سيارة الإسعاف.

وقف بجانب الحادث الرجل ذو البنطال الأسود وحاميتي الركبتين. كان شعره أبيض وملطخًا بالدم؛ لقد تحطمت جمجمته في المكان الذي ارتطم به رأسه بالرصيف، كما كان أنفه مهشمًا وفمه منشطرًا إلى شطرين.

بدأت السيارات بالتوقف فقالت أمي: "أغمض عينيك"؛ كانت تنظر إلى الرجل الملقى على الطريق بالطبع.

صرخت قائلًا: "إنه ميت، إن هذا الرجل ميت".

توقفنا عن التقدم بسبب السيارات التي اعترضت طريقنا.

قالت أمي: "كلا، إنه ليس ميتًا، إنه نائم وحسب، فهذا ما يحصل عندما يتعرض أحد ما لضربة قوية، وسيكون على ما يرام يا بني. أغمض عينيك الآن".

لم أُغمض عيني؛ رفع الرجل المهشم يده ولوّح لي؛ لطالما عرفوا أنني كنت أراهم.

"إن وجهه مقسوم إلى قسمين".

تحققت أمي من المشهد، ورأت أن الرجل مغطى حتى خصره، ثم قالت: "توقف عن إخافة نفسك يا جيمي؛ أغمض عينيك".

أشرت لها بأصبعي قائلًا: "إنه هناك"، فارتعشت يدي، ثم ارتعش جسدي بالكامل.

"إنه هناك تمامًا، يقف بجانب جثته".

أخافها ذلك، فقد رأيت ملامح الخوف ترتسم على وجهها، فوضعت يدها على المقود، وأنزلت نافذة السيارة بيدها الأخرى، وأخذت تشير إلى السيارات التي تتقدمنا، وبدأت تصرخ قائلة: "هيا، تحركوا، وتوقفوا عن الحملقة به، فإنه ليس مشهدًا من فيلم".

في تلك اللحظة، تحركت السيارات ما عدا السيارة التي كانت أمامها بالضبط، حيث كان السائق يلتقط صورًا بهاتفه.

تقدمت أمي، وصدمت مؤخرة السيارة، فشتمها السائق، وانعطفت إلى المسرب الآخر. تمنيت لو شتمته أنا الآخر، ولكنني كنت أرتعد من الخوف.

أوشكت أمي على أن تصطدم بسيارة شرطة لأنها كانت مسرعة جدًا لتصل إلى نهاية الحديقة، كنا سنصل إليها، عندما أزلتُ حزام الأمان، فصرخت أمي في وجهي، وطلبت مني ألّا أفعل ذلك، ولكنني لم أصغِ إليها. أنزلت نافذتي، وتقيأت الخضروات التي كنت قد تناولتها على جانب السيارة؛ لم أستطع مقاومة ذلك. وصلنا إلى الجانب الغربي من سنترال بارك، حيث ركنت أمي السيارة، ومسحت وجهي بطرف سترتها؛ لعلها ارتدت تلك السترة بعدها، ولكنني لم ألحظها بعد تلك الحادثة.

"يا إلهي يا جيمي، إنك شاحب وبارد مثل الثلج".

قلت لها: "لم أستطع أن أتمالك نفسي، فلم يسبق لي أن رأيت شيئًا كهذا. كانت هناك عظام ناتئة من أنفه"، ثم تقيأت مجددًا، ولكنني تقيأت على الطريق هذه المرة، كما أنني لم أتقيأ الكثير.

دلّكت أمي رقبتي، وتجاهلت أحدًا ما كان يطلق العنان لبوق سيارته خلفنا - وعلى الأرجح كان ذلك السائق الذي شتمنا – ثم قالت: "هدئ من روعك يا صغيري. إنك تتخيل هذه الأمور، فقد كان الرجل مغطى".

"لا أقصد الرجل الملقى على الأرض، بل أقصد الرجل الذي كان يقف إلى جانبه؛ لقد لوّح لي بيده".

أمعنت النظر بي لبرهة، وبدا أنها ستقول شيئًا، ولكنها اكتفت بربط حزام الأمان قائلةً: "أعتقد أنه علينا أن نتغيب عن حضور الحفلة. ما رأيك بهذا؟".

قلت لها: "حسنًا، لا أفضل ليلي في كل الأحوال، إنها تقرصني أحيانًا في وقت قراءة القصة".

عندما عدنا إلى المنزل، سألتني أمي إن كانت أودّ أن أشرب كوبًا من الكاكاو فقبلت العرض؛ شربنا الكاكاو في غرفة المعيشة؛ لا زالت هدية ليلي بحوزتي، لقد كانت دمية صغيرة ترتدي ثياب قبطان؛ قبّلتني ليلي على شفتيّ بدلًا من أن تقرصني عندما أعطيتها هديتها في الأسبوع التالي، وضايقني زملائي في الصف بشأن القبلة، ولكنني لم أكترث للأمر.

عندما كنا نحتسي الكاكاو - لعلها وضعت شيئًا إضافيًا في كوبها - قالت لي: "لقد وعدت نفسي خلال فترة حملي ألّا أكذب على طفلي مطلقًا، لذا، اسمعني يا بني؛ على الأرجح، كان ذلك الرجل ميتًا"، سكتت قليلًا ثم أكملت: "لا، إنه كان ميتًا بالفعل. لا أعتقد أن خوذة ركوب الدراجة كانت ستنقذه، مع أنني لم أرَ واحدة".

لم يكن يعتمر خوذة حين كان يقف إلى جانب جثته؛ لقد اكتشفنا في ما بعد أن السيارة التي صدمته كانت سيارة أجرة؛ يرتدي جميع الموتى ملابسهم نفسها التي توفوا وهم يرتدونها.

"لقد تهيأ لك أنك رأيت وجهه يا عزيزي، لقد غطى شخص لطيف الجثة بسترته".

قلت لها: "كان يرتدي سترة طُبع عليها صورة منارة"، فكّرت بشيء مطمئن قليلًا لأقوله ثم أضفت: "لقد كان متقدمًا في السن".

نظرت إليّ بغرابة وقالت: "لماذا تعتقد ذلك؟"، أعتقد الآن أن تلك النظرة هي الدليل الأول على تصديقها لي وإن قليلًا.

"كان شعره أشيب باستثناء الخصل التي تلطخت بالدم".

عاودت البكاء مجددًا، فعانقتني أمي، وربتت على كتفي، ثم خلدت إلى النوم؛ صدقني عندما أقول لك إنه لا شيء يشابه شعور وقوف أمك إلى جانبك عندما تعترضك أشياء مخيفة. وصلت

جريدة التايمز إلى بابنا، وقد اعتادت أمي أن تقرأها وهي ترتدي ثوب الاستحمام أثناء جلوسنا إلى طاولة الفطور، ولكنها كانت تقرأ إحدى مسوّداتها بعد حادثة سنترال بارك. طلبت مني أن أرتدي ملابسي، وأخبرتني أننا سنستقل المترو، لذا، على الأغلب كان هذا يوم سبت. أتذكر أنها كانت أول عطلة بعد موت الرجل في سنترال بارك؛ كل هذا جعلني أعيش تلك الحقيقة مجددًا.

فعلت ما أملته عليّ، ولكنني دخلت إلى غرفتها أثناء فترة استحمامها حيث كانت الجريدة على السرير ومفتوحة على صفحة الموتى ذوي الحوادث المثيرة بالنسبة للتايمز. تصدرت صورة رجل سنترال بارك تلك الصفحة؛ كان اسمه روبرت هاريسون؛ كنت أستطيع القراءة كطفل في صف الثالث، وأنا في الرابعة من العمر، وقد اعتزت أمي كثيرًا بهذه الميزة؛ لم يكن هناك الكثير من الكلمات الصعبة أيضًا حيث قرأت فقط:

توفي مدير شركة المنارة في حادث مروري.

رأيت بعضًا من صور الموتى تحتها - إن المثل الذي يقول إننا ميتون في الحياة صحيح أكثر مما تظنون - كنت أخبر أمي عن بعض هذه الحوادث أحيانًا، ولكنني امتنعت عن ذلك في أغلب الأحيان لأنها تضايقها. لم نفتح الموضوع حتى ماتت السيدة بوركيت، وعثرت أمي على خاتميها. لم أعتقد أنه يمكنني النوم بعد أن غادرت أمي غرفتي في تلك الليلة إذ اعتقدت أنني سأحلم برجل سنترال بارك مهشم الوجه أو بأمي وهي ممددة في تابوتها وتجلس بالقرب منه على المنبر في الوقت ذاته، لكن، وبخلاف توقعاتي، لم أحلم بشيء من هذا عندما خلدت إلى النوم فجأة. استيقظت صباحًا، وأنا في حالة جيدة، وكانت أمي كذلك، فتجاذبنا أطراف الحديث، ثم ألصقت ديكي الرومي على الثلاجة بلصاقة على شكل قبلة، وهذا ما أضحكني، بعدها، أقلتني إلى المدرسة، وأخبرتنا السيدة تيت عن الديناصورات، وسارت الحياة على منحى جيد لمدة سنتين كالعادة؛ لم تدم تلك السعادة حيث انهار كل شيء.

6

عندما شعرت أمي بسوء الأوضاع، سمعتها تتكلم مع صديقتها المحررة آن ستيلي عن خالي هاري، فقالت لها: "لقد كان فوضويًا قبل أن تصبح أفكاره فوضوية؛ لقد استنتجت ذلك الآن". عندما كنت في السادسة من عمري، لم أعرف ما الذي كانت تقصده بكلامها، ولكنني كنت قد بلغت التاسعة من العمر تقريبًا عندما فهمت بشكل جزئي مرمى كلامها. كانت تتحدث عن الفوضى التي وقع بها أخوها – وهي - قبل أن يخطف مرض الزهايمر المبكر دماغه.

بالطبع، وافقتها الرأي لأنها أمي، ولأننا كنا فريقًا واحدًا يواجه مصاعب الحياة، ولمت خالي هاري على الفوضى التي عشناها. عندما كنت في الثانية عشرة من عمري أو في الرابعة عشرة، اكتشفت أن اللوم يقع على أمي أيضًا، إذ كان يمكنها أن تنجو من تلك الفوضى قبل أن يفوت الأوان، ولكنها لم تفعل ذلك؛ كانت متعمقة في الكتب كخالي هاري الذي أسس وكالة كونكلين الأدبية، ولكنها لم تكن تعرف إدارة الأموال، حتى إنها تلقت تحذيرين؛ كان أحدهما من صديقتها ليز داتون. كانت ليز محققة في شرطة نيويورك ومعجبة كبيرة بسلسلة روينوك لريغيس توماس، وقد قابلتها أمي في إحدى حفلات توقيع تلك الكتب، وأصبحتا صديقتين على الفور، ولكن هذا الأمر انقلب إلى ضده. سأتحدث أكثر عن الموضوع في وقت لاحق، ولكنني سأكتفي الآن بالقول إن ليز قالت لأمي إن اعتماد ماكينزي المالي ضرب من الاحتيال؛ لقد حدث هذا تقريبًا عندما توفيت السيدة بوركيت؛ لست متأكدًا من التوقيت تمامًا، ولكنه كان قبل خريف العام 2008 عندما تهاوى الاقتصاد، وحصلت حوادث الإفلاس، ومن ضمنها إفلاسنا.

كان خالي هاري يلعب كرة المضرب في نادٍ فخم قرب مرسى السفن بيير 90، وكان أحد أصدقائه في النادي منتجًا في برودواي، وأخبره عن اعتماد ماكينزي المالي؛ أسماه صديقه تأشيرة لجمع المال وصدّقه خالي هاري. ولم لا؟ أنتج صديقه الملايين من المسرحيات الموسيقية التي تم عرضها لملايين السنين في برودواي وجميع أنحاء العالم، وتهافتت إثرها العائدات؛ كنت أعرف ما هي العائدات حينها؛ كنت ابن وكيلة أدبية.

تحقق خالي هاري من الأمر مع أحد المسؤولين في المصرف - ولكنه لم يتحقق من جيمز ماكينزي بنفسه حيث كان خالي هاري حشرة أمامه - وأودع مبلغًا من المال فيه. كانت العائدات ممتازة، فأودع المزيد من المال. بعد أن أصيب خالي هاري بمرض الزهايمر وتدهورت حالته، استلمت أمي زمام الأمور، ومنها اعتماد ماكينزي المالي، وحينها أودعت أمي المزيد من المال.

نبهها مونتي غريشام المحامي الذي كان مسؤولًا عن العقود من أن تضع مزيدًا من المال، كما قال لها أن تسحب المال ما دامت العائدات جيدة.

كان هذا ثاني تحذير تتلقاه، وبعد فترة وجيزة من استلامها لإدارة وكالة كونكلين الأدبية، قال لها المحامي أن الأشياء التي تبدو أفضل من توقعنا تكون الأسوأ فعلًا. أنا أطلعكم على كل ما جرى بتفصيل ممل؛ كالاتصال الذي سمعته بين أمي وتلك المحررة. أنا متأكد من أنكم فهمتم الأمر، وأنكم على ثقة بأن ذلك الاعتماد المالي كان ضربًا من الاحتيال. كان ماكينزي وأعوانه يجنون أموالًا طائلة، ويعيدون نسبًا كبيرة منها، وهم يسرقون الاقتصاد العام، وقد استمروا في هذا الأمر عن طريق استجرار مستثمرين جدد وإيهامهم أنهم مختارون. بعد ذلك، تبيّن أن المختارين القلة كانوا بالملايين من منتجي برودواي إلى الأرامل الأغنياء الذين فقدوا أموالهم جميعها بين ليلة وضحاها.

يعتمد هذا النوع من المكائد على جعل المستثمرين سعيدين بعائداتهم لدرجة أنهم يودعون المزيد من المال. كانت الأحوال جيدة إلى أن تدهور الاقتصاد في العام 2008، فطلب الجميع حينها استعادة أموالهم، ولكنها كانت قد ولت.

مع أن ماكينزي لم يكن شيئًا مقارنة بمدوف ملك سلسلة احتيال بونزي إلّا أنه قد أوقع ببيرن العجوز، فلم يتبق لديه سوى خمسة عشر مليونًا ضمن حسابات ماكينزي بعد سرقته المليارات من الدولارات، وبعدها دخل إلى السجن، وكان يستحق ذلك، ولكن أمي قالت: "هذا لا يغير شيئًا، إذ إن الانتقام لا يدفع لنا فواتيرنا".

قالت لي عندما انتشرت صور ماكينزي في الأخبار والصحف: "نحن على ما يرام؛ لا تقلق يا جيمي"؛ أشارت الهالات السوداء حول عينيها إلى خلاف ما صرّحت به، إذ كانت قلقة جدًا، وكان لها كل الحق في قلقها هذا.

إليكم ما اكتشفته لاحقًا: لم يتبقَّ لدى أمي سوى ألفي دولار وتتضمن تأميناتي أنا وأمي؛ لا يهمكم أن تعرفوا ما كان لديها من التزامات، تذكروا وحسب أننا نعيش قرب سنترال بارك وكان

مكتبها في جادة ماديسون ومركز الرعاية الصحية الذي يعيش فيه خالي هاري - أستطيع سماع أمي وهي تقول: "إن كنتم تحسبون هذا عيشًا" - كان في باوند ريدج؛ كل ذلك كان مكلفًا للغاية.

كخطوة أولى، أغلقت أمي المكتب في جادة ماديسون، وعملت بعدها من قصرنا المطل على الحديقة لفترة وجيزة. دفعت الإيجار مقدمًا لعدة أشهر عن طريق صرفها لتلك التأمينات التي ذكرتها سابقًا بالإضافة إلى تأمينات أخيها؛ لم يدم ذلك المبلغ سوى لثمانية أشهر تقريبًا. أجّرت منزل خالي هاري في سبيونك، وباعت الرانج روفر - قالت لي: "لا نحتاج لسيارة في المدينة بكل الأحوال يا جيمي" - كما باعت عدة كتب موقعة بما فيها كتاب توماس وولف الملاك المنفي. بكت أمي لأنها لم تتقاضَ نصف قيمته، وذلك لأن سوق الكتب كانت في الحضيض أيضًا بسبب الباعة المتعطشين للمال كحالتها، وباعت لوحة آندرو وايث أيضًا. شتمت أمي جيمز ماكينزي المحتال والنصاب والمدعي والسافل على فعلته الشنيعة تلك، كما شتمت خالي هاري وقالت إنّه سيعيش في مزبلة بنهاية السنة، وهذا ما حصل فعلًا. كما شتمت نفسها لأنها لم تنصت لليز ومونتي.

في إحدى ليالي كانون الثاني أو شباط سنة 2009 قالت لي: "أشعر أنني مثل الصرصار الذي أمضى صيفه في اللعب بدلًا من جمع الطعام". اعتادت ليز حينها أن تمكث لدينا في بعض الليالي، ولكنها لم تأتِ تلك الليلة، وفي ذلك الوقت، لاحظت أن شعر أمي الأصهب الجميل قد تخللته بعض خصل الشيب؛ تذكرت هذه الصورة لأنها كانت تبكي، وأخذتُ دور المواسي مع أنني كنت طفلًا غرًا. في صيف العام 2009 انتقلنا من قصرنا المطل على الحديقة إلى شقة أصغر في الجادة العاشرة. قالت أمي: "إنه ليس بمزبلة وسعره مناسب. لن أنتقل من مركز المدينة، فهذا سيعد استسلامًا، كما سأخسر زبائني".

بالطبع، انتقلت معنا الوكالة، فاحتل المكتب غرفة نومي لأن الأوضاع كانت متردية، وانتقلت غرفة النوم خاصتي إلى كوة ملاصقة للمطبخ؛ كانت حارقة في الصيف وباردة في الشتاء، ولكن رائحتها كانت عطرة؛ أعتقد أن خزانة الطعام هي السبب.

نقلت أمي خالي هاري إلى مؤسسة في بايون؛ لن أخبركم بتفاصيل ذلك المكان المروع؛ إن الجانب المشرق فيه هو أن خالي لم يكن بوعيه، فكان سيبلل ثيابه في أي مكان سواء أكان في بايون أو في بيفيرلي هيلتون.

هناك بعض المتفرقات التي أتذكرها من العامين 2009 و2010: توقفت أمي عن تصفيف شعرها، كما توقفت عن الخروج مع أصدقائها، واكتفت بتناول الغداء مع زبائنها إذا تطلب منها

الأمر ذلك؛ لأنها كانت تجبر على دفع الحساب. لم تشترِ كثيرًا من الثياب الجديدة، واقتصرت على شراء ملابسها من المحلات ذات الأسعار المنخفضة، كما شرعت في شرب المزيد والمزيد من النبيذ. في بعض الأيام، كانت تثمل مع صديقتها ليز؛ المحققة المعجبة بكتابات ريغيس توماس التي سبق لي أن حدثتكم عنها. كانت أمي تستيقظ بعينين حمراوين وبمزاج فظ، وتجلس في مكتبها وهي ترتدي ثياب النوم. كانت تغني في بعض الأحيان ها قد عادت الأيام السوداء، ها قد عادت السحب السوداء. كان الذهاب إلى المدرسة نعمة حينها، ففي تلك الفترة، ارتدت مدرسة عامة حيث ولت أيام مدرستي الخاصة بسبب جيمز ماكينزي.

كانت هناك بعض الجوانب المشرقة في ظل كل هذا السواد، حيث نشطت سوق الكتب، وعاود الناس قراءة الكتب العادية؛ شرعوا في قراءة الكتب للهروب من الواقع والكتب المحفزة. عمل كثير من الناس على مساعدة أنفسهم بعد صدمة عامي 2009 و2010. عشقت أمي كتب الألغاز، وأغنت سوق كونكلين بها بعد أن استلمت عمل خالي هاري، وتولت أمر عشرة أو اثني عشر كاتب ألغاز؛ لم يكونوا مشهورين للغاية، ولكن عائداتهم كانت كافية لدفع الإيجار شقتنا الجديدة وسائر الفواتير.

كما كانت هنالك جين رينولدز وهي أمينة مكتبة من كارولاينا الشمالية؛ كانت روايتها الأحمر القاني رافدًا ماليًا مهمًا، كما أن أمي عشقت تلك الرواية، وقد حصل مزاد لاختيار من سينشرها، فشاركت معظم دور النشر الكبيرة في ذلك المزاد، وبيعت حقوق النشر مقابل مليوني دولار. كانت حصتنا من ذلك الربح تعادل ثلاثمئة ألف دولار، عندها عادت الابتسامة إلى وجه أمي.

قالت لي: "أمامنا طريق طويل قبل أن نعود إلى شقتنا القديمة، ونخرج من الحفرة التي أوقعنا بها خالك هاري، ولكننا سننجح في نهاية المطاف".

قلت لها: "لا أريد العودة إلى شقتنا القديمة، فأنا أحب حياتنا هنا".

ابتسمت لي وعانقتني، ثم قالت: "أنت صغيري العزيز"، تفحصتني بين يديها، ثم تابعت: "لكنك لم تعد صغيرًا يا بني. أتعلم ما الذي أتمناه؟".

هززت برأسي نفيًا.

"أتمنى أن تنشر جين رينولدز رواية كل سنة، وأن يتم تصوير فيلم عن روايتها الأحمر القاني، ولنقل إن هذه الأمور لن تتحقق، فسيظل لدينا جوهرتنا ريغيس توماس وسلسلته عن روينوك".

تبيّن أن رواية الأحمر القاني كانت آخر بصيص أمل لدينا قبل أن تهب عاصفة جديدة، فلم يُنتج فيلم مستوحى من القصة، وأخطأ الناشرون الذين راهنوا على الكتاب، فلم ينجح الكتاب، ومع أن هذا لم يؤثر على عائداتنا - لقد دفع المال بالفعل - ولكن أمورًا كثيرة انهالت علينا، وتبخر المبلغ فجأة.

التهبت أضراس العقل لدى أمي، واضطرت أن تقتلعها، كما وقع خالي هاري في المؤسسة وآذى جمجمته، وهذا ما كان في غاية السوء. اتصلت أمي بالمحامي الذي كان يساعدها بعقود الكتب، وتقاضى الكثير من رسوم وكالتنا على أتعابه، واقترح علينا أن نستشير محاميًا متخصصًا بقضايا الديون والإهمال. قال لنا ذلك المحامي أن قضيتنا رابحة، ولكن مؤسسة بايون أعلنت إفلاسها قبل أن تذهب القضية إلى المحاكمة، فلم يربح سوى ذلك المحامي الذي تقاضى أربعين ألف دولار.

ذات ليلة، قالت أمي: "اللعنة على تلك الساعات مدفوعة الأجر"، كانت تحتسي الزجاجة الثانية من النبيذ مع ليز داتون، فضحكت ليز لأنها لم تدفع أربعين ألف دولار، وضحكت أمي لأنها كانت ثملة، أما أنا فلم أضحك لأنني كنت على دراية تامة بأن مالنا لم يدفع على فاتورة للمحامي وحسب، بل على أدوية خالي هاري أيضًا، وعلاوة على ذلك، طالبت دائرة الإيرادات الداخلية أمي بدفع ضرائب كان يدين بها خالي هاري؛ كان يؤجل ذلك الخال سام كي يودع المزيد من المال لدى حسابات ماكينزي، فلم يبقَ لدينا سوى ريغيس توماس؛ إنه جوهرتنا النفيسة.

7

انظروا إلى هذا.

في خريف العام 2009، أصبح أوباما رئيسًا، وبدأ الاقتصاد يشهد تحسنًا، لكن وضعنا لم يتحسن كثيرًا، وأصبحت في الصف الثالث، وجعلتني السيدة بيرس أحلّ مسألة على اللوح لأنني كنت بارعًا في تلك الأمور، إذ اعتدت أن أساعد أمي في حساب الرسوم والضرائب؛ إنني ابن وكيلة أدبية كما تعلمون. تململ الأطفال خلفي حيث كانت تلك الأيام بين عطلتي عيد الشكر وعيد الميلاد، وكانت المسألة سهلة جدًا كشرب الماء، وقد أوشكت على حلها عندما جاء نائب المدير السيد هيرناندیز وتمتم هو والسيدة بيرس، ثم طلبت مني السيدة بيرس أن أخرج إلى الردهة.

كانت أمي تنتظرني هنالك، وكانت شاحبة، وكأنها قد رأت شبحًا، فاعتقدت أن خالي هاري قد توفي حيث كان يعيش مع صفيحة معدنية في جمجمته؛ كان هذا مطمئنًا، فستقل نفقاتنا رغم بشاعة الفكرة، ولكن عندما سألت أمي عن خالي هاري - كان يعيش في ثالث دار رعاية له في بيسكاتاوي، كما أنه ظل ينتقل غربًا كمستكشف فقد عقله - قالت لي إنه على ما يرام.

سارعت أمي إلى إخراجي من المدرسة قبل أن أطرح مزيدًا من الأسئلة. ركنت سيارة فورد سيدان في مرأب سيارات الأهل، وكان يعلوها الضوء الخاص بسيارات الشرطة، وقد وقفت بجانبها ليز داتون التي ارتدت زيها وعليه شارة قسم شرطة نيويورك الزرقاء.

توجهت أمي بسرعة إلى السيارة، ولكنني أوقفتها.

قلت لها: "ما الأمر؟ قولي لي"، لم أبكِ ولكن دموعي كانت قريبة. حدثت أمور شنيعة بعد خبر حسابات ماكينزي، ولم أعتقد أنه يمكنني تحمل المزيد، ولكنني حصلت على المزيد؛ لقد توفي ريغيس توماس؛ لقد توفيت جوهرتنا.

8

عليّ أن أتوقف هنا لأخبركم عن ريغيس توماس؛ لقد اعتادت أمي أن تقول إن الكتّاب كانوا أغرب من الجنيات، وكان ريغيس توماس أكبر مثال على ذلك.

اعتاد ريغي أن يطلق على سلسلته اسم ملحمة روينوك، وقد تضمنت تلك السلسلة تسعة كتب عندما توفي وكل كتاب منها كان بسماكة القرميدة.

ذات مرة قالت لي أمي: "إن ريغيس يقدم لنا يد العون دومًا"، ففي سن الثامنة، أمسكت أول كتاب في السلسلة، وكان عنوانه مستنقع روينوك المميت وقرأته، ولم أعانِ في قراءته؛ لقد كنت بارعًا في القراءة والرياضيات كبراعتي في رؤية الموتى - لا يُعدّ هذا تباهيًا إن كان قد أثبت صحته - كما لم تكن رواية مستنقع روينوك المميت كرواية يقظة فينيغان.

أنا لا أقول إنّه لم يكن ماهرًا في الكتابة؛ لقد عرف ذلك الرجل كيف يسرد قصة، وكللت رواياته بالمغامرات والبحث عن الكنوز الدفينة والمشاهد المخيفة - وخصوصًا في المستنقع المميت - كما احتوت العديد من المشاهد الحميمة. لقد خدش حيائي وأنا أقرأ تلك القصص، كما اكتشفت شيئًا جديدًا، واستوعبت معناه لاحقًا؛ كان ذلك عن تلك الليالي التي مكثتها ليز صديقة أمي لدينا.

كان هناك مشهد حميمي بعد كل خمسين صفحة في المستنقع المميت، كان أحدها على شجرة يتربص تحتها عدد من التماسيح؛ نحن نتكلم هنا عن خمسين درجة من روينوك. علمني ريغيس توماس الثقافة الجنسية في مراهقتي؛ آسف على هذا الكم من المعلومات. كانت تلك الكتب ملحمة بالفعل حيث استمرت بالحبكة نفسها وبالشخصيات ذاتها. كان هناك رجال أقوياء ذوو شعر لامع وضحكة ساحرة، ورجال مريبون ذوو عيون حذقة، بالإضافة إلى هنود نبلاء - يسميهم في نهاية الملحمة بالسكان الأصليين - كما كان هناك نساء جميلات ذوات أجسام منحوتة، وكانت جميع الشخصيات - الطيبة والشريرة والجميلة - شبقة دائمًا.

كان لب تلك السلسلة - بالإضافة إلى مشاهد القتل، والنزال، والمشاهد الحميمة - هو السر الدفين الذي جعل كل مستوطني روينوك يختفون. هل كانت هذه فعلة جورج ثريدغيل الشرير الرئيسي؟ هل توفي المستوطنون؟ هل كانت هناك مدينة أثرية تحت روينوك؟ ماذا قصد مارتين بيتانكورت بقوله: "إن الوقت هو المفتاح" قبل أن يتلاشى؟ ما كان المعنى الحقيقي لكلمة كروتون المريبة التي وجدت محفورة على سور النادي المهجور؟ تعطش ملايين القراء لمعرفة الأجوبة على تلك الأسئلة. إذا كنتم تشككون في صحة هذا الأمر، فسأنصحكم بقراءة كتب جوديث كرانتز أو هارولد روبينز، إذ يقرأ الملايين كتبهما أيضًا. كانت شخصيات ريغيس توماس انعكاسات كلاسيكية؛ أنا أقصد أنها كانت ملبية لرغباته المستحيلة. كان رجلًا مسنًا وعمل الجميع على تعديل صورته كي يبدو بمظهر حسن؛ لم يستطع القدوم إلى نيويورك. كان وراء تلك الشخصيات القوية التي تخوض المعارك وتجوب المستنقعات المميتة وتصاحب النساء الجميلات، رجل أعزب يعاني من رهاب الأماكن العامة ويعيش بمفرده، كما كان ضعيف الثقة بعمله حسب قول أمي، فلم يرَ أحد أعماله قبل أن تنتهي. تتطلب الأمر توظيف منقح بعد أن نجح كتاباه الأولين، ولكنه أصرّ على أن تنشر كتبه كما صاغها تمامًا، ولم ينشر كتابًا كل سنة، ولكنه كان جديرًا بالثقة. صدر كتاب من السلسلة كل عامين أو ثلاثة، وقد صدرت أول أربعة كتب له خلال فترة إدارة خالي هاري، أما الكتب الخمسة الأخرى فصدرت تحت إدارة أمي.

من بينها كتاب عذراء روينوك الشبح، وأعلن ريغيس حينها أنّه الكتاب ما قبل الأخير. وعد أن كتابه الأخير سيجيب عن كل أسئلة قرائه الأوفياء، كما أعلن أنه سيكون أطول كتاب في السلسلة، وسيتألف من سبعمئة صفحة تقريبًا؛ كان هذا سيزيد من عائدات دار النشر. قال لأمي بشكل سري إنّه عندما سينتهي من سلسلة روينوك سيبدأ بسلسلة متمحورة حول ماري سيليست.

بدا هذا جميلًا جدًا حتى توفي على مكتبه قبل أن ينهي تحفته الفنية بقليل. دُفِعَت له ثلاثة ملايين دولار مقدمًا، ولكنها كانت ستُستَرَدّ مع حصتنا حيث لم يكتمل الكتاب، ولكن حصتنا كانت قد اختفت أو لم يتم ذكرها؛ وهنا تدخلت أنا كما خمنتم.

دعونا نعد إلى القصة الآن.

9

عندما وصلنا إلى سيارة الشرطة التي لا تحمل لوحة - تعرفت إليها على الفور لأنها ركنت قرب مبنانا عدة مرات - فتحت ليز معطفها لتريني قراب المسدس الفارغ؛ كانت هذه مزحتنا؛ كانت تلك قاعدة أمي الأولى: ممنوع حمل المسدسات قرب ابني، لطالما أرتني ليز قرابها الفارغ وكنت قد رأيته عدة مرات على طاولة القهوة في غرفة المعيشة أو على الطاولة قرب السرير الذي لا تستعمله أمي. تضمنت رواية مستنقع روينوك المميت العديد من المشاهد الحميمة بين لورا غودو وبيوريتي بيتانكورت، أرملة مارتين بيتانكورت، والتي لم تكن شريفة على الإطلاق.

سألت أمي عندما وصلنا إلى السيارة: "ماذا تفعل هنا؟"، أعتقد أنني كنت قليل الأدب لأن ليز كانت تقف إلى جانبنا. لم ألحظ أنني كنت وقحًا لأن أمي أسرعت في إخراجي من المدرسة وأطلعتني على ذلك الخبر الأليم؛ لقد توفيت بطاقتنا الرابحة.

قالت لي ليز: "هيا اصعد أيها البطل، إن الوقت من ذهب"، لطالما نادتني بالبطل.

"لا أريد، سنحظى بأصابع السمك على الغداء".

قالت ليز: "كلا، سأشتري الهامبرغر والبطاطا المقلية".

قالت أمي: "من فضلك، اصعد يا جيمي".

جلست على المقعد الخلفي. كانت هناك بقايا شطيرتي تاكو ورائحة ذرة مشوية بالميكروويف. كما سادت رائحة ربطتها بزياراتنا لخالي هاري. لم يكن هناك فاصل معدني بين المقعد الخلفي والأمامي كما كنت أرى في مسلسلات الشرطة التي تشاهدها أمي (كانت تشاهد ذا واير3).

جلست أمي في الأمام، وانطلقت ليز، ثم وضعت ضوء الشرطة عندما توقفت عند إشارة المرور، وأصدر صوت بليب-بليب-بليب فأفسحت السيارات الطريق على الفور، وانطلقنا بسرعة فائقة.

استدارت أمي، ونظرت إليّ، وبدت ملامحها مخيفة؛ كانت يائسة؛ فسألتني: "هل يمكن أن يكون في منزله يا جيمي؟ أعتقد أن جثته قد أخذت إلى المشرحة أو إلى صالة الجنازة. هل هناك فرصة أن يكون موجودًا في منزله؟".

كان جوابي هو أنني لا أعرف، ولكنني لم أبح به، ولم أقل شيئًا على الإطلاق. كنت مذهولًا... ومجروحًا. لعلني كنت غاضبًا، ولكن شعورّي الذهول والتألم غلبا على حواسي لدرجة أنني أتذكرهما الآن بوضوح. لقد حذرتني من أن أبوح بسري لأحد ولم أفعل ذلك، ولكنها خذلت ذلك التنبيه؛ لقد باحت بأنني أستطيع رؤية الموتى، لقد أخبرت ليز. كان هذا سبب وجود ليز هنا التي ستبعد عنا الازدحام بشارتها تلك في الطريق إلى سبرين بروك باركوي.

أخيرًا، سألتها: "منذ متى وهي تعرف ذلك؟".

رأيت ليز وهي تغمزني من المرآة الجانبية؛ عنت تلك الغمزة: هذا سرّنا يا بطل. لم يعجبني هذا الأمر؛ كان ذلك السرّ بيني وبين أمي.

أمسكتني أمي من معصمي.

كانت يداها باردتين، وقالت: "لا تكترث بهذا يا جيمي. قل لي، هل سيكون موجودًا في المنزل؟".

"أعتقد أنه هناك ما دام هو المكان الذي توفي فيه".

تركتني أمي وقالت لليز أن تسرع أكثر، ولكنها لم توافق على ذلك وقالت: "إنها ليست بفكرة سديدة. ماذا لو قابلنا دورية شرطة، وسألونا عن سبب كل هذه العجلة؟ هل عليّ أن أقول لهم إننا نريد التحدث إلى رجل ميت قبل أن يتلاشى؟".

لاحظت من نبرتها أنها لم تصدق كلمة مما قالته أمي؛ كانت تجاريها وحسب.

لم يكن لديّ مشكلة في هذا، كما أن أمي لم تأبه لشيء سوى أن تصل إلى كروتون-أون-هادسون بأقصى سرعة.

"حسنًا، انطلقي بأسرع ما يمكنك".

"أمرك يا تيتي"، لم يعجبني هذا اللقب حيث كان الأطفال في صفي يستخدمونه كي يذهبوا إلى الحمام، ولكن أمي لم يكن لديها مانع؛ ما كانت أمي لتمانع إذا نادتها ليز بوني بوبزالوت في ذلك اليوم.

لم تكن لتلاحظ أي شيء.

قلت لهما: "هناك بعض الأشخاص الذين يستطيعون كتم السرّ، بخلاف بعضهم الآخر"، لم أستطع منع نفسي من قول هذا، لذا، أعتقد أنني كنت غاضبًا.

قالت أمي: "توقف عن هذا. لا يمكنني تحمل تذمرك الآن".

قلت لها بتذمر: "أنا لا أتذمر".

كنت على دراية تامة بقوة علاقتها مع ليز، وأيًا يكن الأمر، يفترض بعلاقتنا أن تكون أقوى. كان عليها أن تسألني قبل أن تبوح بأعظم أسرارنا لليز بعد أن وصلتا إلى النشوة على حدّ تعبير ريغيس توماس في قصصه.

"أنا على دراية تامة بأنك منزعج، ويمكنك أن تؤنبني في وقت لاحق، ولكنني أحتاجك الآن يا صغيري"، بدت وكأنها قد نسيَت وجود ليز بيننا، ولكن عيني ليز كانتا تترصدان كل حركة.

"حسنًا. هدّئي من روعك يا أمي"، لقد أخافتني قليلًا.

مررت أصابعها عبر شعرها، ورفعت غرتها ثم قالت: "إن هذا غير منصف. كل شيء حصل لنا وما زال يحصل لنا... تبًا... إن حياتنا فوضى". مررت أصابعها عبر شعري وتابعت: "لم تسمع هذا يا صغيري".

قلت لها: "بلى، لقد سمعتك تمامًا"، ربما لأنني كنت غاضبًا، ولكنها كانت محقة. أتتذكرون ما قلته لكم حول أن حياتنا قادمة من روايات ديكينز؟ وأضيفوا عليها الشتائم. أتعلمون لماذا يقرأ الناس تلك الروايات؟ لأنهم سعيدون أن الأشياء اللعينة لن تحدث لهم.

"كنت أعاني في دفع الفواتير منذ سنتين أو ثلاث، ولكنني لم أفوت واحدة. كان عليّ أن أدفع الفواتير الكبرى وتجاهل الصغرى، وقد توجب عليّ أحيانًا أن أفوت الفواتير الكبيرة كي أدفع

مجموعة من الفواتير الصغيرة، ولكنهم لم يقطعوا عنا التيار الكهربائي، ولم نفوت وجبة طعام، أليس كذلك يا صغيري؟".

قلت لها: "أجل، أجل، أجل"، وظننت أنها ستبتسم لي، ولكنني كنت مخطئًا.

أبعدت غرتها للمرة الثانية وقالت: "ولكن الآن... لقد توالت المصائب علينا، وأعظمها دائرة الإيرادات الداخلية. كنت أغرق في الديون، لكن ريغيس كان معي دائمًا. والآن، مات ذلك اللعين، وعن عمر تسعة وخمسين عامًا، من يموت في مثل هذا العمر ما لم يكن بدينًا أو مدمن مخدرات؟".

قلت لها: "الذين يعانون من السرطان؟".

رمقتني أمي وكانت عيناها تترقرقان بالدمع، ثم مررت أصابعها عبر شعرها مجددًا.

تمتمت ليز: "هوني عليك يا تي"، ودلكت لها رقبتها، لكنني لم أظن أن أمي قد شعرت بيدها.

"يمكن للكتاب أن ينقذنا، فلا شيء سينقذنا سوى كتاب كامل"، ارتسمت على وجهها ضحكة ساخرة أخافتني جدًا، "أنا أعلم أنه لم ينجز سوى بعض الفصول، ولكن لم يطلع أحدًا على هذه المعلومة. اعتاد أن يخبر أخي هاري وحسب، وبعد أن مرض أخذت مكانه. لم يكتب ملاحظات لأنه اعتقد أنها عقبة في مسيرة الإبداع يا جيمي. كما أنه لم يحتج إليها لأنه كان يعرف مساره تمامًا".

أمسكت بمعصمي مجددًا، وأحكمت قبضتها جيدًا، لدرجة أن أصابعها تركت أثرًا؛ لاحظت ذلك لاحقًا.

"ربما لا يزال يعرف مساره".

10

توقفنا عند برغر كينغ في تاري تاون، وحصلت على غدائي، كما حصلت على مخفوق الشوكولاته.

لم ترد أمي أن نتوقف، ولكن ليز أصرت.

"إنه فتى في فترة نموه، عليه أن يأكل، وإن لم ترغبي في ذلك".

أحببتها عندما قالت تلك العبارة؛ هناك أمور كثيرة أعجبتني في ليز، ولكن هناك بعض الأمور التي كان لديّ مآخذ عليها؛ بعض الأمور المهمة جدًا، وسأطلعكم عليها في وقت لاحق؛ لنقل فحسب إن مشاعري تجاه المحققة إليزابيث داتون كانت محيرة.

قالت شيئًا في رحلتنا إلى كروتون-أون-هادسون وعليّ أن أذكره؛ كانت تدردش وحسب، ولكنني اكتشفت أهمية تلك المعلومة في وقت لاحق - أعلم أنكم تلومونني على إكثاري من هذه العبارة - قالت ليز إن ثامبر قتل شخصًا مؤخرًا.

تصدر ثامبر قنوات الأخبار المحلية بين الآونة والأخرى على مدى عدة سنوات، فلطالما ظهر على قناة نيويورك ون التي كانت أمي تتابعها وهي تعد العشاء؛ كانت تتابعها أحيانًا ونحن نتناول الطعام إذا كانت هناك أخبار مشوقة. تصدرت أخبار عهد ثامبر الإرهابي - شكرًا نيويورك ون - قنوات التلفاز قبل ولادتي وإثر ذلك أصبح أسطورة سليندر مان أو كابتن هوك، ولكن اختصاصه كان الإرهاب بالمتفجرات.

سألتهما: "من؟ من قتل؟".

سألت أمي: "كم نحتاج من الوقت لنصل؟"، لم تكترث أمي لموضوع ثامبر، فقد كان لديها ما يكفيها من المشاكل.

فتجاهلت ليز أمي وقالت: "قتل شخص أخطأ في استعمال أحد هواتف مانهاتن العامة القليلة المتبقية؛ يعتقد فريق المتفجرات أن القنبلة انفجرت لحظة رفعه للسماعة؛ كان هناك إصبعان من الديناميت...".

سألت أمي: "هل علينا أن نتكلم عن هذا الآن؟ لماذا كل إشارات المرور حمراء؟".

تابعت ليز: "كان إصبعا الديناميت ملصقين على الحافة الصغيرة التي يضع عليها الناس النقود. عليّ الاعتراف أن ذلك اللعين ثامبر حذق للغاية. سوف يجهزون فريق عمل - ثالث فريق عمل منذ 1996 - وسأحاول أن ألتحق به. كنت عضوًا في الفريق الأخير، لذا ستكون لديّ فرصة، كما سأعرض أن أعمل خارج ساعات الدوام".

قالت أمي: "أصبح ضوء الإشارة أخضر، انطلقي".

انطلقت ليز.

11

كنت أتناول البطاطا المقلية - كانت باردة، ولكنني لم أمانع ذلك - عندما انعطفنا إلى شارع ضيق اسمه كوبلستون لين؛ لعله كان شارعًا مرصوفًا بالحصى في السابق، ولكنه عُبدَ مؤخرًا، وقد سمي المنزل الموجود في نهايته بكوخ الحصى. كان منزلًا ضخمًا وفخمًا وتعلو الطحالب سطحه. لقد سمعتموني جيدًا؛ أجل طحالب؛ أليس هذا جنونيًا؟ كانت البوابة مفتوحة، وكان هناك عدد من اللافتات على العمودين اللذين ثبتت عليهما البوابة مصنوعين من الحصى الرمادية؛ كتب على إحداها لا تتعدَّ على ممتلكات الغير، فنحن سئمنا من إخفاء الجثث، وضع على أخرى صورة كلب شيبرد ألماني وكتب احذروا من الكلب.

وقفت ليز وحملقت بأمي ورفعت حاجبيها.

قالت أمي: "كان ببغاؤه فرانسيس هو الجثة الوحيدة التي دفنها ريغيس؛ كان على اسم المستكشف فرانسيس دريك، ولم يكن لديه كلب أبدًا".

قلت لها من المقعد الخلفي: "بسبب الحساسية".

عبرت ليز البوابة، ركنت السيارة، وأزالت ضوء الشرطة.

كان باب المرأب مغلقًا ولم أرَ سيارات، فسألت: "من يعيش هنا؟".

قالت أمي: "لا أحد. لقد اكتشفت مدبرة المنزل موته. لم يعمل أحد في المنزل سوى هي ومزارع بدوام جزئي؛ إنها امرأة لطيفة؛ ولقد اتصلت بي بعد أن اتصلت بالإسعاف مباشرة. تأملت أن طلبها للإسعاف كان ناجمًا عن عدم تأكدها من موته، ولكنها أخبرتني بعدها أنها كانت متأكدة لأنه سبق لها أن عملت في دار للمسنين قبل أن تعمل لدى ريغيس، ولكن كان عليه أن يذهب إلى المستشفى أولًا، فقلت لها أن تعود إلى منزلها بعد أن تُنقل الجثة مباشرة. بدت مذعورة حقًا،

فسألتني عن مدير أعمال ريغيس فرانك ويلكوكس وقلت لها إنني سأتواصل معه. سأفعل هذا في وقت لاحق لأن ريغيس أخبرني أن فرانك وعقيلته في اليونان".

سألت ليز: "ماذا عن الصحافة؟ كان كاتبًا مشهورًا".

قالت أمي: "يا إلهي، لا أعرف"، ثم تلفتت حولها بتوتر، وكأنها تتوقع أن تلحظ بعض الصحفيين المتخفين بين الشجيرات، وتابعت: "لا أرى أحدًا هنا".

قالت ليز: "ربما لم يسمعوا بالخبر بعد، وأتوقع أنهم سيذهبون إلى الشرطة أو وحدة الإسعاف أولًا. إن الجثة ليست هنا، وقصتهم ليست هنا كذلك. هدئي من روعك، فما زال لدينا وقت".

"إن الإفلاس يتربص بي، ولديّ أخ عاجز وطفل سيذهب إلى الجامعة يومًا ما، لذا، لا تقولي لي أن أهدّئ من روعي. أتراه يا جيمي؟ أنت تعرف شكله أليس كذلك؟ قل لي إنك تستطيع رؤيته".

قلت لها: "أنا أعرف شكله، ولكنني لا أراه".

تأوهت أمي ومررت أصابعها عبر غرتها.

هممت لأمسك بمقبض الباب، ولكنه لم يكن موجودًا، فطلبت من ليز أن تفتح لي باب السيارة، ثم ترجلنا منها جميعًا.

قالت ليز: "اطرقي الباب، وإن لم يجب أحد، فسنرفع جيمي ليتحقق من النوافذ".

كان بوسعنا أن نفعل ذلك لأن النوافذ - المزينة بزخارف فخمة - كانت مفتوحة، فركضت أمي كي تتحقق من الباب، وبقيت وليز بمفردنا.

"أنت لا تعتقد أنه بوسعك رؤية الموتى مثل ذلك الطفل في الفيلم، أليس كذلك يا بطل؟".

لم أكترث إن كانت تصدقني أم لا، ولكن شيئًا ما أزعجني بنبرتها الساخرة.

"ألم تخبرك أمي عن خاتمَي السيدة بوركيت؟".

هزّت ليز كتفيها وقالت: "من الممكن أن تكون هذه القصة عبارة عن تخمين جيد. لم تصادف أي ميت في طريقنا إلى هنا أليس كذلك؟".

أجبتها بالنفي، ولكن الأمر كان أكثر تعقيدًا من ذلك؛ فلا يمكنك التأكد من هذا تمامًا إلّا إذا تحدثت إليهم... أو تحدثوا إليك. ذات مرة، رأيت جروحًا عميقة على رسغي فتاة كانت تشبه الأساور الحمراء عندما استقللت الحافلة أنا وأمي. كنت متأكدًا أنها ميتة مع أنها لم تكن مريبة مثل رجل سنترال بارك، ورأيت في ذلك اليوم أيضًا امرأة ترتدي ثوب استحمام ورديّ اللون واقفةً عند ناصية الجادة الثامنة. عندما سمح للمشاة بالمرور ظلت واقفة هنالك، وتلفتت حولها مثل سائحة؛ كانت لديها لفافات في شعرها؛ لعلها كانت ميتة، ولكن يمكن أن تكون حية وتجوب الأرجاء كخالي هاري قبل أن يذهب إلى دار الرعاية. قالت أمي إنّها استسلمت لفكرة أن خالي هاري لن يتحسن عندما بدأ يجوب الأرجاء بملابس النوم.

قالت ليز: "إن قارئي الطالع يصيبون التخمين في كل مرة، وهناك قول قديم مفاده أنّ الساعة المعطلة تعطي الوقت الصحيح مرتين في اليوم".

"حسنًا، أنتِ تقولين إن أمي مجنونة، وأنا أساعدها على ذلك، أليس كذلك؟".

ضحكت وقالت: "هذا يدعى تشكيكًا يا بطل. أنا لا أعتقد أنها مجنونة، ولكنها غارقة في يأسها وتتمسك بقشة. أتفهمني؟".

"أجل. أنت تقصدين أنها مجنونة".

أشاحت ليز بوجهها مجددًا وقالت: "إنها في غاية الإرهاق، وأتفهم ذلك، ولكن اختراع الأشياء لن يساعدها. آمل أن تفهم هذا يا بطل".

عادت أمي وقالت: "لم يجبني أحد والباب مقفل".

قالت ليز: "هيا لنتفحص النوافذ".

مشينا حول المنزل؛ استطعت أن أتفحص المنزل من نوافذ غرفة المعيشة لأنها كانت منخفضة، ولكن باقي النوافذ كانت أعلى مني. رفعتني ليز كي أتفحص تلك النوافذ، فرأيت غرفة معيشة كبيرة وفيها تلفاز وأثاث فخم، كما رأيت غرفة طعام فيها طاولة تتسع لفريق كرة قدم كامل؛ لم يكن ما رأيته طبيعيًا بالنسبة إلى رجل يُفضل الوحدة؛ ورأيت غرفة صغيرة كانت تطلق عليها أمي اسم غرفة الضيافة، وكان المطبخ خلفها، ولم يكن السيد توماس في أي من تلك الغرف.

"لعله في الطابق العلوي. لم أصعد إلى هناك يومًا، ولكن إذا مات في سريره... أو في الحمام... لعله...".

"أشك أنه مات وهو على المرحاض مثل إلفيس، ولكن هناك دومًا إمكانية لأي شيء".

لطالما أضحكتني تلك الحادثة، ولكنني توقفت عن الضحك عندما رأيت وجه أمي؛ كان الأمر جديًا، وكانت تفقد الأمل. كان هناك باب يؤدي إلى المطبخ، فحاولت أن تفتحه، ولكنه كان مقفلًا.

قالت لليز: "لعلنا نستطيع...".

قالت ليز: "لا تفكري في الأمر، فلن نقتحم المنزل مطلقًا يا تي. لديّ ما يكفي من المشاكل في القسم، ولا أريد أن أتسبب في قرع جرس إنذار النظام الأمني لبيت الكاتب المشهور المتوفى، كما أنني لا أريد أن أشرح سبب وجودنا هنا لبرينكس أو إي.دي.تي أو حتى الشرطة المحلية. وعلى ذكر الشرطة، ألم يتوفَّ بمفرده ثم وجدته مدبرة المنزل؟".

"أجل، السيدة كويل. لقد اتصلت بي كما قلت لك...".

"ستباشر الشرطة بطرح بعض الأسئلة عليها، ربما هي في خضم ذلك الآن، أو من الممكن للطبيب الشرعي أن يقوم بذلك. لا أعلم كيف تجري الأمور في مقاطعة ويستشيستير".

"هل هذا لأنه مشهور؟ ولأنهم يعتقدون أن أحدًا ما قد قتله؟".

"هذه إجراءات روتينية، وأعتقد لأنه مشهور أيضًا. ما أقصده هو أن علينا أن نغادر قبل أن يصلوا".

ارتسمت ملامح اليأس على وجه أمي وقالت: "ألم ترَ أثرًا له يا جيمي؟".

أجبت بالنفي.

تنهدت أمي ونظرت إلى ليز: "ألا يجدر بنا أن نتفحص المرأب؟".

لم تجبها ليز، ورفعت يديها وكأنها تقول: هذه حفلتك الخاصة.

"ما رأيك يا جيمي؟".

لم تخطر ببالي أدنى فكرة لماذا سيكون السيد توماس في المرأب، ولكن هذا ليس بأمر مستحيل، فلعله كان يفضل سيارة خاصة. "أعتقد أنه علينا أن نتحقق منه ما دمنا هنا".

توجهنا إلى المرأب ثم توقفت؛ كان هناك ممر من الحصى يؤدي إلى مسبح السيد توماس الذي كان جافًا. كانت تحف الأشجار بهذا الممر، واستطعت رؤية مبنى أخضر صغيرًا لأن معظم أوراقها قد تساقطت. أشرت إليه وسألت: "ما هذا؟".

ضربت أمي نفسها مجددًا، وبدأت أقلق أنها ستتسبب لنفسها بارتجاج دماغي أو شيء من هذا القبيل.

"يا إلهي، المنزل الصغير في الغابة. لِمَ لم أفكر بهذا أولًا؟".

سألتها: "ما هذا؟".

"إنه مكتبه، حيث يؤلف كتبه، من البديهي أن يكون في مكتبه ما دام موجودًا، هيا بنا".

أمسكت بيدي، وأسرعت في التوجه إلى ذلك المبنى، ولكنني توقفت عندما بلغنا الممر، وتابعت أمي الجري ولو لم تلمسني ليز على كتفي لكنت سأظل متجمدًا.

"أمي، أمي".

استدارت وبدت متلهفة - هذا اختيار ضعيف للكلمات – كانت في طريقها إلى الجنون التام، فصرخت قائلة: "هيا بنا، أنا متأكدة من أنه هناك إن لم يكن قد تلاشى".

قالت ليز: "هدّئي من روعك يا تي، سوف نتحقق من مكتبه ثم سنغادر".

"أمي".

تجاهلتني وبكت؛ نادرًا ما كانت تبكي أمي، فهي لم تبكِ حتى عندما اكتشفت المبلغ المالي الذي طالبتها به دائرة الإيرادات الداخلية. غضبت جدًا ذلك اليوم، وضربت المكتب براحتي يديها وشتمتهم، ولكنها كانت تبكي الآن. "يمكنك أن تذهبي، ولكننا سنظل هنا حتى يفقد جيمي الأمل، لعلك تعتبرين هذه مسرحية كوميدية وأنت تراعين السيدة المجنونة...".

"هذا غير منصف".

"ولكن حياتي على المحك...".

"أنا أعلم أن...".

"...وحياة جيمي و...".

"أمي".

إن أكبر سلبيات كونك طفلًا هو أن البالغين يتجاهلونك عندما يغوصون في مشاكلهم؛ ناديتهما معًا: "أمي، ليز، توقفا".

لقد توقفتا، ونظرتا إليّ؛ ها نحن نقف هناك، امرأتان وطفل يرتدي سترة نيويورك ميتس في يوم غائم من شهر كانون الأول.

أشرت إلى الممر الذي يؤدي إلى مكتب السيد توماس الذي يؤلف فيه كتب روينوك.

قلت لهما: "إنه هناك".

12

تقدم نحونا ولم يفاجئني هذا، إذ ينجذب معظم الأموات إلى الأحياء كانجذاب الحشرات إلى الضوء؛ إن هذا وصف مريع ولكنه حقيقي. كنت سأكتشف أنه ميت حتى ولو لم أعرف ذلك بسبب ملابسه؛ كان يومًا باردًا، ولكنه كان يرتدي قميصًا أبيض قصير الكمّين وسروالًا قصيرًا وينتعل صندلًا تطلق عليه أمي اسم حذاء المسيح.

لكن كان هناك شيء آخر مريب؛ وشاح أصفر عليه شريطة زرقاء.

قالت ليز لأمي إنّه ما من أحد هناك، وإنني أدعي فقط، ولكنني لم أكترث لهما، فأفلتُّ يد أمي واتجهت نحو السيد توماس حيث كان واقفًا.

قلت له: "مرحبًا يا سيد توماس. أنا جيمي كونكلين ابن تي. لم يسبق لي أن قابلتك".

قالت ليز من ورائي: "ما هذا بحق الله؟".

قالت لها أمي: "أخفضي صوتك"، ولكن تشكيك ليز أثر في أمي قليلًا حيث سألتني إذا كنت متأكدًا من وجود السيد توماس.

تجاهلت كلامها لأن الوشاح الذي كان يضعه أثار فضولي؛ كان يضعه عندما توفي.

قال لي: "كنت على مكتبي، لطالما وضعت هذا الوشاح وأنا أكتب. إنه تميمة حظي".

"وما فائدة الشريطة الزرقاء؟".

"هذه كانت جائزة فزت بها بمسابقة التهجئة الإقليمية عندما كنت في الصف السادس؛ لقد تغلبت على عشرين طفلًا من مدارس أخرى؛ لقد خسرت في المسابقة على مستوى الولاية، ولكنني فزت في المسابقة الإقليمية، فصنعت لي أمي هذا الوشاح، ووضعت هذه الشريطة عليه".

اعتقدت أن هذا شيء غريب، لأن الصف السادس كان منذ ملايين السنين بالنسبة إلى السيد توماس، ولكنه أطلعني على هذه المعلومات دون حرج. يستطيع بعض الموتى أن يشعروا بالحب - ألا تتذكرون عندما قلت لكم إنّ السيدة بوركيت قبّلت وجنة زوجها؟ كما أنهم يستطيعون الشعور بالبغض - اكتشفت هذا مع مرور الوقت - ولكن معظم المشاعر تختفي عندما يموتون، حتى إن الحب لم يبد قويًا بالنسبة إليّ. لا أحبذ أن أقول لكم هذا، ولكن البغض أقوى، ويظل لوقت أطول.

أعتقد أنه عندما يرى الناس أشباحًا - على خلاف الموتى - يحصل لهم ذلك لأنهم حاقدون، ويعتقد الناس أن الأشباح مخيفة لأنها مخيفة بالفعل.

استدرت نحو أمي وليز وقلت لهما: "أمي هل كنتِ تعلمين أن السيد توماس يضع وشاحًا عندما يكتب؟".

جحظت عيناها وقالت: "كان هذا في مقابلة سالون منذ ست أو سبع سنوات. أهو يضعه الآن؟".

"أجل، وعليه شريطة زرقاء من...".

"مسابقة التهجئة التي فاز بها، وضحك عندما ذكرها في المقابلة، وأسماها بتعلّقه السخيف".

قال السيد توماس: "لعله كذلك، ولكن معظم الكتّاب لديهم تعلّقات كهذه ومعتقدات روحية، فنحن نشبه لاعبي كرة البيسبول في هذا المجال يا جيممي. من يمكنه أن يجادل كاتبًا فاز بجائزة أفضل كتاب تسع مرات في نيويورك؟".

قلت له: "اسمي جيمي".

قالت ليز: "على الأرجح أنّك أخبرت هذا البطل عن المقابلة يا تي، أو لعله قرأها بمفرده؛ إنه قارئ متمكن. كان يعرف مسبقًا هذا كل ما في الأمر و...".

قالت أمي بغضب: "الزمي الصمت"، رفعت ليز يديها كعلامة استسلام.

وقفت أمي بجانبي، ونظرت إلى ممر الحصى غير المأهول؛ كان السيد توماس يقف أمامها مباشرة، وكان يضع يديه في جيبي سرواله. كان الجيبان واسعين، وأملت ألّا يضغطهما لأنه لم يكن يرتدي ثيابًا داخلية على الأرجح.

"قل له ما أمليته عليك".

قالت أمي أن أخبره أنه عليه مساعدتنا، وإلّا سنغرق في بحر من الديون، كما أن وكالتنا بدأت تخسر الزبائن لأنهم علموا أننا في مأزق وسنضطر أن نغلق. شبهتهم أمي بالجرذان الذين يغادرون سفينة غارقة عندما لم تكن ليز موجودة، وكانت تحتسي كأس النبيذ الرابع.

لم آبه بكل ذلك الكلام السخيف؛ كان على الموتى أن يجيبوا على أسئلتك - إلى أن يتلاشوا بالطبع - وعليهم أن يكونوا صادقين، ولذلك اختصرت الكلام، ودخلت في صلب الموضوع.

"تريد أمي أن تعرف ما الذي تتحدث عنه رواية سر روينوك، كما أنها تريد أن تعرف القصة بأكملها. أتعرف القصة كاملة يا سيد توماس؟".

"بالطبع"، ضغط السيد توماس يديه في جيبيه، وبدأ الشعر المحيط بصرته يظهر. لم أرد رؤية هذا، ولكن الأوان كان قد فات، "أنا أعرف كل المعلومات قبل أن أبدأ الكتابة".

"هل تحتفظ بها في عقلك؟".

"عليّ ذلك، وإلا سيسرقها أحد ما ويضعها على الإنترنت، ويفسد المفاجأة".

لو كان حيًا، سيعتبر كلامه تعبيرًا عن الذعر، ولكن كلماته بعد موته تعتبر واقعية، كما أنني وافقته الرأي. إن قراصنة الحواسيب كانوا يسربون المعلومات عبر الإنترنت دومًا، من الأمور السخيفة كالسياسة إلى ماذا سيحصل في آخر موسم من مسلسل فرينج4.

ابتعدت ليز عني وعن وأمي، وجلست على أحد المقاعد بجانب المسبح، وأشعلت سيجارة.

لعلها قررت أن تترك المختلين يديران مستشفى المجانين، وقد وافقت على هذا. كان لليز حسنات كثيرة، ولكن ذاك اليوم لم يكن يومها.

قلت للسيد توماس: "إن أمي تطلب منك أن تخبرني بكل شيء، وسأطلعها على المعلومات كي تكتب آخر كتاب في سلسلة روينوك؛ ستقول إنك أرسلت لها معظم الكتاب مع ملاحظات عن الفصول الأخيرة".

كان ليحارب بشراسة لو كان على قيد الحياة حيث كان متملكًا لعلمه الذي هو أهم شيء في حياته، ولكنه الآن كان على طاولة التشريح بسرواله القصير ووشاحه الأصفر الذي كان يضعه

حول عنقه وهو يكتب جمله الأخيرة. إن نسخته التي كانت أمامي حينها لم تكن متحفظة على أسرارها ولا تعكس تملكه لعمله.

سألني فقط: "أتستطيع فعل ذلك؟".

أكدت أمي لي – ولليز - ونحن في طريقنا إلى كوبلستون أنها تستطيع فعلها. لم يسمح ريغيس توماس لأي محرر أن يدقق كتبه، ولكن أمي كانت تفعل ذلك من دون أن تخبره؛ حتى عندما كان خالي هاري يدير العمل. لقد تم إجراء العديد من التعديلات الكبيرة، ولكنه لم يلحظها أبدًا... أو لم يتكلم في الأمر، وإن استطاع أحد ما في هذا العالم أن يحاكي أسلوب توماس فهو أمي، ولكن الأسلوب لم يكن مشكلة، وإنما القصة هي المشكلة.

قلت له باختصار: "أجل، إنها تستطيع فعلها".

أشار توماس إلى ليز وقال: "من هذه المرأة الأخرى؟".

"إنها صديقة أمي واسمها ليز داتون"، رمقتني ليز بنظرة خاطفة، ثم أشعلت سيجارة أخرى.

قال السيد توماس: "هل هي مع أمك؟".

"أنا متأكد من ذلك".

"توقعت هذا؛ لقد استشفّيت الأمر من نظراتهما".

سألتني أمي بلهفة: "ماذا قال؟".

أجبتها: "سألني إذا كنت أنت وليز صديقتين مقربتين". أعلم أن هذا أمر سخيف لأقوله، ولكن لم يخطر لي شيء آخر. سألت السيد توماس: "هل ستخبرنا بقصة سر رووينوك؟ وليس السرّ فقط، نريد القصة بأكملها".

"أجل".

قلت لأمي: "إنه موافق"، فأخرجت أمي هاتفها، وفتحت مسجل الصوت؛ لم ترد أن تفوت كلمة واحدة.

"قل له أن يخبرنا بأدق التفاصيل".

"تقول لي أمي أن ت...".

قال السيد توماس: "لقد سمعتها، أنا ميت، ولكنني لست أصم"، وانخفض سرواله أكثر.

قلت له: "ممتاز، لعلك تستطيع أن ترفع سروالك يا سيد توماس لأن الجوّ بارد".

رفع سرواله وقال: "هل الجوّ بارد؟ لا أشعر بذلك"، ثم أخبرني من دون أن يغير نبرته: "إن تي تتقدم في العمر يا جيممي".

لم أصحح له اسمي، ثم نظرت إلى أمي، ولاحظتُ التجاعيد على وجهها. متى بدأت بالتقدم في العمر؟

قلت له: "أخبرنا بالقصة من المقدمة".

قال السيد توماس: "هل هناك غير المقدمة لأبدأ منها؟".

13

استغرق الأمر ساعة ونصف، وكنا قد أرهقنا في نهاية المطاف؛ لم تتغير هيئة السيد توماس أبدًا بوشاحه الأصفر الذي يخفي بطنه المترهل. ركنت ليز سيارتها عند البوابة، ثم وضعت الضوء عليها؛ كانت هذه فكرة سديدة لأن خبر موت السيد توماس بدأ بالانتشار، وتهافت الناس ليلتقطوا صورًا لكوبلستون. قدمت إلينا مرة لتسألنا ما إن كنا قد انتهينا، ولكن أمي تجاهلتها، وقالت لها أن تتفحص المكان، ولكن ليز ظلت قريبة.

كان الأمر مثيرًا للأعصاب أكثر من كونه مرهقًا، لأن مستقبلنا كان على المحك، وكتاب السيد توماس كان أملنا الوحيد. لم يكن هذا منصفًا بالنسبة إليّ لأنه ليس عليّ أن أتحمل هذه المسؤولية في سن التاسعة، ولكن لم يكن هناك خيار أفضل؛ كان عليّ أن أكرر كل كلام السيد توماس لأمي - أو لجهاز تسجيل أمي - كما تكلم السيد توماس كثيرًا؛ لم يكن يبالغ عندما قال إنّه يستطيع حفظ كل شيء في رأسه؛ وظلت أمي تطرح أسئلة لإيضاح الأفكار. لم يمانع السيد توماس بهذا - فهو لم يكترث لشيء على الأرجح - ولكن إلحاح أمي أصبح يزعجني، كما أن حلقي جف، فجلبت لي ليز ما تبقى من كوب الصودا الخاص بها، فتجرعته دفعة واحدة ثم عانقتها.

قلت لها بعد أن أعطيتها الكوب: "شكرًا لك، لقد كنت بحاجة إليه حقًا".

انزاحت عن وجه ليز ملامح الملل، وبدت حنونة. لم تستطع أن ترى السيد توماس، ولم أكن واثقًا من أنها تصدقني، ولكنها كانت تعلم أن شيئًا مريبًا يحصل. لقد سمعت طفلًا عمره تسع سنوات يحكي قصة طويلة ذات حبكة معقدة وفيها الكثير من الشخصيات الأساسية وبعض الشخصيات الثانوية، كما سمعت مشهدًا حميميًا يتضمن ثلاثة أشخاص سوية - تحت تأثير عشب الخرفار الذي أمنه أميركي أصلي من شعب النوتوي - وكان هؤلاء الأشخاص هم جورج ثريدغيل، وبيوريتي بيتانكورت، ولورا غودو؛ لقد حملت لورا غودو في نهاية المطاف. يا للورا

المسكينة ذات الحظ العاثر! في نهاية ملخص السيد توماس، انكشف السر العظيم وكان لافتًا للنظر؛ لن أقول لكم ما هو، اقرأوا الكتاب واكتشفوا بأنفسكم، إن لم تكونوا قد قرأتموه بالفعل.

قال السيد توماس: "سأخبرك بالخاتمة الآن"، بدا السيد توماس منتعشًا مع أن كلمة منتعش ليست مناسبة لوصف رجل ميت.

بدأ صوته يتلاشى نسبيًا عندما قال: "لأنني أكتبها أولًا فهذه طريقتي".

قلت لأمي: "سيقول الجملة الختامية الآن".

قالت أمي: "حمدًا لله".

رفع السيد توماس إصبعه كالكاتب المخضرم الذي سيشرع في إلقاء خطاب وقال: "في ذلك اليوم، غربت شمس أرجوانية في سماء المستوطنة، وتوهجت تلك الكلمة المحفورة التي ستحير الأجيال بلون أحمر وكأنها مكتوبة بالدم: كروتون؛ قل لها أن تكتب كروتون بأحرف كبيرة يا فتى".

قلت لها هذا - مع أنني لم أفهم عبارة كتبت بالدم - ثم سألت السيد توماس إذا كنا قد انتهينا.

عندما قال لي إننا قد انتهينا سمعت صافرة سيارة شرطة.

قالت ليز: "يا إلهي، ها نحن ذا"، لم تكن نبرتها متوترة، وكأنها كانت تتوقع ذلك.

ارتدت سترتها، ووضعت شارتها في مكان واضح، ثم توجهت إلى أمام المنزل، وعادت مع شرطيين كانا يرتديان سترتين عليهما شارة مقاطعة ويستشيستير.

"يا للهيل! إنها الشرطة"، لم أفهم كلامه هذا.

في وقت لاحق، سألت أمي عن معنى هذا، وقالت لي إنّه عنى يا للهول.

قالت ليز: "هذه السيدة كولكين؛ إنها صديقتي ووكيلة السيد توماس، طلبت مني أن أحضرها إلى هنا كي تحرص على ألّا تتم سرقة بعض الممتلكات".

أضافت أمي: "أو المسوّدات"، كان جهاز التسجيل في حقيبتها وهاتفها في جيب بنطالها، "وخصوصًا مسوّدة آخر كتاب في السلسلة التي كان يكتبها السيد توماس".

رمقتها ليز بنظرة هذا يكفي ولكن أمي تابعت حديثها.

"كان قد أنهاها للتو، وينتظر الملايين قراءتها. شعرت أنه من واجبي أن أحقق هذا الأمل".

لم يكترث الشرطيان لهذا الكلام، فقد جاءا ليتفحصا الغرفة التي مات فيها السيد توماس، كما أرادا أن يتحققا من أن حجة الأشخاص الذين تمت ملاحظتهم في المنزل كانت قوية.

أشارت أمي إلى المنزل الصغير في الغابة وقالت: "أعتقد أنه توفي في مكتبه".

قال شرطي: "أجل، لقد أخبرنا أحد بهذا؛ سنتحقق من الأمر".

كان عليه أن يجثو على ركبتيه كي يصبح بطولي؛ كنت قصيرًا جدًا في تلك الأيام.

"ما اسمك يا بني؟".

"جيمس كولكين"، رمقت السيد توماس بنظرة وقلت: "جيمي، وهذه أمي".

"أتتغيب عن المدرسة اليوم يا جيمي؟".

تدخلت أمي بسلاسة قبل أن أجيب: "اعتدت أن أقله بعد أن يخرج من المدرسة، وظننت أنني لن أصل في الوقت المناسب اليوم، لذا جلبناه معنا. أليس كذلك يا ليز؟".

قالت ليز: "بالضبط. لم نتحقق من المكتب، لذا، لا نعرف إن كان مقفلًا أم لا".

قال الشرطي الذي تحدث إليّ: "تركته مدبرة المنزل مفتوحًا، ولكنها أعطتني مفاتيحها، لذا، سنقفله بعد إنهاء عملنا".

قال السيد توماس: "يمكنك أن تقول لهما إنّه لم يحدث شيء غير قانوني؛ لقد أصبت بذبحة قلبية وتألّمتُ كثيرًا".

لم أقل لهما شيئًا؛ كنت في التاسعة من عمري، ولكنني لم أكن غبيًا.

سألت ليز باحترافية: "هل هناك مفتاح للبوابة؟ لأنها كانت مفتوحة عندما جئنا".

قال الشرطي الثاني: "هناك مفتاح بالفعل، وسنقفلها بعد انتهائنا؛ إنها حركة جيدة أن تركني سيارتك هناك أيتها المحققة".

رفعت ليز يديها وكأنها قد انتهت من عملها: "حسنًا، لن نعترض طريقكما، فأنتما ستشرعان في العمل".

قال الشرطي الذي تحدث إليّ: "علينا أن نعرف شكل المسوّدة القيمة كي نحرص على أنها آمنة".

كانت هذه كرة تستطيع أمي صدّها فقالت: "لقد أرسل المسودة الأصلية إليّ منذ أسبوع، ولا أعتقد أن هناك نسخة أخرى؛ لقد كان مذعورًا للغاية".

اعترف السيد توماس وقال: "لقد كنت مذعورًا حقًا"، وقد عاود سرواله الانخفاض مجددًا.

قال الشرطي الثاني: "شكرًا على مراقبة الوضع"، ثم صافح الشرطيان أمي وليز وصافحاني أنا أيضًا، وانطلقا باتجاه الممر الذي يؤدي إلى المكتب الذي مات فيه السيد توماس. اكتشفت في وقت لاحق أن معظم الكتّاب قد ماتوا على مكاتبهم؛ إنها مهنة شاقة حقًا.

قالت ليز: "هيا بنا يا بطل"، حاولت أن تمسك بيدي، ولكنني لم أسمح لها.

قلت لهما: "اذهبا وقفا بجانب المسبح قليلًا".

سألت أمي: "لماذا؟".

رمقت أمي بنظرة غير مألوفة؛ نظرت إليها على أنها مغفلة؛ لقد ظننت حينها أنها كانت مغفلة. كانت هي وليز مغفلتين حقًا ووقحتين أيضًا.

"لأنك حصلت على ما تريدينه وعليّ أن أقدم امتناني".

ضربت أمي وجهها وقالت: "يا إلهي، يا لغبائي! شكرًا لك يا ريغيس".

كانت أمي تقدّم شكرها إلى حوض زهور، فوجهتها إلى المكان الصحيح قائلًا: "إنه هنا يا أمي".

قدّمت شكرها مجددًا، ولكن السيد ريغيس لم يرده؛ لم يكترث لذلك، ثم اتجهت بعد ذلك إلى حوض السباحة الفارغ لتقف بجانب ليز التي كانت تشعل سيجارة أخرى.

لم يكن عليّ أن أشكر السيد توماس لأن الموتى لا يأبهون لذلك فعلًا، ولكنني قدمت امتناني على أية حال. كنت أريد أن أكون مهذبًا كما أنني أردت شيئًا آخر.

قلت له: "صديقة أمي؛ ليز".

لم يجبني السيد توماس، ولكنه نظر إليها.

"على الأرجح تعتقد أنني ألفق الأمر؛ أعتقد أنها تشك في حدوث أمر مريب، لأن طفلًا مثلي لا يستطيع اختراع قصة كاملة؛ وبالمناسبة، أحببت ما قد جرى لجورج ثريدغيل...".

"شكرًا لك؛ لم يستحق أفضل من ذلك".

"ولكنها ستقلب الأمر في عقلها كي تحصل على ما تريده".

"سوف تلجأ إلى المنطق".

"إن كان هذا ما تسميه".

"إنه كذلك".

"هل هناك من طريقة يمكنك أن تثبت لها أنك هنا؟"، كنت أفكر كيف دلك السيد بوركيت وجنته عندما قبّلته زوجته.

"لا أدري يا جيممي. ألديك أدنى فكرة عما ينتظرني؟".

"أنا آسف يا سيد توماس؛ لا أعلم شيئًا".

"أعتقد أنني سأكتشف ذلك بمفردي".

مشى باتجاه المسبح الذي لن يسبح فيه مجددًا؛ لعل أحدًا ما سيملأه عندما يتحسن الطقس، ولكن السيد توماس سيكون قد اختفى. كانت أمي وليز تتهامسان وتتشاركان سيجارة ليز. إن إحدى سيئات ليز أنها جعلت أمي تعاود التدخين مجددًا، مع أنها أصبحت تدخن قليلًا، وحصرًا مع ليز، ولكن التدخين دخل حياتها مجددًا. وقف السيد توماس أمام ليز، وشهق بعمق ثم نفخ في وجهها؛ لم يكن لدى ليز غرة حيث كان شعرها مرفوعًا ومربوطًا بإحكام، ولكنها مسحت عينيها وكأن رياحًا محملة بالغبار قد أصابتها وتراجعت إلى الخلف، وكادت تسقط في المسبح لو أنّ أمي لم تمسك بها.

قلت لها: "أشعرت بهذا؟"، يا له من سؤال غبي! ثم تابعت: "كانت هذه فعلة السيد توماس"، الذي تركنا واتجه نحو مكتبه.

صرختُ له: "أشكرك مجددًا يا سيد توماس"، لكنه لم يجبني، بل اكتفى برفع يده التي كانت في جيب سرواله. استطعت أن أرى شق السباك بوضوح - هذا ما كانت تطلقه أمي على الرجل الذي يرتدي سروالًا ذا خصر منخفض - ولست نادمًا على ذكري تلك التفاصيل. جعلناه يقول - في ساعة واحدة - كل شيء تطلب منه شهورًا لإتمامه؛ لم يستطع الرفض ولعل ذلك غفر له سرواله المتدلي.

وبالطبع، لم يستطع أحد سواي رؤية ذلك.

14

حان الوقت للتحدث عن ليز داتون؛ ترقبوا هذا؛ ترقبوا ليز.

طولها خمس أقدام ونصف - بطول أمي - وذات شعر أسود يصل إلى كتفيها - عندما لا يكون مرفوعًا بتسريحة الشرطة المعتادة - وكان لديها ما يقول عنه بعض الفتيان في صفي - وكأن لديهم أية خبرة في ذلك - جسد منحوت ومغرٍ، كانت ابتسامتها ساحرة وعيناها رماديتين عطوفتين في العادة؛ ولكنها تتحول عندما تغضب؛ فعندما تغضب يغطي هاتين العينين برودٌ كيوم شتاء قارس في تشرين الثاني.

أحببتها لأنها كانت لطيفة كما حصل في تلك المرة التي أعطتني فيها الصودا من دون أن أطلب منها ذلك - عندما كانت أمي تحاول استجرار كل المعلومات حول كتاب السيد توماس الأخير - وكانت تشتري لي بين الآونة والأخرى سيارة ماتشبوكس جديدة لأضيفها إلى مجموعتي، وأحيانًا كانت تجثو على الأرض لتلعب معي، وفي أحيان أخرى كانت تداعب شعري وتعانقني، كما كانت تدغدغني حتى أصرخ لها أن تتوقف وإلا سأبلل نفسي... كانت تطلق على هذا اسم "سقاية سروالي الداخلي".

في بعض الأحيان لم تكن تعجبني، لأنها كانت تراقبني، وتنظر إليّ وكأنني حشرة مريبة، وخصوصًا بعد حادثة كوبلستون؛ ففي بعض الأحيان، لم تكن عيناها عطوفتين، كما أنّها لم تكن تعجبني عندما تقول لي إنّ غرفتي فوضوية، مع أنها كانت هكذا، ولكن أمي لم تكترث يومًا لذلك. كانت ليز تصفها بقولها إنّها تلوث بصري، أو، هل ستتبع هذا النهج مدى الحياة يا جيمي؟ كما كانت تظن أنني قد كبرت على إبقاء المصباح منارًا ليلًا، ولكن أمي وضعت نهاية لهذا النقاش بقولها: "اتركيه وشأنه يا ليز، سيطفئه عندما يصبح جاهزًا".

أتعلمون ما أكبر سيئاتها؟ لقد سرقت جزءًا من عاطفة واهتمام أمي اللذين اعتدت أن أتلقاهما. خطر لي أنه كان لديّ استحواذ على أمي حيث عاملت ليز على أنها غريمتي بعد أن قرأتُ

نظريات فرويد في سنتي الثانية في الجامعة؛ أليس هذا بديهيًا؟

بالطبع، لقد كنت أشعر بالغيرة، وكان لديّ كامل الحق في ذلك، إذ لم يكن لديّ أب ولم أعرف من هو في بادئ الأمر لأن أمي رفضت الحديث عنه.

في وقت لاحق، اكتشفت أن لديها سببًا وجيهًا يمنعها من الحديث عنه، ولكن في ذلك الوقت لم أكن أعرف سوى أنا وأنت في مجابهة العالم يا جيمي، إلى أن جاءت ليز.

تذكروا أيضًا أنني لم أرَ الكثير من أمي حيث كانت مشغولة في إنقاذ الوكالة بعد أن قضى عليها جيمز ماكينزي - أكره أن لديه نفس اسمي الأول - وهذا كان قبل أن تأتي ليز. كانت أمي تبحث دائمًا عن الذهب في حوض القمامة كي تعثر على كاتبة أخرى مثل جين رينولدز.

لنقل إن ميزان السيئات والحسنات كان متوازنًا عندي عندما ذهبنا إلى كوبلستون، ولكن الحسنات كانت غالبة قليلًا: إن سيارات ماتشبوكس أمر مهم للغاية، كما أن متابعة برنامج ذا بيغ بانغ ثيوري معهما على الأريكة كان ممتعًا؛ ولكنني أردت أن أحب الذين تحبهم أمي. كانت ليز تسعدها، ولكن اكتشفت في وقت لاحق - ها هي تلك الكلمة مجددًا - أنها لم تعد تسعدها كثيرًا.

كانت عطلة عيد الميلاد ممتازة، حيث تلقيت هدايا رائعة منهما، وتناولنا الطعام في مطعم تشاينيز توكسيدو قبل أن يتوجب على ليز المغادرة إلى العمل - قالت يومًا إن المجرمين لا يأخذون استراحة - لذا عدتُ وأمي إلى قصرنا القديم المشرف على الحديقة.

ظلت أمي على اتصال مع السيد بوركيت بعد انتقالنا، وفي بعض الأحيان كنا نخرج ثلاثتنا. قالت أمي: "لأنه وحيد. ولماذا أيضًا يا جيمي؟".

قلت لها: "لأننا نحبه"، وكان هذا صحيحًا.

تناولنا مرة عشاء ليلة الميلاد في شقته - شطائر لحم الديك الرومي وصلصة التوت من مطعم زابار - لأن ابنته كانت في الساحل الغربي ولم تستطع القدوم؛ ولقد اكتشفت المزيد عن هذا الموضوع في وقت لاحق.

وأجل، لأننا كنا نحبه.

وكما قلت لكم، إن السيد بوركيت أستاذ والآن أصبح بروفيسورًا فخريًا، وقد فهمت في وقت لاحق أن هذا يعني أنه متقاعد، ولكنه يأتي أحيانًا ليدرّس في جامعة نيويورك مقرره العبقري الذي

سمي الأدب الإنكليزي والأوروبي، فقلت له إن هذا مدهش.

كان عشاء جميلًا ببساطته، وحظينا بالمزيد من الهدايا حينها، وأعطيت السيد بوركيت كرة ثلجية ليضيفها إلى مجموعته. في وقت لاحق، اكتشفت أن هذه كانت مجموعة زوجته، ولكنه أعجب بها، وشكرني، ووضعها في الخزانة، وأهدته أمي كتابًا كبيرًا اسمه الشرح الرسمي لشيرلوك هولمز لأنه كان يعمل دائمًا في ذلك الوقت، وكان يعطي مقررًا اسمه الغموض والقوطية في الخيال الإنكليزي. بدوره أهدى أمي قلادة كانت لزوجته، فرفضتها أمي وقالت له إنّ عليه أن يتركها لابنته، حينها قال السيد بوركيت إن سوبان قد حظيت بكل حلي أمها القيمة، وبالإضافة إلى ذلك قال إنّ الجزاء من جنس العمل، قاصدًا بذلك أن ابنته إن لم تتكبد عناء السفر إلى الشرق، فلن تحظى بشيء مطلقًا، وقد اتفقت معه على هذه النقطة. من يعلم كم عيد ميلاد سيشهد أبوها في عمره هذا؟ كان متقدمًا في العمر جدًا، كما أن الآباء كانوا نقطة ضعفي لأنني لم أحظَ بواحد. أعلم المثل الذي يقول إنّه لا يمكنني أن أفتقد شيئًا لم أحظَ به من قبل، ففيه بعض من الصحة، ولكن شيئًا ما ينقصني وكنت أفتقده كثيرًا. كانت هديتي من السيدة بوركيت كتابًا أيضًا اسمه النسخة الأصلية لعشرين قصة خيالية.

سألني السيد بوركيت: "أتدري ماذا يقصدون بأصلية؟"؛ كان سيؤدي دور الأستاذ مدى الحياة.

هززت برأسي نفيًا.

انحنى إلى الأمام وهو يضع يديه بين فخذيه ثم قال: "ما أول شيء خطر في بالك عندما قرأت العنوان؟".

"أتعني أنها نصوص غير خاضعة للرقابة؟ ومخصصة لمن يزيد عمرهم عن السبعة عشر عامًا؟".

قال لي: "ممتاز، لقد أصبت المعنى تمامًا".

قالت أمي: "أتمنى ألّا يحتوي على الكثير من المشاهد الحميمية؛ إنه يقرأ وكأنه في الثانوية وهو في سن التاسعة فقط".

قال السيد بوركيت: "لا مشاهد حميمية، بل يحتوي على مشاهد عنيفة جدًا" - لم أناده بالأستاذ في تلك الأيام لأنني شعرت أنني سأكون مدعيًا للثقافة - "على سبيل المثال، إن الأختين

الشريرتين في القصة الأصلية لسيندريلا كما ستجدها هنا...".

اقتربت أمي مني وهمست لي: "تحذير من حرق الأحداث".

لم يرتدع السيد بوركيت، وأخذ دور المعلم، ولم أمانع هذا حيث كان الحديث مثيرًا للاهتمام.

"إن الأختين غير الشقيقتين في قصة سندريلا الأصلية تقطعان أصابعهما كي يصبح الحذاء الزجاجي على مقاس أرجلهما".

قلت له: "هذا مقزز"، ولكنني قلتها بأسلوب يحفّزه على إخباري بالمزيد.

"لم يكن ذلك الحذاء زجاجيًا يا جيمي، فلعله حدث خطأ في الترجمة، واتبعت شركة والت ديزني ذلك الخطأ في الرسوم المتحركة. يا لتلك الشركة التي تشوه القصص الخيالية! كان الحذاء مصنوعًا من جلد السناجب".

قلت له: "هذا مذهل"، لم تكن تلك المعلومة مشوقة كقطع الأصابع، ولكنني قلت هذا كي يتابع.

"لا تقبل الأميرة الضفدع في القصة الأصلية للملك الضفدع، بل تقوم...".

قالت أمي: "هذا يكفي، دعه يقرأ ويكتشف بنفسه".

وافقها السيد بوركيت حيث قال: "هذه أفضل طريقة، ولعلنا نتناقش حول مضمونها ذات يوم يا جيمي".

أنت تقصد أنك ستتحدث عنها في الوقت الذي أُنصت فيه إليك؛ فكّرت في ذلك، ولكنني لم أمانع ذلك.

قالت أمي: "هيا نحتسِ شراب الشوكولاته؛ لقد أحضرته من زابار، وأستطيع أن أعيد تسخينه فورًا".

قال السيد بوركيت: "ليجعلني ماكدوف أرى أفضل ما لديه، وسنرى من سيبكي أولًا طالبًا التوقّف"، استخدم مشهدًا من مسرحية ماكبيث كي يقول لأمي أجل، واحتسينا الشوكولاته مع الكريما المخفوقة.

كان هذا أفضل عيد ميلاد قضيته في طفولتي، ابتداء من شطائر ليز الصباحية وختامًا بالشوكولاته الساخنة عند السيد بوركيت بجانب منزلنا القديم. كان عشاء رأس السنة جميلًا أيضًا مع أنني غفوت على الأريكة بين أمي وليز قبل أن تحل الساعة الثانية عشرة؛ كانت الأوضاع رائعة، ولكن المشاكل بدأت في العام 2010.

كانت ليز وأمي تخوضان جدالات شغوفة حول الكتب، فكانتا تفضلان الكتّاب أنفسهم تقريبًا - لقد بدأت علاقتهما بفضل ريغيس توماس، ألّا تتذكرون ذلك؟ - كما فضلتا الأفلام نفسها، ولكن ليز كانت تلوم أمي على تركيزها على المبيعات على حساب القصص، وعلاوة على ذلك، لقد استهزأت من عمل بعض زبائن أمي ونعتتهم بالأميين نسبيًا.

صرخت أمي وقالت إنّ هؤلاء الكتّاب هم من يدفعون إيجارنا ويتيحون لنا دفع الفواتير، كما أنهم ساهموا في دفع كلفة دار الرعاية الذي مكث فيها خالي هاري.

تصاعدت تلك الجدالات، وتخطت مرحلة الكتب والأفلام.

أصبحتا تتجادلان في مواضيع سياسية، حيث كانت ليز تحب عضو الكونغرس جون باينر الذي سمّته أمي جون بونير وهذا يماثل كلمة الانتصاب في اللغة الإنكليزية. كانت تعتبر أمي أن نانسي بيلوسي شجاعة جدًا لأنها تحارب في لعبة للرجال - كانت نانسي سياسية أخرى، ولعلكم تعرفونها لأنها لا تزال ناشطة حتى يومنا هذا - وكانت تعتبرها ليز ليبرالية حمقاء.

إن أكبر جدال دار بينهما في مجال السياسة كان حول فكرة أن ليز لم تصدق أن أوباما قد ولد في أميركا، فنعتتها أمي بالغبية والعنصرية. كانتا في غرفة النوم المغلقة - كانت كل الجدالات تجري داخلها - ولكن صوتهما كان عاليًا لدرجة أنني فهمت كل حرف حيث كنت أجلس في غرفة المعيشة.

بعد بضع دقائق، غادرت ليز المنزل، ولم تعد إلّا بعد مضي أسبوع؛ تصالحتا في غرفة النوم عندما عادت إلى المنزل؛ سمعت ذلك أيضًا لأن الصلحة كانت صاخبة جدًا، فقد تعالت أصوات التأوه، والضحك، وصرير نوابض السرير.

اعتادتا أن تتجادلا حول الأساليب السياسية، وكان هذا كله قبل عدة سنوات من حركة حياة السود مهمة؛ كانت تلك نقطة جدال عقيمة مع ليز، حيث انتقدت أمي أسلوب التحليل العنصري وقالت ليز إنّه لا يمكنك كتابة تحليل جرائمي من دون وجود ملامح ظاهرة - لم أفهم ذلك حينها،

ولكنني فهمته الآن - قالت أمي إنّه عندما يُحاكَم أشخاص بيض وأشخاص سود بشأن الجريمة نفسها، فإن الأسود يحظى بأشد أنواع العقاب بينما يفلت الأبيض أحيانًا بفعلته، فردّت عليها ليز بقولها: "أرني حيًا يتبع مارتن لوثر كينغ وأنا سأريك حيًا تسوده الجريمة".

تصاعدت المشاكل وحتى في عمري الصغير فهمت السبب وراء ذلك؛ الإفراط في الشرب. توقفت وجبة الفطور التي كانت تعدها أمي مرتين أو ثلاث مرات في الأسبوع.

كنت أستيقظ صباحًا لأراهما في ثياب الاستحمام وتحتسيان القهوة وعيونهما محمرة.

كنت أعثر على ثلاث أو أربع زجاجات نبيذ ملقاة في القمامة، وفيها أعقاب سجائر.

كانت أمي تقول: "اسكب لنفسك كوبًا من العصير مع رقائق الذرة ريثما أرتدي ملابسي"، وكانت ليز تقول حينها ألّا أصدر صخبًا لأن الأسبرين لم يكن قد أخذ مفعوله بعد، وكان لديها إما اجتماع صباحي أو قضية طارئة؛ لم يقبلوها في فريق العمل على قضية ثامبر.

في تلك الأوقات، كنت أتناول فطوري بهدوء فأرة، وكانت أمي تصبح مستيقظة تمامًا بحلول الوقت الذي تأخذني فيه إلى المدرسة؛ وتجاهلت اعتراض ليز على هذا حيث كانت تعتبرني كبيرًا بما يكفي لأرتاد المدرسة بمفردي. لقد بدا كل هذا طبيعيًا بالنسبة إليّ؛ لن يكون بمقدورك فهم العالم تمامًا قبل سن الخامسة عشرة أو السادسة عشرة، وقبل ذلك الوقت كنت تقبل بالواقع كما هو وتتماشى معه. أصبح منظر تلك المرأتين وهما تعانيان من آثار الثمالة عادة أبدأ بها صباحي، ولم ألحظ وقتها رائحة النبيذ التي تخللت إلى كل شيء؛ لقد لاحظت ذلك جزئيًا، واكتشفت هذا عندما سكب زميلي في الجامعة زجاجة زينفانديل وتصاعدت الرائحة ذاتها.

ارتسم في ذهني حينها شعر ليز الأشعث وعينا أمي الجاحظتان، لقد تمرست في ذلك الوقت في فن إغلاق خزانة رقائق الذرة بهدوء وسكينة.

أخبرت زميلي في السكن الجامعي أنني سأذهب إلى المتجر كي أشتري علبة سجائر - أجل، لقد ورثت تلك العادة السيئة - ولكنني كنت أريد أن أهرب من تلك الرائحة في الحقيقة؛ فإذا خيرتموني بين رؤية الموتى - أجل، لا زال بمقدوري رؤيتهم - ورائحة النبيذ المسكوب، فسأختار رؤية الموتى.

في كل يوم من أيام الأسبوع اللعين.

15

أمضت أمي أربعة أشهر في كتابة سر روينوك ولم تفارقها آلة التسجيل. سألتها ذات مرة إذا كانت كتابة رواية السيد توماس تشبه رسم اللوحة، ففكّرت لبرهة وقالت إنّ الأمر أشبه باستخدام علبة ألوان مرقمة في الرسم أي اتباع تعليمات كي تصنع شيئًا لائقًا ويستحق العرض.

عيّنت أمي مساعدة كي تستطيع التفرغ للرواية بشكل كامل، وقالت لي ذات مرة أثناء عودتنا إلى المنزل - كان هذا متنفسها الوحيد بين عامي 2009 و2010 – إنها لم تملك المال الكافي لتوظيف مساعدة، وفي الوقت ذاته لم تستطع المتابعة وحدها. كانت باربارا مينز قد أنهت تعليمها للتو في كورس إنكليزي. كما كانت متلهفة كي تحظى بأي وظيفة ولو بأجر بخس كي تكتسب خبرة؛ لقد كانت محترفة في عملها وساعدتنا كثيرًا، وأحببتها كثيرًا، وأحببت عينيها الخضراوين الواسعتين؛ كانتا جميلتين حقًا.

كتبت أمي الكثير، وأعادت الكتابة في معظم الأحيان، كما أنها أعادت قراءة كتب روينوك لأنها أرادت أن تغوص في بحر أفكار ريغيس توماس. استمعت إلى صوتي، كانت تعيد مقطعًا وتقدم مقطعًا، وعملت على استكمال أجزاء اللوحة. ذات ليلة، وعندما أنهت أمي وليز زجاجة النبيذ الثانية، سمعت أمي تستشير ليز حول كتابة جملة بمعنى ثديان ناهدان مكللان بحلمتين ورديتين لأن طاقتها قد خارت. تلقّت عدة اتصالات من سوق الكتب حول آخر مستجدات كتاب توماس ريغيس – أحد هذه الاتصالات كان من جريدة نيويورك بوست - حيث انتشرت شائعات حول الموضوع. (عادت بي الذاكرة لأن سو غرافتون توفيت قبل أن تنهي ألفبائية ألغازها). قالت أمي إنها تكره الكذب، وأتذكر أن ليز قالت لها: "ولكنك تجيدينه"، ورمقتها أمي بنظرة باردة، وتتالت تلك النظرات في نهاية علاقتهما.

كذبت أمي على محرري ريغيس وقالت إنّه ائتمنها على مسوّدة السر وإنه لا يجدر بها أن تطلع أحدًا عليها - باستثنائها بالطبع - قبل عام 2010 كي يزيدوا من حماسة القراء؛ قالت ليز إنّ

هذا ليس عذرًا قويًا، ولكن أمي لم توافقها الرأي، فقالت: "لم يسبق لفيونا أن حرّرت له من قبل"، قصدت فيونا ياربرو التي كانت تعمل لدى ناشر أعمال ريغيس الرسمي دوبلدي، "اقتصر عملها على إرسال رسالة لريغيس بعد استلامها المسوّدات تقول فيها إنّه يتفوق على نفسه في كل مرة".

عندما سلمت الكتاب في نهاية المطاف، كانت أمي غاضبة ومتوترة للغاية - لم أنجُ من غضبها ذاك - كما كانت تنتظر فيونا لتبعث رسالة تقول فيها إن هذا الكتاب لم يكن من تأليف ريغيس ولا يشبه أسلوبه، وأعتقد أنكِ كتبته بنفسك يا تي، ولكنّ الأمر نجح، فلم تلحظ فيونا أي تغيير، وإن لاحظت، فهي لم تعلق عليه، كما أن القراء لم يلحظوا الاختلاف عندما اقتحم الكتاب الأسواق في خريف العام 2010.

نشرت مجلة بابليشيرز ويكلي ما يلي: لقد خبأ توماس التحفة للنهاية.

ونشرت صحيفة كيركيس ريفيوز الخبر التالي: إن هذه الجوهرة الثمينة لن تخيب آمال محبي الخيال التاريخي العنيف.

كما نشر دوايت غارنير في ذا نيويورك تايمز: إن هذا الأسلوب السردي من عادات توماس: وكأنك تأكل من بوفيه مفتوح في مطعم على الشارع.

لم تكترث أمي بالمراجعات، بل بالفوائد والعائدات بعد أن أنعشت سلسلة روينوك من جديد، ولقد تذمرت كثيرًا لأنها لم تحظَ سوى بنسبة خمس عشرة بالمئة من الأرباح مع أنها كتبت الرواية بمفردها، ولكنها انتقمت من الجميع بأنها قد كرست ذلك المبلغ لذاتها، فقالت لي: "لأنني استحققت هذا".

قالت ليز: "لست متأكدة من هذا يا تي، لقد كنت محض رسول؛ كان يجدر بك أن تكرسي هذا المال لجيمي".

رمقتها أمي بإحدى نظراتها الباردة، ولكنني كنت أتفق نسبيًا مع ليز. إن فكرتم في الأمر مليًا، ألّا يجعلني هذا رسولًا أيضًا؟ فكانت تلك الرواية من تأليف ريغيس توماس سواء أكان ميتًا أم على قيد الحياة.

16

انظروا إلى هذا الآن: لقد أطلعتكم على عدة أسباب جعلتني أحب ليز، وهناك أسباب أخرى بالطبع، كما أطلعتكم بدوري على جميع سيئاتها، ولعل هنالك أسباب أكثر أيضًا. إن الأمر الذي تداركته في وقت لاحق - أجل، لقد استخدمت هذه العبارة مجددًا - هو احتمالية أنها لا تحبني. لِمَ كنت سأفكر بهذا؟ كنت أعتبر نفسي محبوبًا، واعتدت على هذا، كما أنني لم أكن مباليًا بخصوص هذا الأمر. كنت محبوبًا من قبل أمي وأساتذتي وخصوصًا الأستاذة ويلكوكس التي علمتني في الصف الثالث، وعانقتني في نهاية الفصل، وقالت إنّها ستشتاق إليّ. كما كنت محبوبًا من صديقيَّ المقربَين فرانكي رايدر وسكوت آبراموبتز - مع أننا لم نتناقش في الموضوع يومًا - ولا تنسوا ليلي راينهارت التي قبلتني على شفتيّ، كما أنها أعطتني بطاقة قبل أن ننتقل إلى مدرستين مختلفتين، كان على غلافها رسم جرو حزين، وكانت قد كتبت عليها: سأشتاق إليك في كل يوم تغيب فيه عني، وقد ختمت تلك الجملة بقلب صغير بجانب اسمها، كما رسمت لي قبلات عليها. كنت متأكدًا أن ليز لم تكرهني لفترة وجيزة على الأقل، ولكن هذا الأمر تغير بعد زيارتنا إلى كوبلستون حيث بدأت تنظر إليّ ككائن مريب. أعتقد - لا، بل متأكد - أنها بدأت تخشاني ومن الصعب عليك أن تحب شخصًا تخشاه، ولعله أمر مستحيل.

في بعض الأحيان، كانت ليز تقلني من المدرسة عندما تكون في مناوبة دورية بدلًا من أمي مع أنها كانت تعتقد أنني كبير بما يكفي لأعود بمفردي. كانت دوريتها تبدأ عند الساعة الرابعة صباحًا وتستمر حتى الظهر في حين كان معظم المحققين يتفادون تلك الدورية، ولكن ليز قامت بها لعدة مرات. لم يسبق لي أن فكرت في الأمر ولكنني اكتشفت في وقت لاحق - ها هي تلك العبارة مجددًا، أجل أجل أجل، حسنًا حسنًا حسنًا - أنها لم تكن محبوبة من قبل رؤساء عملها، كما أنهم لم يثقوا بها كثيرًا. لم يكن لهذا أي علاقة بارتباطها بأمي؛ لقد كانت شرطة نيويورك منفتحةً في المواضيع التي تتعلق بالجنس، كما أن هذا الأمر لم يتعلق بأنها كانت تشرب كثيرًا؛ فلم تكن

الوحيدة؛ ولكن بعض الرؤساء بدأوا يشكون أن ليز كانت شرطية فاسدة، كما أنهم - تحذير بحرق الأحداث - كانوا محقين في شكهم ذلك.

17

أحتاج أن أطلعكم على مرتين أقلتني فيهما ليز من المدرسة حيث أتت في كلتا المرتين بسيارتها - لم تكن السيارة نفسها التي ذهبنا فيها إلى كوبلستون - بل السيارة التي تقول إنها ملكها. كانت المرة الأولى في العام 2011 وكانت على علاقة مع أمي حينها، أما المرة الثانية فكانت في العام 2013 أي بعد سنة تقريبًا من انتهاء علاقتهما؛ سأخبركم عن هذا في وقت لاحق.

في ذلك اليوم، خرجت من المدرسة، وكانت حقيبتي على كتفي - كان ذلك رائجًا في الصف السادس - وكانت ليز تنتظرني قرب الرصيف في سيارتها الهوندا سيفيك وقد ركنتها على الجانب الأصفر من الرصيف الذي كان مخصصًا لذوي الاحتياجات الخاصة، ولكنها وضعت شارة الشرطة عليها؛ كان ذلك دليلًا كافيًا لأفهم شخصيتها في سن الحادية عشرة.

استقللت السيارة، ومسحت أنفي بسبب رائحة السجائر النتنة التي لم يستطع ملطف الجو برائحة الصنوبر التغطية عليها. بحلول ذلك الوقت، أصبح لدينا شقتنا الخاصة ولم نعد نعيش في الوكالة، وذلك بفضل رواية سرّ روينوك، ولكن ليز قادت بي إلى مركز المدينة بدلًا من المنزل.

سألتها: "إلى أين نحن ذاهبان؟".

قالت لي: "سآخذك في جولة قصيرة؛ ستكتشف في وقت لاحق".

كانت تلك الجولة إلى مقبرة وودلون في برونكس وهي المثوى الأخير لدوك إيلنغتون وهيرمان ميلفي وبارثولومو "بار" ماستيرسون وغيرهم؛ أعلم بشأنهم لأنني بحثت عن الأمر، وكتبت عنهم تقريرًا للمدرسة في وقت لاحق؛ عبرت ليز جادة ويبستير، ثم جابت الشوارع المحيطة بالمقبرة؛ كانت الجولة جميلة، ولكنها مخيفة في الوقت ذاته.

سألتني: "أتعلم كم شخصًا دفن هنا؟"، هززت رأسي نفيًا، فتابعت: "هناك ثلاثمئة ألف شخص؛ إنه عدد يقارب عدد سكان تامبا، وقد تحققت من الأمر في الويكيبيديا".

سألتها: "لماذا نحن هنا؟ يجب أن أعود باكرًا لتأدية واجباتي"، لم أكن أكذب، ولكن واجباتي لم تكن ستستغرق مني سوى نصف ساعة. كان يومًا مشرقًا وبدت ليز طبيعية - ليز صديقة أمي الظريفة - ولكن تلك الجولة كانت مريبة جدًا.

تجاهلت عذري بخصوص الواجبات وقالت: "هناك أشخاص يدفنون على مدار اليوم. انظر إلى يسارك"، أشارت إليّ بيدها، وخففت من سرعة السيارة، كانت تشير إلى أناس متجمهرين حول تابوت وضع فوق قبر محفور، وكان هناك قسيس على الأرجح يحمل كتابًا مفتوحًا. كنت متأكدًا من أنه ليس حاخامًا فهو لم يكن يعتمر القبعة المعهودة.

ركنت ليز السيارة، ولم يكترث أحد من المشيعين لوجودنا لأنهم كانوا يصغون إلى كلام القسيس.

قالت لي ليز: "أنت تستطيع رؤية الموتى، وأنا أصبحت أثق بهذه المقدرة الآن؛ لم يعد بمقدوري أن أشكك بعد ما جرى في منزل توماس. أتستطيع رؤية أي ميت هنا؟".

قلت لها بعدم ارتياح تام: "كلا"، لم أنزعج بسبب ليز بل بحقيقة أن هنالك ثلاثمئة ألف ميت مدفونين هنا. اعتقدت أنني سأراهم واقفين إلى جانب قبورهم مع أنني كنت على دراية تامة بأنهم يختفون بعد وفاتهم بأيام قليلة قد تصل إلى أسبوع. كما أنني أصبحت أتخيل أنهم سيتهافتون علينا كما هي الحال في أفلام الزومبي.

"هل أنت متأكد؟".

نظرت إلى الجنازة - أو قداس الدفن، سمه ما شئت - لعل القسيس بدأ بالصلاة لأن المشيعين أحنوا رؤوسهم؛ لقد أحنى الجميع رؤوسهم ما عدا شخص واحد كان يرفع رأسه إلى السماء، وبدا غير مبالٍ.

أخيرًا قلت لها: "أعتقد أن ذاك الرجل الذي يرتدي سترة زرقاء من دون ربطة عنق ميت، ولكنني لست متأكدًا من هذا. لا أستطيع تمييزهم إذا كانت أسباب الوفاة طبيعية، أي دون أية آثار على أجسادهم".

قالت لي: "أنا لا أرى رجلًا من دون ربطة عنق".

"لعله ميت".

سألتني ليز: "أيحضرون مراسم دفنهم دائمًا؟".

"كيف لي أن أعرف يا ليز؟ هذه زيارتي الأولى إلى مقبرة. رأيت السيدة بوركيت في جنازتها في الكنيسة، ولكننا لم نذهب إلى دفنها، وعدنا إلى المنزل".

نظرت إلى الجنازة وكأنها مغيبة ثم قالت: "ولكنك تستطيع رؤيته، يمكنك أن تذهب وتتحدث إليه كما تحدثت إلى السيد توماس ريغيس".

"ولكنني لا أريد هذا"، كنت أفضل ألّا أقول لكم أنني كنت نزقًا، ولكن هذه الحقيقة، لقد صرخت وأنا أجيبها. "أتريدين أن أتحدث إليه أمام كل ذلك الحشد؟ أمام زوجته وأولاده؟ لا يمكنك أن ترغميني على فعل ذلك".

داعبت شعري وقالت: "هدئ من روعك أيها البطل. أنا أحاول أن أستوعب الوضع فقط. كيف وصل إلى هنا برأيك؟ لأنه لم يستقل سيارة أوبر بالطبع".

"لا أدري. أريد أن أعود إلى المنزل".

قالت لي: "سنعود قريبًا"، ثم أكملت جولتنا حول القبور والنصب والشواهد الكثيرة، فصادفنا ثلاث جنائز أخرى، كانت اثنتان منها صغيرتين كالأولى حيث كان القسيس عاديًا، ولكن الجنازة الأخيرة كانت كبيرة جدًا حيث احتشد فيها ما يقارب المئتي شخص على تلة، وكان نجم المناسبة - الذي كان يعتمر قبعة ويضع طيلسانًا على كتفيه - يستخدم مكبرًا للصوت. سألتني ليز في كل مرة عما إذا كنت أستطيع رؤية الميت وأجبتها أنه ليست لديّ أدنى فكرة.

قالت لي: "أتوقع أنك لن تخبرني حتى لو كنت متأكدًا، فمن الواضح أنك منزعج".

"أنا لست منزعجًا".

"لا، أنت كذلك حقًا. إذا أخبرت تي أنني أحضرتك إلى هنا فسنتجادل. أعتقد أنه يمكنك إخبارها بأننا ذهبنا لتناول المثلجات أليس كذلك؟"، أوشكنا على الوصول إلى جادة ويبستير حينها وبدأت أشعر بالتحسن؛ لقد أقنعت نفسي أن ليز كانت تشعر بالفضول وكان هذا شيئًا عاديًا.

"يمكنني قول هذا إذا اشتريت لي المثلجات فعلًا".

ضحكت وقالت: "هذه رشوة، هذه جريمة من الدرجة الثانية"، ثم داعبت شعري، وكنا على ما يرام بعدها.

غادرنا المقبرة، ورأيت امرأة ترتدي فستانًا أسود، وتجلس على مقعد، وهي تنتظر الحافلة، وكانت بجانبها فتاة صغيرة ترتدي فستانًا أبيض وتنتعل حذاء أسود. كان الفتاة ذات شعر ذهبي ووجنتين ورديتين وثقبٍ في رقبتها، فلوّحت لها. لم تنتبه ليز إليّ حينها حيث كانت منهمكة بالقيادة ولم أخبرها بما رأيت. في تلك الليلة، غادرت ليز شقتنا لتذهب إما إلى عملها أو إلى منزلها، وكنت أوشك على إخبار أمي بما جرى؛ كنت سأعتقد في وقت لاحق أن الثقب كان لمساعدتها على التنفس بعد اختناقها بالطعام، ولكن الأوان كان قد فات؛ كانت تجلس هناك قرب أمها التي لم يكن لديها أدنى فكرة.

ولكنني كنت أعرف الحقيقة، لقد رأيت تلك الفتاة ولوّحت لها، ولوّحت لي بالمقابل.

18

في أثناء تناولنا للمثلجات في ليكيتي سبليت اتصلت ليز بأمي وأخبرتها عن مكاننا، ثم قالت ليز لي: "إنها لمقدرة غريبة للغاية. ألّا ترتعد خوفًا بسببها؟".

فكرت في أن أسألها عما إذا كانت تخاف من فكرة أن النجوم تظل للأبد، ولكنني لم أفعل ذلك، واكتفيت بأن قلت لها كلا. إن الشخص يعتاد على الأمور المذهلة ويحسبها أمورًا مفروغًا منها، إنه يستطيع ألّا يعتبرها كذلك، ولكنه يرفض هذا، فهناك الكثير من المعجزات وهي تحيط بنا في كل مكان.

19

سأخبركم عن اليوم الثاني الذي أقلتني فيه ليز من المدرسة قريبًا، ولكن عليّ الآن أن أخبركم عن اليوم الذي قطعتا فيه علاقتهما؛ صدقوني عندما أقول لكم إنّ ذاك الصباح كان مخيفًا.

في ذلك اليوم، استيقظت من دون أن أنتظر المنبه على صوت صراخ أمي؛ لقد شهدتها وهي غاضبة في مرات كثيرة، ولكن ليس إلى هذه الدرجة.

"لقد جَلبتها إلى شقتي، حيث أعيش مع ابني؟".

تمتمت ليز الإجابة ولم أستطع فهم ما تقوله.

صرخت أمي قائلة: "أتعتقدين أنني أكترث لهذا؟ يطلقون على هذا اسم الوزن الثقيل في المسلسلات البوليسية؛ من الممكن أن أدخل السجن ببساطة".

رفعت ليز صوتها وقالت: "كفاك دراما يا تي، فلم يكن هناك احتمال...".

صرخت أمي قائلة: "هذا لا يهمني، كانت هنا، موجودة على هذه الطاولة اللعينة بجانب وعاء السكر، لقد جلبت المخدرات إلى منزلي، الوزن الثقيل".

"كفي عن هذا يا تي، فنحن لسنا في حلقة من مسلسل لو آند أوردر"، وشرعت ليز في الصراخ. وقفتُ بجانب باب غرفتي حافيًا، ووضعت أذني عليه لأسترق السمع، وتصاعدت ضربات قلبي.

لم يكن هذا نقاشًا أو جدالًا، بل كان شيئًا يفوقهما جدية: "لو لم تفتشي في جيبي...".

"أتقولين إنني كنت أفتش في أغراضك؟ كنت أسدي لك معروفًا، فكرت في أن آخذ بنطالك والسترة للتنظيف. منذ متى والمخدرات هنا؟".

"منذ فترة وجيزة. إن الرجل الذي ائتمنني على الكيس خارج المدينة وسيعود يوم غ...".

"منذ متى تمامًا؟".

أخفضت ليز صوتها مجددًا.

"لماذا جلبتها إلى هنا؟ لماذا لم تضعيها في خزنة أسلحتك في شقتك؟".

"أنا لا..."، ثم سكتت فجأة.

"أنت ماذا؟".

"أنا لا أمتلك خزنة أسلحة، وجرت عدة عمليات سطو في مبنانا، بالإضافة إلى أنني كنت سأمكث هنا طوال الأسبوع، إذ اعتقدت أن هذا سيوفر عليّ وقتًا".

"سيوفر عليك وقتًا؟".

لم تجب ليز عن هذا السؤال الساخر.

"ليست لديك خزنة أسلحة في شقتك؟ ما الذي كذبتِ به أيضًا عليّ يا ليز؟"، لم تبدُ أمي غاضبة بعد الآن، بل بدت مجروحة وعلى وشك البكاء. أردتُ أن أخرج، وأطلب من ليز أن تدع أمي وشأنها مع أن أمي هي من بدأت المشكلة عندما عثرت على ذلك الشيء؛ الوزن الثقيل؛ ولكنني لم أتحرك من مكاني وكنت أرتعش.

تمتمت ليز بعض الكلمات.

"أهذا هو سبب مشاكلك في القسم؟ هل تتعاطين هذه المخدرات وهل... تشاركين في تجارة أو توزيع هذه المخدرات؟".

"أنا لا أتعاطاها ولا أوزعها".

ارتفع صوت أمي مجددًا وقالت: "ولكنك تمررينها، يبدو هذا تجارة بالنسبة إليّ"، وعادت بعدها إلى ما كان يزعجها في المقام الأول.

لم يكن ذاك الشيء الوحيد، ولكنه الشيء الأهم، وأضافت: "جلبت المخدرات إلى شقتي حيث يعيش ابني، وأنت تقفلين على سلاحك في سيارتك، فلطالما أصررت عليك أن تفعلي هذا،

ولكنني عثرت الآن على أونصتين من الكوكايين بدلًا عنه"، ضحكت أمي بشكل ساخر ثم أضافت قائلة: "لقد وضعته في جيب سترة الشرطة البديلة".

بدت ليز مستاءة حين قالت: "لا تزن أونصتين".

قالت أمي: "لقد ترعرعت على وزن اللحم في ملحمة أبي، وعندما أحمل شيئًا بيدي أعلم كم يزن".

قالت ليز: "سأخرجها حالًا".

"افعلي ذلك فورًا يا ليز وبسرعة فائقة، ثم عودي وخذي أغراضك، ولكن عليك أن تتصلي بي قبل ذلك كي أحدد موعدًا لا يكون فيه جيمي هنا".

قالت ليز: "أنت لا تقصدين هذا"، ولكن كان واضحًا بالنسبة إليّ أنها لم تصدق ما قالته.

"أقصد هذا تمامًا؛ لقد حسمت أمري، وسأسدي لك خدمة ولن أُبلّغ عنك، ولكن إن أريتني وجهك هنا مجددًا - ما عدا المرة التي ستأخذين فيها أغراضك - فسأبلغ عنك؛ أنا أعدك بذلك".

"أصحيح أنك تلقين بي خارجًا؟".

"أجل، خذي مخدراتك واغربي عن وجهي".

شرعت ليز بالبكاء، وكان ذلك فظيعًا، وشرعت أمي بالبكاء بعد أن غادرت ليز، وكان ذلك أفظع، فتوجهتُ إلى المطبخ وعانقتها.

سألتني أمي: "كم سمعت من حديثنا؟"، وأجابت قبلي: "أتوقع أنك سمعته كله، لن أخفي عنك شيئًا يا جيمي؛ كان معها مخدرات. لا تخبر أحدًا عن هذا أتفهمني؟".

"كوكايين حقيقي؟"، كنت أبكي أنا الآخر ولم ألحظ ذلك إلى أن سمعت صوتي المرتجف.

"أجل. وبما أنك تعرف الكثير، سأخبرك أنني جرّبته مرة في الجامعة، ثم جرّبته اليوم، وتخدر لساني، وعندها تأكدت أنه كوكايين.

"ولكنها أخرجته من الشقة".

إن الأمهات الصالحات يعرفن ما يخيف أولادهن، ويمكن لناقد أن يصنف هذه الجملة على أنها كلاسيكية، ولكنها حقيقة علمية؛ قالت: "أجل، ونحن الآن بخير. كان صباحًا مروعًا، ولكن الأمر انتهى. سنفتح صفحة جديدة ونتجاوز الأمر تمامًا".

"حسنًا، هل قطعت علاقتك بليز؟".

مسحت أمي وجهها بمنشفة وقالت: "لا أعتقد أننا كنا على علاقة مؤخرًا، ولم يخطر ببالي الأمر قبل الآن. استعد الآن لنذهب إلى المدرسة".

في تلك الليلة، وأنا أؤدي واجباتي سمعت صوت انسكاب سوائل، وشممت رائحة النبيذ؛ كانت الرائحة أقوى من سابقاتها، فخرجت من غرفتي لأرى أنها سكبت الزجاجة - مع أنني لم أسمع صوت تحطم الزجاج - ورأيت أمي بجانب المجلى وهي تحمل دوق نبيذ أحمر بيد ودورق نبيذ أبيض باليد الأخرى؛ كانت تسكبهما في المجلى.

"لماذا تسكبينهما في المجلى يا أمي؟ هل أصبح النبيذ فاسدًا؟".

قالت أمي: "أجل، لقد أصبح النبيذ فاسدًا منذ ثمانية أشهر، وضارًا بالنسبة إليّ وعليّ أن أتوقف عن الشرب".

في وقت لاحق، اكتشفت أنّ أمي ذهبت إلى منظمة مدمني الكحول المجهولين بعد انفصالها عن ليز، ولكنها قررت أنها لا تحتاج إلى منظمة كي تعالج مشكلتها - قالت عن تلك المنظمة: "هناك رجال مسنون يندبون حظهم على شربهم لزجاجة كحول منذ ثلاثين سنة - ولا أعتقد أنها توقفت عن الشرب بشكل كامل لأنني كنت أشم رائحة نبيذ في نفسها أحيانًا وهي تقبلني مساءً، لعلها كانت تشرب مع زبائنها، وإن كانت تحتفظ بزجاجة نبيذ في المنزل، فلم أدرِ أين كانت تخبئها، ولم أبذل جهدي في محاولة العثور عليها.

كل ما أعرفه أنني لم أرها بعدها ثملة أو تعاني من آثار الثمالة، وهذا ما كان يريحني.

20

بعد ذلك اليوم، لم أرَ ليز إلّا بعد سنة أو أكثر؛ لقد اشتقت إليها قليلًا، ولكن سرعان ما اختفى ذلك الشعور، فكلما قاربت من الاشتياق إليها كنت أذكر نفسي أنها خيبت أمل أمي وجرحتها. ظللت أنتظر أن تجلب أمي صديقة أخرى، ولكنها لم تفعل ذلك، وذات مرة سألتها عن الموضوع فأجابتني: "إن المؤمن لا يُلدَغ من الجحر مرتين يا جيمي. نحن بخير وهذا أهم شيء".

لقد كنا بخير فعلًا، وكل هذا بفضل توماس ريغيس - ظل كتابه متصدرًا لائحة أفضل كتّاب نيويورك لمدة سبعة وعشرين أسبوعًا - وزبائن جدد؛ لقد عرفتنا باربارا مينز إلى أحدهم، وكانت حينها تعمل دوامًا كاملًا وقد حصلت على مكتب عليه اسمها في العام 2017؛ فانتعشت الوكالة من جديد، وعاد خالي هاري إلى دار الرعاية في بايون؛ الدار نفسها ولكن بإدارة جديدة؛ لم تكن رائعة، ولكنها أفضل من سابقتها. لم أعد أرى أمي غاضبة في الصباح، واشترت ملابس جديدة. قالت لي مرة في ذلك العام: "عليّ أن أشتري ثيابًا جديدة لأنني خسرت خمسة عشر رطلًا بعد أن توقفت عن شرب النبيذ".

كنتُ في المدرسة الإعدادية في ذلك الوقت، وكانت مزعجة في بعض الأيام وجيدة في أحيان أخرى، ولكن كان هنالك جانب مشرق، إذ كان بإمكان الطلاب الرياضيين الذين ليس لديهم حصة في نهاية اليوم أن يرتادوا نادي الرياضة أو غرفة الفنون أو غرفة الموسيقى أو الذهاب إلى المنزل، وفي ذلك الحين كنت ألعب في فريق كرة السلة للمبتدئين، وكان الموسم قد انتهى، لكنني لا زلت مؤهلًا للعب. في بعض الأيام، ذهبت إلى غرفة الفنون لأن تلك الفتاة الفاتنة ماري أومالي كانت ترتادها أحيانًا، إن لم تكن تعمل على إحدى لوحاتها المائية، كنت أعود إلى المنزل سيرًا على قدميّ إن كان الطقس جميلًا - بمفردي بالطبع - وكنت أستقل الحافلة إن كان الطقس ماطرًا.

في اليوم الذي عادت فيه ليز داتون إلى حياتي، لم أكن آبه بماري لأنني حصلت على لعبة إكسبوكس في عيد ميلادي، وأردت أن ألعب بها. كنت على وشك الوصول إلى المنزل، وكانت

حقيبتي على كتفيّ - لم أعد أضعها على كتف واحدة كما كانت الحال عندما كنت في الصف السادس - عندما صاحت باسمي.

"مرحبًا أيها البطل. كيف أمورك يا صغيري؟".

كانت تستند على سيارتها وتضع ساقًا فوق الأخرى، كما كانت ترتدي سروالًا من الجينز، وقميصًا قصيرًا وفوقه سترة شرطة نيويورك بدلًا من الشارة. فتحت السترة كي تريني قراب مسدسها، ولكنه لم يكن خاليًا هذه المرة.

تمتمت لها: "مرحبًا يا ليز"، ثم هممت لأنعطف يمينًا.

"توقف قليلًا، أريد أن أتحدث إليك".

توقفت، ولكنني لم أنظر إليها كما لو أنها ميديوسا، وكأن نظرة مني إليها ستحولني إلى حجر.

"لا أستطيع ذلك لأن أمي ستغضب مني".

"لا داعي لأن تعرف يا جيمي. استدر نحوي، فمظهر ظهرك يزعجني".

كان صوتها ينم على أنها تشعر بالذنب واستعطفني ذلك، فاستدرت نحوها؛ كانت قد أغلقت سترتها، ولكن المسدس لا زال ظاهرًا.

"أريد أن آخذك في جولة".

قلت لها: "إنها ليست فكرة سديدة"، كنت أفكر في فتاة اسمها رامونا شاينبيرغ، ارتادت بعض صفوفي في بداية السنة الدراسية، ولكنها اختفت بعدها. قال لي صديقي سكوت آبراموبتز أن أباها قد خطفها في الوقت الذي كانت هناك قضية حضانة وأخذها إلى مكان ناء، وأمل سكوت أن يكون هناك شجر نخيل في ذلك المكان على الأقل.

قالت ليز: "أنا في أمس الحاجة إلى قدراتك يا بطل".

لم أجبها، ولكنها كانت تعلم أنني كنت مترددًا حيث ابتسمت لي ابتسامة عطوفة انعكست على عينيها الجميلتين اللتين لم تكونا مرهقتين في ذلك اليوم؛ أضافت قائلة: "لعلني لن أستفيد منها، ولكن يجب أن أحاول. أريدك أن تحاول".

"أحاول ماذا؟".

لم تجبني، بل مدت يدها إليّ وقالت: "لقد ساعدت أمك في مشكلة ريغيس توماس أليس كذلك؟ ألم يحن الوقت كي ترد لي تلك الخدمة؟".

لقد كنت أنا من ساعد أمي ذلك اليوم وليز أوصلتنا بسرعة إلى سبرين بروك باركاوي فقط، ولكنها توقفت لتشتري لي طعامًا في حين أمي لم تكترث للموضوع، كما أنها أعطتني الصودا عندما جف حلقي وأنا أتكلم، لذا استقللت معها السيارة. لم أطمئن للأمر، ولكنني رافقتها على أي حال؛ كان للبالغين قوة جاذبة وخصوصًا عندما يتوسلون إليك، واستغلت ليز تلك النقطة.

سألتُ ليز إلى أين نحن ذاهبان، فأجابتني أننا سنبدأ بسنترال بارك وربما سنذهب إلى أماكن أخرى بعدها.

قلت لها إن أمي ستقلق إن لم أعد إلى المنزل بحلول الساعة الخامسة، فقالت ليز إنها ستبذل قصارى جهدها لترجعني قبل حلول ذلك الوقت، ولكن ما تحتاجني لأجله بالغ الخطورة.

21

قالت لي حينها ما كان سبب حاجتها إلي.

زرع ثامبر أولى متفجراته في مدينة إيستبورت التابعة للونغ آيلاند والقريبة من سبيونك في العام 1996، حين ألقى ثامبر إصبع ديناميت مع مؤقت في إحدى حاويات القمامة في حمامات متجر كينغ كولين؛ كان المؤقت عبارة عن منبه بخس الثمن، ولكنه فعّال، فانفجر الديناميت في تمام الساعة التاسعة مساء أي عند وقت إغلاق المتجر، فجُرح ثلاثة أشخاص جميعهم من موظفي المتجر، حيث أصيب اثنان منهم بجروح طفيفة، ولكن الثالث كان يخرج من الحمام لحظة حدوث الانفجار، ففقد عينه وذراعه اليمنى حتى المرفق. وصلت رسالة بعد يومين إلى قسم شرطة مقاطعة سافولك كانت مكتوبة بواسطة آلة كاتبة من نوع آي.بي.أم سيليكتريك، وقد جاء فيها: ما رأيكم في عملي حتى الآن؟ ثامبر.

زرع ثامبر تسع عشرة متفجرة قبل أن يُقتل أي أحد، صاحت ليز: "تسع عشرة، ولم يكن الأمر ناجمًا عن قلة حيلة، لقد زرعها في المناطق الإدارية الخمس وزرع بعضها في نيو جيرسي، ولأكون أكثر دقة - نيو جيرسي وفورت لي - كانت كل القنابل مصنوعة من الديناميت الكندي".

ولكن معدل الجرحى والمصابين كان مرتفعًا، فكاد يصل إلى الخمسين مصابًا عندما قُتل الرجل الذي اختار الهاتف العام المفخخ في جادة ليكزنغتون. أُتبع كل انفجار برسالة إلى قسم الشرطة المسؤول عن المنطقة التي حدث فيها ذاك الانفجار، كما نصت كل رسالة على ما يلي: ما رأيكم في عملي حتى الآن؟ ترقبوا المزيد. ثامبر.

كان يمر وقت طويل بين كل انفجار وآخر قبل موت ريتشارد سكالايز - إنه اسم الرجل الذي استخدم الهاتف العام وحصل الانفجار - كانت أقرب مدة بين انفجارين متتالين ستة أسابيع، وأطول مدة كانت سنة، ولكن وتيرة هجمات ثامبر أصبحت أسرع بعد سكالايز.

أصبحت القنابل أكبر والمؤقتات أكثر تعقيدًا. حصل تسعة عشر انفجارًا بين عامي 1996 و2009؛ عشرون مع انفجار الهاتف العام.

حدثت عشرة انفجارات بين عام 2010 واليوم الجميل الذي أقلتني فيه ليز من المدرسة في أيار عام 2013، وقد جُرِح في تلك الانفجارات عشرون شخصًا وقتل ثلاثة. وبحلول ذاك الوقت، لم يكن ثامبر مجرد أسطورة أو هداف نيويورك الأساسي بل أصبح نجمًا عالميًا. كان متمرسًا في التخفي عن الكاميرات، وعندما كان يخفق، كانت الكاميرات تظهر رجلًا يرتدي معطفًا ويضع نظارة شمسية ويعتمر قبعة فريق اليانكيز. كان يحني رأسه إلى الأسفل، وتظهر من تحت القبعة بعض خصلات الشعر البيضاء؛ ولكن يمكن أن يكون شعرًا مستعارًا. تم تشكيل ثلاث فرق عمل لمراقبته على مدى سبع عشرة سنة من عهد طغيانه وإرهابه. حُلّ فريق العمل الأول في فترة استراحة ضمن عهد إرهابه حيث اعتقدت الشرطة أنه توقف، وحُلّ الفريق الثاني بعد حدوث زعزعة في القسم، وبدأ فريق العمل الثالث مهامه في العام 2011، بعد أن سرّع ثامبر من وتيرة هجماته. لم تقل لي ليز كل هذا في طريقنا إلى سنترال بارك بل اكتشفت تلك المعلومات وأكثر في وقت لاحق.

منذ يومين، حظوا بفرصة في القضية، وكانوا ينتظرونها بفارغ الصبر، فقد ألقي القبض على ديفيد بيركويتز "سون أوف سام" بسبب مخالفة مرورية، كما قبض على تيد باندي لأنه قد نسي أن ينير المصابيح الأمامية، ولكن ثامبر - كان اسمه الحقيقي كينيث آلان ثيريولت - قد قبض عليه لأن عامل النظافة في المبنى الذي يقطنه تعرض لحادث طفيف في يوم رمي القمامة. كان يجر عربة محملة بالقمامة ضمن رواق لإيصالها إلى الشاحنة المركونة أمامًا، فارتطم بحفرة صغيرة وسقطت إحدى سلات القمامة، وعندما انحنى لينظف الفوضى وجد حزمة من الأسلاك وورقة صفراء مطبوع عليها كاناكو. ما كان ليتصل بالشرطة بسبب هذا فقط، ولكنه وجد كبسولة تفجير من نوع داينو نوبل ملصقة بإحدى الأسلاك.

وصلنا إلى سنترال بارك، وركنا السيارة قرب عدة سيارات شرطة محلية - اكتشفت في وقت لاحق أن سنترال بارك لديها قسم شرطة خاص بها ورقمه 22 - فوضعت ليز إشارة الشرطة على السيارة، ومررنا بالشارع 86 لفترة ثم انعطفنا إلى الطريق المؤدي لنصب ألكسندر هاملتون. كان هذا شيئًا لم أكتشفه في وقت لاحق بل قرأت اللافتة اللعينة وحسب، أو الصفيحة المعدنية؛ هذا أمر لا يهم.

"التقط عامل النظافة في المبنى صورة بهاتفه للأسلاك، والورقة، وكبسولة التفجير، ولكن فريق العمل لم يستلمها حتى اليوم التالي".

قلت لها: "هل تقصدين البارحة؟".

"أجل، عندما وصلتنا كنا على ثقة بأننا سنمسك بالمجرم".

"بالطبع، وهذا بسبب كبسولة التفجير".

"أجل، ولكن ليس بسبب ذلك فقط؛ لقد كان كاناكو اسم شركة كندية تصنع الديناميت. أخذنا لائحة بأسماء سكان المبنى، واستقصينا معظمهم من دون عمل ميداني لأننا كنا نعلم أننا نبحث عن رجل أعزب وأبيض على الأرجح. كان هناك ستة أشخاص فقط تجتمع فيهم هذه الصفات، ولكن واحدًا منهم فقط عمل في كندا".

ازدادت حماستي فأجبت: "فبحثتم عنه عبر الإنترنت أليس كذلك؟".

"أنت محق، واكتشفنا أن كينيث ثيريولت لديه جنسيتان، الأولى أميركية والثانية كندية. لقد عمل في الكثير من أعمال البناء في كندا الباردة كما عمل في مقالع الحجارة والتكسير. كان هذا ثامبر أو كان من المرجح أن يكون هو".

نظرت إلى ألكسندر هاملتون بشكل خاطف لأقرأ اللافتة وأتأمل بنطاله الفخم فقط. كانت ليز تمسك بيدي وترشدني إلى طريق خلف التمثال؛ في الواقع، كانت تسحبني بعنف.

"اقتحمنا الشقة مع فريق التدخل السريع، ولكنها كانت خالية؛ لم تكن خالية تمامًا حيث كانت أغراضه موجودة، ولكنه لم يكن موجودًا، ولسوء الحظ، لم يحتفظ عامل نظافة المبنى بالمعلومة لنفسه مع أنه حُذّر، فثرثر لبعض المقيمين وانتشر الخبر. عثرنا على آي.بي.أم سيليكتريك في شقته".

"أهذه آلة كاتبة؟".

أومأت برأسها وقالت: "إن هذا النوع كان متعدد الصفات والخطوط. إن محتويات تلك الآلة ماثلت رسائل ثامبر".

قبل أن أخبركم عن الممر والمقعد الذي لم يكن هناك عليّ أن أطلعكم على عدة أشياء اكتشفتها في وقت لاحق. كانت ليز تقول الحقيقة حيال فضيحة ثيريولت، ولكنها ظلت تستخدم الضمير نحن؛ نحن كذا ونحن كذا، ولكنها لم تكن ضمن فريق عمل ثامبر، بل كانت ضمن فريق العمل الثاني الذي حُلّ إثر حدوث الزعزعة في القسم التي تاه فيها جميع أعضاء القسم، ولكن بحلول عام 2013 لم يكن لليز سوى منصب هامشي في القسم، وذلك لأن الشرطة لديها اتحاد قوي. كانت العلاقات الداخلية تضيق الخناق بشدة، ومن غير المعقول أن تكون جزءًا من فريق عمل قاتل متسلسل في اليوم الذي أقلتني فيه من المدرسة؛ كانت تحتاج إلى معجزة وكنتُ أملها الوحيد.

تابعت ليز قائلة: "أصبح لدى كل شرطي في المناطق الإدارية اسم ومواصفات كينيث ثيريولت. طوقت الحدود بأكملها بالحراس والكاميرات؛ وأنا متأكدة من أنك تعلم أن هناك الكثير من الكاميرات. أصبح الإمساك بهذا المجرم حيًا أم ميتًا أحد أهم أولوياتنا، لأننا اعتقدنا أنه سيقرر صنع أمجاد أخيرة؛ لعله سيزرع قنبلة في الجادة الخامسة أو في الغراند سنترال، ولكنه أسدى لنا صنيعًا".

توقفت ليز، وأشارت إلى منطقة قرب الممر حيث لاحظت أن العشب كان ممهدًا، ما يعني أن كثيرًا من الناس قد وقفوا هناك.

"لقد جاء إلى الحديقة، وجلس على مقعد، ثم فجّر رأسه بسلاح روجر. 45 أيه. سي. بي".

نظرت إلى المنطقة بدهشة فائقة.

"إن المقعد في مختبر التحاليل الجنائية التابع لشرطة نيويورك في جامايكا، ولكن هذه المنطقة هي التي انتحر فيها. لذا سأطرح عليك السؤال المهم: أتستطيع رؤيته؟ هل هو هنا؟".

تفحصت المنطقة؛ لم يكن لديّ أدنى فكرة عن شكل كينيث ثيريولت، ولكنني لم أعتقد أنني لن أتعرف إلى شخص قد فجّر رأسه. وجدت طفلًا يرمي صحنًا طائرًا إلى كلبه كي يلتقطه - كانت الكلاب غير المربوطة ممنوعة في سنترال بارك - ورأيت بعض النساء يركضن وبعض المتزلجين وعدة رجال كبار في العمر يقرأون الصحف، ولكنني لم أرَ رجلًا لديه فجوة في رأسه وقلت لها ذلك.

قالت ليز: "اللعنة. حسنًا، تبقى لدينا فرصتان على حدّ علمي. كان يعمل متطوعًا في مستشفى سيتي أوف إنجلز في شارع 70 - كان ذلك تغييرًا كبيرًا عن أعمال البناء، ولكن كان عمره سبعين عامًا - كما أن الشقة التي كان يعيش فيها تقع في كوينز. ما رأيك أيها البطل؟".

"أود العودة إلى المنزل، فمن الممكن أن يكون في أي مكان".

"أحقًا هذا؟ ألم تقل إنهم يذهبون إلى الأماكن التي اعتادوا ارتيادها وهم على قيد الحياة قبل أن يتلاشوا أو شيئًا من هذا القبيل؟".

لم أتذكر أنني قلت هذا الكلام مع أنه كان صحيحًا، ولكنني شعرت أنني مخطوف مثل رامونا شاينبيرغ تقريبًا.

"ولماذا تكترثين للأمر؟ لقد مات وانتهت القضية".

"ليس تمامًا"، انحنت لتنظر إلى عيني، ولكن لم يكن عليها ذلك لأنني كنت أطول في العام 2013؛ لم أصل لطولي الحالي وهو ست أقدام، بل كنت أقصر ببعض الإنشات، وتابعت كلامها: "كانت هناك ملاحظة على قميصه مكتوب عليها: هناك انفجار أخير وكبير، واللعنة عليكم جميعًا. وكانت موقعة باسمه ثامبر".

غيرت تلك الملاحظة مجرى الأمور.

22

في البدء، توجهنا إلى المستشفى لأنه قريب، ولم يكن هناك رجل ذو فتحة في رأسه، بل بعض المدخنين وحسب، ولذلك توجهنا إلى مدخل الطوارئ، حيث كان يجلس الكثير من الأشخاص وأحدهم كان ينزف من رأسه. لقد بدا لي أنه مجروح أو مضروب أكثر من كونه ينزف إثر رصاصة، كما أنه كان أصغر من ثيريولت حسب قول ليز. سألت ليز إن استطاعت رؤيته، وأكدت لي أنها تراه.

ذهبنا إلى مكتب الاستعمالات حيث عرضت ليز شارتها وقالت إنّها محققة في شرطة نيويورك، وسألت عما إذا كان هناك غرفة ليبدل فيها الموظفون ثيابهم من أجل المناوبة التالية، فقالت السيدة الجالسة إلى المكتب إنه هنالك غرفة، ولكن الشرطة فتشت خزانة ثيريولت بالفعل، فسألت ليز إن كانوا موجودين الآن وقالت السيدة إنهم غادروا منذ ساعات.

قالت ليز: "أيًا يكن الأمر، أريد أن ألقي نظرة خاطفة. قولي لي أين هي".

طلبت منا السيدة أن نستقل المصعد إلى الطابق الثاني، ثم ننعطف يمينًا، ثم ابتسمت لي وقالت: "هل تساعد أمك في تحقيقها اليوم أيها الفتى؟".

فكرت في قول إنّ ليز ليست أمي، ولكنني اعتقدت أنني أساعدها في التحقق من أن السيد ثيريولت موجود هنا؛ لن تصدقني بالطبع؛ لذا تلعثمت قليلًا بينما تحدثت ليز بطبيعية.

شرحت لها أن ممرضة المدرسة شكت في أنني أعاني من التهاب في قصبتي الهوائية، فقررت أنها ستكمل التحقيق وتعرضني على الطبيب في الوقت ذاته، وهكذا ستكون قد ضربت عصفورين بحجر واحد.

قالت موظفة الاستعلامات: "من الأفضل أن تكمل مع طبيبك الخاص لأن الفوضى تعم المستشفى اليوم، وسيتوجب عليكما أن تنتظرا كثيرًا".

وافقتها ليز قائلة: "هذا أفضل"، تأملت كم تتحدث بطبيعة، والسهولة التي تكذب فيها، ولم أعرف إن كنت أحتقرها أو أقدرها أو الأمرين معًا.

انحنت موظفة الاستعلامات إلى الأمام، وانبهرت بثدييها اللذين أزاحا الأوراق عن المكتب، فجعلني ذاك المنظر أتذكر ارتطام السفينة بجبل جليدي؛ أخفضت صوتها وقالت: "الجميع مندهشون، دعاني أخبركما شيئًا، كان كين أكبر متطوعينا سنًا وألطفهم، كما كان مجدًّا وخدومًا، فإذا طلب منه أحد شيئًا كان يفعله ببشاشة، ولكننا كنا نتعامل مع قاتل؛ أتعلمان ما يعني هذا؟".

أشاحت ليز بوجهها بتوتر لأنها لم ترد أن تطيل الحديث.

قالت الموظفة بأسلوب الحكماء: "لا يمكننا الوثوق بأحد، نحن لا نعلم شيئًا".

قالت ليز: "كان متمرسًا في التخفي"، وفكرت في سري أن كلامها ناجم عن خبرة شخصية.

سألتُ ليز في المصعد: "لماذا لستِ مع فريق العمل ما دمتِ عضوًا فيه؟".

"لا تكن أحمق يا بطل، كيف يمكنني أن أحضرك معي إلى العمل؟ كان من الصعب أن أختلق عذرًا لوجودك معي عند مكتب الاستعلامات"، توقف المصعد وقالت: "إذا سألك أحد ما عن سبب وجودك هنا فتذكره تمامًا".

"أعاني من التهاب في القصبة الهوائية".

"ممتاز".

ولكن لم يكن هناك أحد ليسأل، إذ كانت غرفة الموظفين خالية وقد وضعت على بابها إشارة صفراء كتب عليها: لا تقتربوا، منطقة تخضع للتحقيق. أمسكت ليز بيدي، وانحنينا أسفل الإشارة. كان هناك مقاعد وبعض الكراسي وحوالى العشرين خزانة، كما كان هناك براد ومايكروويف وآلة لتحميص الخبز وإلى جانبها كيس حلوى بوب تارت كان مفتوحًا، ولم أمانع أن أحظى بواحدة، ولكن لم يكن كينيث ثيريولت موجودًا.

ألصقت الأسماء على الخزائن الموجودة، فتحت ليز خزنة ثيريولت بواسطة منديل بسبب مسحوق مسح البصمات المتبقي؛ فتحت الخزانة ببطء، وكأنها توقعت أن يظهر من الخزانة كالبعبع في حكايات الأطفال. كان ثيريولت يشبه البعبع، ولكنه لم يكن هناك، فقد كانت الخزانة خالية.

أخذت الشرطة كل شيء.

شتمت ليز حظها العاثر مجددًا، وتحققت من هاتفي؛ كانت الساعة الثالثة والعشرين دقيقة.

قالت بعد أن أحنت كتفيها: "أعلم هذا، أعلم هذا". لقد أشفقت عليها مع أنها أرغمتني على القدوم، وتذكرت عندما قال السيد توماس أن أمي بدت كبيرة في السن من الهم، وشعرت أن هذا الكلام ينطبق على صديقة أمي السابقة. كانت أنحف من قبل؛ كان عليّ أن أعترف بأنني قدرّت اندفاع ليز لإنقاذ الأرواح؛ كانت تشبه الذئب الوحيد الذي يحاول أن يحل القضية بمفرده، ولعلها أسفت على الناس الذين سيتبخرون بسبب قنبلة ثامبر الأخيرة، ولكنني على ثقة تامة الآن بأنها كانت تهتم بعملها أيضًا. لم أشأ أن أصدق أن غايتها الأولى كانت مصلحة عملها، ولكنني - سأخبركم في وقت لاحق بالسبب - اكتشفت مع الأسف أن هذا كان السبب الرئيس. قالت: "حسنًا، لدينا فرصة أخيرة. توقف عن النظر إلى هاتفك، فأنا أدري كم الساعة الآن، ومهما تعرضت لمشاكل مع أمك، إلّا أن المشاكل التي قد أقع فيها ستكون أكبر".

"على الأرجح أنها ستدعو باربارا لشرب الكحول قبل أن تعود إلى المنزل على أية حال، إن باربارا تعمل لصالح وكالتنا الآن"؛ لم أدر لماذا قلت لها كل هذا.

ربما لأنني أردت أن أنقذ الأرواح البريئة، ولكن هذا كلام نظري، فأنا لم أعتقد أننا سنعثر على ثيريولت في بادئ الأمر، وربما كنتُ متعاطفًا مع ليز التي بدت ضعيفة جدًا.

قالت ليز: "ليكن الحظ حليفنا في فرصتنا الأخيرة".

23

كان فريدريك آرمز على ارتفاع اثني عشر أو أربعة عشر طابقًا، وكان هناك حديد على النوافذ في شقق الطابقين الأول والثاني؛ لقد بدا ذلك المبنى كسجن من فيلم شوشانك ريديمبشن بالنسبة إلى طفل ترعرع في القصر المطل على الحديقة. عرفت ليز فورًا أننا لن نستطيع الدخول إلى ذلك المبنى أو إلى شقة كينيث ثيريولت.

كان المبنى يعج برجال الشرطة، ووقف الصحفيون الفضوليون بجانب حواجز الشرطة ليلتقطوا الصور، وقد ركنت عربات محطات التلفاز بجانب الحي، وكانت الأسلاك تمتد في كل مكان، كما كانت هناك مروحية تابعة للقناة الرابعة تتفحص المكان.

قلت لها: "انظري، أنها ستيسي آن كونواي من قناة نيويورك ون".

قالت ليز: "لا أبالي بهذا مطلقًا".

وأنا أيضًا لم أبالِ؛ كنا محظوظين لأننا لم نصادف أي مراسل في سنترال بارك أو في مستشفى سيتي أوف أنجلز؛ لقد تبيّن سبب عدم وجودهم هناك لأنهم كانوا مجتمعين هنا.

نظرت إلى ليز، ووجدت دمعة تنحدر من عينها فقلت لها: "هلّا ذهبنا إلى جنازته؟ لعله كان هناك".

"على الأغلب سيحرق على نفقة المدينة. ليس لديه أقرباء، فقد ماتوا كلهم قبله. سأعيدك إلى المنزل يا بطل، وأنا آسفة على هذه المعمعة".

قلت لها: "لا بأس بذلك"، ثم ربت على شعرها؛ ما كانت أمي لتقبل بهذه الحركة ولكنها لم تكن هنا.

انعطفت ليز واتجهت نحو جسر كوينز- بورو، وحين نظرتُ إلى بقالة على بعد حي من فريدريك آرمز صرخت قائلًا: "يا إلهي، ها هو ذا".

فتحت عينيها وقالت: "هل أنت متأكد يا جيمي؟".

انحنيت وتقيأت بين قدمي؛ كان هذا جوابًا كافيًا بالنسبة إليها.

24

لم أستطع أن أجزم بأن منظره كان أشنع من رجل سنترال بارك، فقد مرّ وقت طويل على تلك الحادثة. عندما تشهد ما قد يحدث لجسد بشري عندما يتعرض لأذى عنيف - سواء أكان حادثًا أو انتحارًا أو قتلًا - يصبح كل شيء ثانويًا، ولكن منظر كينيث ثيريولت الملقب بثامبر كان شنيعًا؛ أتفهمون هذا؟ شنيعًا للغاية.

كان هناك مقعدان أمام البقالة، ربما كي يستمتع الناس بما اشتروه.

كان ثيريولت يجلس على أحدهما، ويضع يديه بين فخذيه. كان يرتدي بنطالًا باهت اللون، وكان الناس يمرون بجانبه وهم يقصدون وجهاتهم. دخل طفل أسود معه زلاجة إلى البقالة، وخرجت سيدة وبيدها كوب من القهوة الساخنة.

لم ينظر أحدهما إلى المقعد الذي جلس عليه ثيريولت.

كان يكتب بيده اليمنى لأن ذلك الجانب من رأسه لم يكن متضررًا؛ كانت هناك فتحة بحجم نرد في جبهته، وأحيطت بإطار أحمر قد يكون بسبب الجرح أو من البارود، أو لعله أثر البارود. أشك في أن جسده قد تسنت له الفرصة في أن ينزف كي يسبب جرحًا.

كان الضرر الأكبر في جانبه الأيسر حيث خرجت الطلقة، كانت الفتحة بحجم صحن حلويات ومحاطة بعظام صغيرة، وكان جلد رأسه منتفخًا وكأنه قد حقن بإبرة ضخمة، أما عينه اليسرى فقد انتشلت من مكانها، والأسوأ من هذا كله، كان هناك مادة رمادية متدلية على وجنته؛ لا بد أنه دماغه.

قلت لها: "لا تتوقفي يا ليز أرجوك. لا أستطيع أن أتحمل المشهد". تصاعدت رائحة القيء في السيارة وكان طعمه في فمي.

ركنت قرب صنبور سيارات الإطفاء في نهاية الحي وقالت: "علينا فعل هذا. أنا آسفة يا بطل، ولكنه أمر ضروري، تمالك نفسك الآن كي لا يفكر الناس أنني أعنفك".

فكّرت في نفسي: ولكنك تعنفينني، ولن تتوقفي عن هذا حتى تحصلي على ما تريدين.

كنت أهضم الرافيولي التي تناولتها في المدرسة؛ لاحظت هذا عندما فتحت الباب، وتقيأت مجددًا كما فعلت يوم رأيت رجل سنترال بارك الذي تخلفت فيه عن حضور حفل ميلاد ليلي في ويف هيل الفخم؛ إنه ديجافو كنت بغنى عنه.

"أيها البطل، أيها البطل".

استدرت نحوها وكانت تمسك بمنديل - أخبرني أنه هناك امرأة لا تحمل مناديل في حقيبتها، وسأقول إنّك مختل – وقالت: "امسح فمك واخرج من السيارة. حاول أن تبدو طبيعيًا، ولننهِ الأمر".

رأيت أنها تقصد ما تقوله؛ فلن نخرج من هنا قبل أن تحصل على ما تريده. شجّعت نفسي كي أكمل المهمة؛ عليّ أن أتشجع كي أنقذ الأرواح البريئة.

مسحت فمي، وخرجت من السيارة، ووضعت ليز شارة الشرطة - وهي البطاقة الرابحة بالنسبة إلى رجال الشرطة - ثم وقفت بجانبي على الرصيف حيث كنت أتأمل سيدة تطوي ملابسها.

لم يكن منظرًا ممتعًا، ولكنه وفر عليّ ألّا أنظر إلى الرجل المهشم في آخر الشارع لبعض الوقت. في النهاية، كان عليّ أن أنظر إليه، كما عليّ أن أتكلم معه؛ إن استطاع أن يتكلم في بادئ الأمر.

مددت يدي من دون تفكير؛ كنت أكبر من أن تمسك بيدي المرأة التي تظهر للناس أنها أمي - إن اكترثوا لأمرنا أساسًا - ولكنني ارتحت جدًا عندما أمسكت بها.

توجهنا إلى البقالة، وكم تمنيت أن تكون أبعد، ولكنه كان على بعد بعض المباني وحسب.

سألتني بصوت منخفض: "أين هو تمامًا؟".

أليقت بتوتر نظرة خاطفة لأرى إن غيّر مكانه، حسنًا، لم يتزحزح من مكانه، فهو لا يزال على المقعد واستطعت الآن أن أتأمل الفتحة. لا زالت أذنه موجودة، ولكنها معقوفة وذكرتني بالسيد بطاطا الذي صنعته في سن الرابعة تقريبًا، فتقلصت معدتي مجددًا.

"تمالك نفسك يا بطل".

قلت لها: "لا تناديني بالبطل مجددًا، فأنا أكره هذا اللقب".

"عُلِم. أين هو؟".

"إنه يجلس على المقعد".

"على المقعد الذي بجانب الباب أو...؟".

"أجل، على هذا الطرف".

عاودت النظر إليه مجددًا، حيث كنا قريبين جدًا، ولاحظت أمرًا مثيرًا للاهتمام، فقد خرج رجل من المتجر يحمل صحيفة تحت ذراعه ونقانق بيده، وكانت النقانق ملفوفة بكيس لتحافظ على سخونتها - إن صدقت هذا يومًا فكأنك تصدق أن القمر مصنوع من الجبن الفرنسي - وشرع بالجلوس على المقعد الآخر، وهو يفتح النقانق ثم توقف. نظر إليّ أو إلى ليز أو إلى المقعد الآخر ثم ذهب ليتناول النقانق في مكان آخر. من المؤكد أنه لم يرَ ثيريولت لأنه كان سيهرب كالمجنون، ولكنني أعتقد أنه شعر به؛ في الحقيقة، أنا واثق من ذلك. تمنيت لو أنني أوليت هذا الأمر مزيدًا من الاهتمام، ولكنني كنت منزعجًا، وأعتقد أنكم تتفهمون هذا، وإن لم تتفهموا موقفي فأنتم أغبياء. أدار ثيريولت رأسه، وكانت حركة مفيدة حيث أخفت الجزء الأسوأ من مكان خروج الطلقة. لم يكن أمرًا مريحًا كفاية لأن رأسه كان سليمًا من جهة وشنيعًا من الجهة الأخرى كشخصية الرجل ذي الوجهين في باتمان.

والأسوأ من ذلك كله أنه كان ينظر إليّ مباشرة.

أنا أراهم وهم يعلمون أنني أستطيع رؤيتهم، لطالما كانت الحال على هذا النحو.

قالت ليز: "اسأله عن مكان المتفجرة"، كانت تتكلم من طرف شفتيها، وكأنها جاسوسة في فيلم كوميدي. صعدت امرأة على الرصيف، وكانت تحمل ابنها في عربة البابوس المستوحاة من الهنود الحمر، فنظرت إليّ بريبة لأن مظهري بدا غريبًا أو لأن رائحة القيء تنبعث مني أو للسببين

معًا؛ لم أكترث لذلك أبدًا؛ فكل ما أردت فعله هو أن أنفّذ طلب ليز، وأغادر ذلك المكان اللعين. انتظرت حتى غابت السيدة والطفل.

"أين المتفجرة يا سيد ثيريولت؟ المتفجرة الأخيرة".

لم يجبني على الفور، ففكرت أن هذا بسبب انفجار دماغه، فهو لن يستطيع الكلام، وبهذا ننتهي من هذه القصة كلها، ولكنه تكلم بعد فترة وجيزة. لم تماثل الكلمات حركات شفتيه، وبدا لي أن الكلام قادم من مكان آخر كالجحيم مثلًا، وقد أخافني هذا الأمر جدًا. سيكون الوضع أسوأ إن عرفت أن شيئًا ما قد سيطر عليه. ولكن، هل كنت أعرف ذلك؟ هل أنا متيقن من الأمر؟ كلا، ولكنني شعرت به.

"لا أريد أن أخبرك".

أدهشني هذا الجواب وأخرسني، إذ لم يسبق لشخص ميت أن أجابني بهذه الطريقة؛ كانت خبرتي محدودة بالطبع لأنني كنت سأقول حينها إنهم يقولون الحقيقة دائمًا.

سألتني ليز من طرف شفتيها مجددًا: "ماذا قال لك؟".

تجاهلتها وتحدثت إلى ثيريولت مجددًا، ورفعت صوتي لأنه لم يكن هناك أحد، وجزأت كلامي كأنني أتكلم مع شخص أطرش أو غير متمكن من اللغة: "أين... هي...المتفجرة... الأخيرة؟".

كنت سأقول لكم حينها أيضًا أن الموتى لا يستطيعون الشعور بالألم فقد تجاوزوه، كما أن ثيريولت لم يبدُ أنه يعاني من الجرح الكارثي في رأسه، ولكن ما تبقى من رأسه انحرف عندما طرحت عليه السؤال وكأنني أحرقه أو أطعنه في معدته.

"لا أريد أن أخبرك".

قالت ليز: "ماذا...؟"، في تلك الأثناء خرجت السيدة مع طفلها، كانت قد اشترت بطاقة يانصيب، وكان الطفل يمسك بإصبع كيت كات ويلوث وجهه بأكمله، وبعدها نظر إلى المقعد الذي جلس عليه ثيريولت وشرع بالبكاء. ظنت الأم أن طفلها يبكي بسببي، فنظرت إليّ بقرف مجددًا، وأسرعت الخطى.

"يا بطل...أقصد... يا جيمي...".

قلت لها: "اخرسي"، ثم ظهر صوت أمي في رأسي وهي تنهيني عن التحدث بهذه الطريقة إلى الكبار فقلت: "من فضلك".

نظرت إلى ثيريولت مجددًا، وكان تعبير الغضب السابق قد خرب وجهه أكثر. في تلك اللحظة، قررت أنني لم أعد أهتم أبدًا؛ لقد تسبب في إصابة الكثير من الناس، وكانوا يملأون مستشفى بأكمله، كما أنه قتل عدة أشخاص، وإن كانت ملاحظته حقيقية، فمات وهو يحاول قتل المزيد، وحينها تمنيت لو كان يتعذب.

"أين... هي... أيها... اللعين؟".

وضع يديه على بطنه، وانحنى كأنه مصاب بتقلصات ثم تأوه، فاستسلم أخيرًا وقال: "كينغ كولين، في متجر كينغ كولين في إيستبورت".

"لماذا؟".

قال: "بدا أمرًا صائبًا أن أنتهي حيث بدأت"، ثم رسم دائرة بإصبعه وقال: "كي أكمل الدائرة".

"لم أقصد هذا؛ ما كان هدفك منذ البداية؟".

ابتسم؛ أتدرون أن ابتسامته تلك التي شقت طريقها على وجهه المشوه لم تفارقني حتى الآن.

قال: "لأنني...".

"لأنك ماذا؟".

قال: "لأنني أردت ذلك".

25

تحمست ليز عندما أخبرتها عن كل ما جرى مع ثيريولت، ولم تأتِ بردّ فعل آخر؛ أتفهم أنها لم تكن هي التي تستطيع رؤية منظر ثيريولت المشوه؛ قالت لي إنّه عليها أن تدخل إلى البقالة لتشتري بعض الأغراض.

"وتتركينني هنا معه؟".

"كلا، اذهب إلى آخر الشارع وقف بجانب السيارة. لن أغيب طويلًا".

جلس ثيريولت على ذاك المقعد وهو يحملق بي بالعين التي بدت طبيعية أكثر من العين المفقودة، واستطعت أن أشعر بنظراته. ذكّرني الأمر باليوم الذي هاجمتني فيه البراغيث في المخيم، واضطررت أن أستحم بذلك الشامبو النتن لخمس مرات؛ لم يكن الشامبو سينفع في إزالة شعور نظرة ثيريولت إليّ، ففعلت كما قالت ليز وابتعدت عنه. وصلت إلى المغسلة التي تعمل بالخدمة الذاتية، ونظرت إلى تلك المرأة التي لا زالت تطوي الثياب، فنظرت إليّ ولوّحت لي بيدها. ذكّرني هذا بالفتاة الصغيرة التي لوّحت لي وكان هناك ثقب في رقبتها، ولوهلة فكّرت في أن تلك السيدة كانت ميتة هي الأخرى، ولكن الموتى لا يستطيعون طي الثياب فهم كانوا يقفون فقط أو يجلسون كثيريولت. لوّحت لها بدوري، وابتسمت قليلًا.

نظرت إلى البقالة مجددًا، لأتفقد ليز، ولكن ذلك لم يكن السبب الرئيسي؛ لقد نظرت لأتأكد إن كان ثيريولت لا يزال ينظر إليّ، وبالفعل كان ينظر إليّ. رفع يده، وقبض ثلاثة أصابع في راحة يده، وأشار بالرابع نحوي، طواه مرة ثم مرة أخرى ببطء شديد. تعالَ إلى هنا يا فتى.

عدت إلى البقالة، وكأنني مأسور، فلم أقاوم قدميّ أبدًا. لم أرد أن أعود، ولكنني لم أستطع مقاومة نفسي. قال كينيث ثيريولت: "إنها لا تكترث لأمرك يا فتى. إنها تستغلك وحسب".

قلت له: "اللعنة عليك، فنحن نحاول إنقاذ الأرواح". لم يكن هناك أحد وحتى لو كان، فلن يستطيعوا سماعي. سرقت الدهشة صوتي فهمست وحسب.

"إنها تنقذ عملها وحسب".

"لا تستطيع التأكد من هذا، فأنت مجرد مريض نفسي"، لا زلت أهمس وشعرت أنني سأبلل نفسي.

لم يقل شيئًا واكتفى بالابتسام؛ كان هذا جوابه. خرجت ليز.

كانت تحمل كيسًا بلاستيكيًا رخيصًا مثل تلك الأكياس التي شاع استعمالها في المتاجر حينها، فنظرت إلى المقعد حيث جلس الرجل المشوه الذي لم تستطع رؤيته ثم نظرت إليّ وقالت: "ماذا تفعل هنا يا بط... جيمي؟ قلت لك أن تعود إلى السيارة"، وقبل أن يتسنى لي أن أجيب بسرعة وقسوة كمجرم ضمن غرفة تحقيق في مسلسل بوليسي قالت ليز: "هل أخبرك بشيء آخر؟".

فكّرت في أن أقول لها: إنك لم تكترثي سوى لإنقاذ عملك، ولكنني كنت أعرف ذلك منذ البداية على الأرجح. ولكنني قلت: "كلا. أريد أن أعود إلى المنزل يا ليز".

"سنعود قريبًا، ولكن عليّ أن أقوم بشيء آخر، أو بالأحرى شيئين. عليّ أن أزيل فوضاك من السيارة".

وضعت ذراعها على كتفي - وكأنها أم صالحة - ثم تجاوزنا المغسلة ذاتية الخدمة؛ كنت سألوح إلى تلك السيدة، ولكنها كانت توليني ظهرها.

"خططت لشيء ما، لم أعتقد أنّ لديّ فرصة، ولكن بفضلك...".

أخرجت هاتفًا محمولًا من كيس المشتريات عندما وصلنا إلى سيارتها؛ كان في علبته الأصلية؛ استندت على واجهة متجر تصليح وتأملتها وهي تعاينه قبل أن يعمل. كانت الساعة قد تجاوزت الرابعة؛ سنصل إلى المنزل قبل أن تعود أمي لو ذهبت كي تشرب مع باربارا... ولكن هل يمكنني أن أخفي أحداث بعد الظهر عنها؟ لم أكن متأكدًا من الأمر، وحتى لم آبه له كثيرًا حينها. تمنيت لو انتظرت ليز كي ننعطف عند الزاوية وتحملت رائحة القيء قليلًا، فكل ما فعلته من أجلها، ولكنها كانت متوترة جدًا، كما كان يجب علينا التفكير في القنبلة. تذكرت كل الأفلام التي قاربت فيها القنبلة على الانفجار، وكان البطل محتارًا في قص السلك الأحمر أو الأزرق.

كانت تتصل بأحد حينها.

"كولتون؟ أجل، هذه أنا... اخرس واسمعني. أنت تدين لي بخدمة وآن الأوان لأن تسديها. سأملي عليك ما ستقوله على الفور. سجل كلامي و... قلت لك اخرس".

بدت عنيفة جدًا فتراجعت قليلًا، لم يسبق لي أن رأيت غاضبة على هذا النحو، ولاحظت أنني لم أشهدها في الناحية الأخرى من حياتها من قبل، أي حياة الشرطة وتعاملها مع الحثالة.

"سجل كلامي، واكتبه ثم اتصل بي مجددًا. افعل ذلك على الفور"، انتظرت قليلًا، فنظرت إلى المتجر؛ كان المقعدان خاليين، وكان يجب أن أرتاح بعد أن لاحظت هذا، ولكنني لم أشعر بالراحة مطلقًا.

"هل أنت جاهز؟ حسنًا"، أغمضت ليز عينيها، وانفصلت عن العالم لوهلة لتركز على كلامها؛ تكلمت ببطء وهدوء "إذا كان كين ثيريولت هو ثامبر فعلًا... فسأقاطع الكلام عندها وأقول إنني أريد تسجيل ذلك. ستنتظرني إلى أن أقول حسنًا. ابدأ مجددًا، أتفهمني؟"، أصغت جيدًا حتى قال كولتون - كائنًا من كان - إنه سجل كل الكلام، ثم قالت: "عليك أن تجيبني إذا كان كين ثيريولت هو ثامبر فعلًا، فكان يقول إنه يريد الانتهاء حيث بدأ. أنا أتصل بك لأننا تقابلنا في العام 2008، واحتفظت ببطاقتك. سجلت هذا؟"، سكتت ليز قليلًا ثم أومأت برأسها وقالت: "حسنًا. سأقول من معي وبعدها ستنهي المكالمة. افعل ذلك على الفور لأن الوقت يداهمنا. إن فشلت في الأمر، فسأقضي عليك وأنت تعلم هذا تمامًا".

أنهت المكالمة، وأخذت تجوب الرصيف، فاختلستُ نظرة خاطفة إلى المقعدين، وكانا خاليين أيضًا. لعل ثيريولت -أو ما تبقى منه - قد ذهب كي يتفحص الوضع عند فريدريك آرمز.

تصاعد صوت إيقاع أغنية "رومر هاز إت" من جيب ليز.

أخرجت هاتفها الأساسي، وأجابت؛ أصغت قليلًا ثم قالت: "انتظرني قليلًا، أريد أن أسجل هذا"، فعلت هذا، ثم قالت: "حسنًا، ابدأ مجددًا".

أنهت المكالمة حالما انتهت، وأبعدت هاتفها.

قالت: "لم يكن بالقوة التي أردتها، ولكن هل سيكترثون للأمر؟".

قلت لها: "أعتقد أنهم لن يهتموا بالأمر إذا عثروا على القنبلة"، فتفاجأت ليز، ولاحظت أنها كانت تتحدث إلى نفسها.

كنت عقبة بالنسبة إليها بعد أن حققت لها مرادها.

كان لديها مناديل وملطف جو في سيارتها؛ نظّفت القيء، ورمته في مصرف مياه الأمطار - اكتشفت في وقت لاحق أن هناك غرامة قدرها مئة دولار على رمي القمامة - ثم عطرت السيارة بملطف الجو برائحة الأزهار.

قالت لي: "استقلّ السيارة".

كنت أتحاشى أن أنظر إلى بقايا الرافيولي - كانت تدين لي بعملية التنظيف تلك - ولكن عندما نظرت إلى السيارة، رأيت كينيث ثيريولت يقف بجانب الصندوق؛ كان قريبًا مني جدًا، ويبتسم ابتسامة خبيثة، لعلني صرخت، ولكن صدري كان يضيق ولم أستطع أن آخذ أنفاسي وكأنني أختنق.

قال ثيريولت: "سأراك مجددًا..."، اتسعت ابتسامته واستطعت أن أرى دمًا جافًا بين أسنانه وعلى وجنته، "... يا بطل".

26

تجاوزنا عدة مبانٍ قبل أن تعاود التوقف، وأخرجت هاتفها - الأساسي وليس الهاتف مسبق الدفع - ثم نظرت إليّ ورأتني أرتعش. كنت أود أن تضمني، ولكنها اكتفت بالتربيت على كتفي كضرب من التعاطف، وقالت: "إن هذا ردّ فعل متأخر يا صغيري. أنا أعرف الشعور تمامًا، وستتجاوزه قريبًا".

اتصلت بأحد ما، وعرّفت عن نفسها بالمحققة داتون، وسألت عن غوردون بيشوب؛ ربما قالوا لها إنّه يعمل لأنها أجابت: "لا يهمني، صلني به حتى ولو كان على المريخ لأن الأمر في غاية الأهمية".

انتظرت قليلًا، ونقرت بأصابعها على المقود، ثم قوّمت ظهرها وقالت: "أنا داتون يا غوردو... لا، أنا أعرف أنني لست من الفريق، ولكن عليك أن تسمعني، لقد وصلني خيط عن ثيريولت من شخص سبق لي أن قابلته عندما كنت عضوًا في الفريق... لا، لا أعرف من هو. عليك أن تتحقق من متجر كينغ كولين في إيستبورت... حيث بدأ عملياته بالطبع. إن هذا أمر منطقي إذا فكرت فيه"، أصغت قليلًا ثم قالت: "أتمزح؟ كم شخصًا قابلنا حينها؟ مئة؟ مئتين؟ اسمعني، سأشغل لك الرسالة، لقد سجلتها، أعتقد أن الرسالة حفظت على هاتفي".

كانت متأكدة من أنها مُسجلة على هاتفها، فقد تحققت منه خلال جولتنا القصيرة. شغّلت الرسالة، وعندما انتهت منها قالت: "غوردو؟ هل... اللعنة"، ثم أنهت المكالمة وقالت: "لقد أغلق الخط في وجهي"، ابتسمت ليز بحزن وقالت: "إنه يكرهني، ولكنه سيتحقق من الأمر. إنه على دراية تامة بأن المسؤولية ستقع على عاتقه ما لم يتحقق من الأمر".

تحقق المحقق بيشوب من الأمر، لأنهم أبحروا في ماضي كينيث ثيريولت، وعثروا على دليل قاطع يتقاطع مع "خيط ليز المجهول". كان ثيريولت يعيش في ويتسبورت المجاورة لإيستبورت قبل أن يعمل في البناء، وقبل تطوعه في مستشفى سيتي أوف أنجلز بعد تقاعده. عمل

مُرتبًا للرفوف وحاملًا للأكياس في كينغ كولين خلال مراهقته، وقبض عليه بالجرم المشهود وهو يسرق من المتجر. في المرة الأولى تلقى تحذيرًا، وفي المرة الثانية التي سرق فيها طُرد، ولكنه لم يستطع أن يتجاوز عادة السرقة.

لجأ بعدها إلى الديناميت وكبسولات التفجير؛ عثر عليها في خزانة ضمن مستودع كوينز، وكانت جميعها قديمة ومن كندا. أعتقد أن شرطة الحدود كانت أقل كفاءة في تلك الأيام.

سألتها: "من فضلك، هل أستطيع العودة إلى المنزل الآن؟".

"أجل. هل ستخبر أمك عن الموضوع؟".

"لا أدري".

ابتسمت لي قائلةً: "كان سؤالًا مجازيًا. بالطبع ستخبرها ولا أمانع هذا. أتدري لماذا؟".

"لأنه أمر غير قابل للتصديق".

ربتت على يدي وقالت: "هذا صحيح يا بطل. لقد أصبت الهدف".

27

أنزلتني ليز عند الناصية، ثم انطلقت مسرعة، ومشيت باتجاه مبنانا.

لم تذهب أمي مع باربارا لتشربا الكحول لأن باربارا كانت مريضة، وأرادت أن تذهب إلى المنزل مباشرة بعد العمل، وكانت أمي تقف على الدرج وتحمل هاتفها.

ركضت على الدرج، وأسرعت نحوي ثم عانقتني بشدة قائلة: "أين كنت يا جيمز؟". لم تكن تناديني جيمز إلّا عندما تستشيط غضبًا، وهذا ما كان عليه الحال حينها، "كيف لك أن تكون بهذه اللامبالاة؟ لقد اتصلت بالجميع، ظننتك اختطفت، حتى إنني فكرت في الاتصال...".

توقفت عن معانقتي وأبعدتني قليلًا، ولاحظت أنها بكت، وأنها ستشرع بالبكاء مجددًا، وشعرت بالسوء حيال الموضوع مع أنني لست الملام. أعتقد أن أمك هي نقطة ضعفك والوحيدة التي تستطيع أن تشعرك بالتقصير الدائم.

سألتني: "هل كنت مع ليز؟"، تابعت من دون أن تنتظر جوابًا: "بالطبع هي"، ثم قالت بصوت مخيف: "تلك اللعينة".

قلت لها: "كان عليّ أن أذهب معها".

ثم شرعت بالبكاء أنا الآخر.

28

صعدنا إلى المنزل، وأعدت أمي القهوة، وأعطتني كوبًا. كان ذلك كوبي الأول، ومنذ ذلك الحين، أدمنت القهوة. قلت لها كل شيء تقريبًا؛ كيف انتظرتني ليز خارج المدرسة، وكيف كان العثور على قنبلة ثامبر الأخيرة سينقذ أرواحًا بريئة، كما أخبرتها كيف ذهبنا إلى المستشفى، ومبنى ثيريولت، حتى إنني أخبرتها عن منظر رأس ثيريولت المشوه، ولكنني لم أقل كيف وجدت ثيريولت بجانبي، وكيف كان قريبًا جدًا، وبإمكانه أن يلمسني... لم أرد أن أكتشف يومًا ما إن كان الموتى يستطيعون لمس الأحياء، كما أنني لم أقل لها ما أخبرني به، ولكنني عندما أويت إلى السرير ظلت تتردد في ذهني تلك العبارة كجرس مكسور: سأراك مجددًا... يا بطل.

ظلت أمي تردد حسنًا، وأتفهم ذلك، مع أنها كانت تبدو أكثر استياء مع مرور الوقت. كان علينا أن نعلم ما يجري في لونغ آيلند. شغلت التلفاز، وجلسنا على الأريكة لنشاهد؛ كان ليويس دودلي من قناة نيويورك واقفًا في الشارع الذي أحاطت به حواجز الشرطة، وكان يقول: "يبدو أن الشرطة تأخذ ذلك الدليل بشكل جدي، فوفقًا لمصدر من شرطة مقاطعة سافولك...".

تذكرت مروحية الأخبار التي كانت تجوب سماء فريدريك آرمز، واستنتجت أنها ستكون قد وصلت إلى لونغ آيلند بحلول هذا الوقت. أخذت جهاز التحكم من حضن أمي، ووضعت على القناة الرابعة. ظهرت صورة لسطح متجر كينغ كولين؛ كان مرأب السيارات يعج بسيارات الشرطة، وكانت هنالك شاحنة كبيرة تركن أمام الباب الرئيسي ولا بد أنها شاحنة وحدة خبراء المتفجرات. رأيت شرطيين يعتمران خوذتين، ومعهما كلاب ملجمة يدخلان المتجر. كانت المروحية مرتفعة جدًا فلم نستطع رؤية ما إن كان الشرطيان يرتديان سترتين واقيتين، ولكنني متأكد من أنهما قد أخذا كامل الاحتياطات، ولكن الكلبين لم يكونا في أمان؛ في حال انفجار قنبلة ثامبر وهما في الداخل فسيتبخران. قال المراسل الذي كان في المروحية: "لقد أُبلغنا أن المتجر قد أخلي من الموظفين والزبائن، وهناك احتمال أن يكون هذا الإنذار خاطئًا، لقد تم استقبال العديد من الإنذارات الخاطئة خلال فترة طغيان ثامبر - أجل، لقد قال هذا فعلًا – لذا، أخذ جميع الاحتياطات

بجدية هو الخيار الحكيم. كل ما نعرفه هو أن ذاك المكان هو المكان الذي بدأ فيه ثامبر التفجير، وأنه لم يعثر على قنبلة حتى الآن. والآن سنعود إلى زملائنا في الأستوديو".

كان هنالك صورة لثامبر على الشاشة وراء مقدمي الأخبار، ولعل تلك الصورة كانت صورة هويته في سيتي أوف إنجلز لأنه بدا متقدمًا في العمر. لم يكن نجمًا سينمائيًا، ولكنه بدا أفضل بكثير من مظهره على المقعد. ما كان دليل ليز المفبرك سيؤخذ على محمل الجد ما لم يتذكر أحد كبار المحققين قضية من طفولته، تلك القضية كانت لجورج ميتيسكي الذي لقبته الصحافة بالمفجر المجنون. زرع ميتيسكي ثلاثًا وثلاثين قنبلة أنبوبية خلال فترة طغيانه التي استمرت بين عامي 1940 و1956. كان مغذي تلك الرغبة هو حقده على شركة كونسوليديتد إيديسون.

بدّل موظف في قسم الأخبار صورة الشاشة خلف المقدمين ووضع صورة ميتيسكي، ولكن أمي لم تأبه لذلك الرجل المسن... الذي اعتقدت أنه يشبه ثيريولت في زي متطوع في المستشفى. أمسكت بهاتفها، وذهبت كي تبحث عن دليل الهاتف لأنني أعتقد أنها مسحت رقم ليز عن هاتفها بعد جدالهما حول الوزن الثقيل.

ظهرت دعاية لمنتج على التلفاز، فتسللت إلى باب غرفتها لأختلس السمع، ولو انتظرت قليلًا قبل أن آتي لما كنت سأسمع شيئًا لأن الاتصال لم يدم طويلًا. "أنا تي يا ليز. اسمعيني ولا تنطقي بحرف. لن أبلغ عن هذه الحادثة لأسباب يجب أن تكون جلية بالنسبة إليك، ولكن إن أزعجت ابني مجددًا أو ظهرت له مجددًا، فسأدمر حياتك وأنت تعلمين أنّ بمقدوري فعل ذلك. لن يتطلب الأمر سوى خطوة صغيرة. ابتعدي عن جيمي".

أسرعت إلى الأريكة، وتظاهرت أنني مأسور بالدعاية التالية التي تبيّن أنها غير مفيدة.

"هل سمعت المكالمة؟".

كانت عيناها تستشيطان غضبًا، وتحذرانني بألا أكذب، لذا أومأت برأسي.

"ممتاز. اهرب إلى المنزل بسرعة عندما تراها مجددًا، وأخبرني بذلك. أتفهمني؟".

أومأت برأسي مجددًا.

"ممتاز. حسنًا، حسنًا، حسنًا. سأطلب الطعام، هل تريد بيتزا أو طعامًا صينيًا؟".

29

وجد رجال الشرطة متفجرة ثامبر الأخيرة وفككوها في تمام الساعة الثامنة من مساء يوم الأربعاء. كنت وأمي نشاهد مسلسل بيرسون أوف إينترست على التلفاز عندما ظهر الخبر العاجل. لم تعثر الكلاب البوليسية على شيء وكان الشرطيان من وحدة المتفجرات سيغادران المتجر عندما وجد أحد الكلاب شيئًا في قسم الأدوات المنزلية؛ كان الشرطيان قد جابا ذلك الرواق عدة مرات من دون أن يشاهدا مكانًا يمكن إخفاء متفجرة فيه قبل أن ينظر أحد الشرطيين إلى السقف ويرى صفيحة خارجة من مكانها، وكانت المتفجرة الأخيرة مخبأة بين صفائح السقف المستعار والسقف الأساسي؛ كانت ملصقة على الصفيحة بشريط برتقالي من النوع الذي يستخدمه البهلوانيون.

كان ثيريولت قد وضع كل خبرته في تلك المتفجرة - ستة عشر إصبع ديناميت واثنتي عشرة كبسولة تفجير. تجاوز مرحلة ساعة التوقيت فهو قد وضع مؤقتًا رقميًا يشبه ما كنت أراه في تلك الأفلام التي ذكرتها سابقًا، فالتقط شرطي صورة للمتفجرة قبل تفكيكها وعرضت في عدد اليوم التالي من صحيفة نيويورك تايمز. كان من المفترض أن تنفجر في تمام الساعة الخامسة من يوم الجمعة حيث يكون المتجر في أوج الازدحام. في اليوم التالي، شاهدنا على محطة تلفاز نيويورك ون - عدنا إلى قناة أمي المفضلة - شرطيًا يقول إن المتفجرة كانت ستتسبب في هبوط السقف بأكمله. عندما سئل عن عدد القتلى المتوقع اكتفى بإشاحة وجهه بأسى.

يوم الخميس، وأثناء تناولنا العشاء قالت لي أمي: "لقد أبليت بلاء حسنًا يا جيمي. لقد فعلت الصواب أنت وليز مهما كانت نواياها الأخرى. ذكرني هذا بشيء قد قاله مارتي"، عنت السيد بوركيت أي البروفيسور بوركيت؛ لا يزال أستاذًا فخريًا ويقاوم عمره.

"ماذا قال؟".

"إن الله يضع سره في أضعف خلقه، لقد قرأ هذا في مدونات المؤلفين الذين كان يدرّس أعمالهم".

قلت لها: "إنه يسألني دائمًا عما أتعلمه في المدرسة، ولطالما أشاح بوجهه وكأنني أتلقى تعليمًا سيئًا".

ضحكت أمي وقالت: "إنه رجل متخم بالتعليم ولا يزال حتى يومنا هذا متقد العقل. ألّا تتذكر عندما تناولنا عشاء عيد الميلاد معه؟".

"بالطبع، لقد حظينا بشطائر الديك الرومي مع صلصة التوت وبعدها شربنا الشوكولاته الساخنة".

"لقد كانت ليلة رائعة بالفعل. سأحزن كثيرًا لوفاته؛ أنهِ عشاءك يا جيمي، فهناك مقرمشات التفاح. لقد أعدتها باربارا. جيمي؟".

نظرت إليها.

"هل نستطيع أن ننسى ما جرى... أي نضعه خلفنا؟".

اعتقدت أنها لم تعنِ ليز أو ثيريولت فحسب، بل مقدرتي على رؤية الموتى. كان هذا ما يطلق عليه أستاذ الحاسوب بالصالح العام ولم أمانع هذا بالعكس، فقد فضّلته، فأجبتها: "بالطبع".

في ذلك الوقت ضمن مطبخنا الدافئ ونحن نتناول البيتزا اعتقدت أننا نستطيع تجاوز الأمر، ولكنني كنت مخطئًا، فعلى الرغم من أنني لم أر ليز إلّا بعد مرور سنتين على ذلك اليوم، ولكنني رأيت ثيريولت في تلك الليلة.

وكما قلت لكم في البداية؛ إن هذه قصة رعب.

30

كنت سأستغرق في النوم إلى أن سمعت مواء قطتين، فنهضت بكامل وعيي؛ كنا نسكن في الطابق الخامس، وما كنت سأسمع ذلك المواء - وطقطقة حاويات القمامة التي تبعته - ما لم أكن قد تركت نافذتي مفتوحة قليلًا لألطف الجو. ذهبت لأغلقها، وتجمدت يداي على المقبض؛ كان ثيريولت يقف في الشارع تحت وهج المصباح، وعرفت في الحين أن سبب مواء القطتين لم يكن عراكهما، بل كان خوفهما، لقد تمكن الطفل في عربة البابوس وهاتان القطتان من رؤيته؛ لقد أخافهما عن قصد. لقد عرف أنني سأتوجه إلى النافذة كما عرف أن ليز قد نادتني بالبطل.

ارتسمت الابتسامة الخبيثة على وجهه المشوه.

أشار إليّ.

أغلقتُ النافذة، وفكّرت في أن أذهب وأنام قرب أمي في سريرها، ولكنني كبرت على هذا، كما كانت ستنهال عليّ بوابل من الأسئلة. أغلقت الستائر، وعدت إلى سريري، وحملقت في الظلمة. لم يسبق أن حدث معي شيء كهذا، لم يتبعني شخص ميت من قبل ككلب ضال.

فكّرت في نفسي: لا تهتم يا جيمي. سيختفي في غضون ثلاثة أو أربعة أيام كجميع الموتى، أو أسبوع كحد أقصى. لن يستطيع أذيتك في جميع الأحوال.

ولكن، هل يمكنني الوثوق في هذا؟ لاحظت أثناء جلوسي في الظلام أنني لم أكن واثقًا البتة، فمقدرتي على رؤية الموتى لم تعنِ أنه في مقدوري معرفة الموتى.

ذهبت إلى النافذة بعد انتهاء دوامة الفكر تلك، ونظرت بشكل خاطف من خلال الستائر وأنا متيقن من أنه سيكون هناك، ولعله سيشير إليّ بإصبعه مجددًا وهو يقول: تعالَ إلى هنا، تعالَ إليّ يا بطل.

لم يكن هناك أحد تحت المصباح المضاء في الطريق؛ لقد اختفى. عدت إلى السرير، ولكنني استغرقت وقتًا طويلًا قبل أن أنام.

31

يوم الجمعة، رأيته خارج المدرسة؛ كان هناك أهالٍ ينتظرون أولادهم - كانوا دائمًا يتواجدون يوم الجمعة كي يأخذوا أولادهم في رحلة العطلة على الأرجح - ولم يستطيعوا رؤية ثيريولت، ولكنهم شعروا به على الأرجح، لأنّهم ابتعدوا عن المكان الذي كان يقف فيه. لم يكن أحد يدفع بعربة رضيع؛ ولو كان هناك رضّع لكانوا نظروا إلى البقعة الخالية على الرصيف والدمع ينهمر من أعينهم.

دخلت المدرسة، وعاينت الملصقات على باب الإدارة، واحترت في ما سأفعل. اعتقدتُ أنّ عليّ أن أتكلم معه لأعرف ما يريد، وحزمت أمري على أن أفعل هذا في خضم ذلك الحشد، إذ لم أظن أنه سيؤذيني، ولكنني لم أكن متأكدًا.

ذهبت إلى الحمام المخصص للفتيان لأنه كان عليّ التبول، ولكنني لم أستطع. خرجت من الحمام، وحملت حقيبتي بيدي ولم أضعها على ظهري. لم يسبق لميت أن لمسني، ولم أدرِ إن كان الموتى يستطيعون ذلك، ولكن إذا حاول ثيريولت لمسي - أو أذيتي - فسأضربه بحقيبة الكتب.

لكنني لم أجده.

مرّ أسبوع، ثم أسبوعان ولم أرَه، فارتحت قليلًا لأنني اعتقد أنه تجاوز فترة مكوثه في عالمنا هذا.

كنت من ضمن فريق سباحة جمعية الشبان المسيحيين، وكنا نتدرب للمرة الأخيرة يوم السبت الأخير من شهر أيار للقاء في بروكلين؛ كانت المسابقة ستجري في العطلة القادمة. أعطتني أمي عشر دولارات لأشتري طعامًا بعد التدريب وقالت لي - كما تقول دائمًا - أن أحرص على قفل خزانتي كي لا يسرق أحد مالي أو ساعتي - ولكن لم أدر لماذا سيسرق أحد ساعة تايميكس قديمة

- سألتها إن كانت ستحضر المسابقة، فأبعدت نظرها عن المسوّدة التي كانت تقرأها، ونظرت إليّ قائلة: "سأقول لك للمرة الرابعة: أجل يا جيمي، سأحضر المسابقة، فقد دوّنت ذلك على المفكرة".

كانت تلك المرة الثانية التي أسألها فيها - أو الثالثة - ولكن لم أقل لها هذا، قبّلتها على وجنتها، ثم اتجهت إلى المصعد، وعندما فتحت الباب كان ثيريولت ينتظرني هناك وتعلو شفتيه تلك الابتسامة الخبيثة، وكان يحملق بي بعينه السليمة وتلك المقتلعة. كانت هناك ورقة ملصقة على قميصه؛ كانت تلك ملاحظة انتحاره، فلطالما كان الدم نقيًا على تلك الملاحظة الدائمة.

"أمك مصابة بالسرطان يا جيمي بسبب التدخين، وستموت في غضون ستة أشهر".

تجمدتُ في مكاني، وفغرت فمي.

أغلقت باب المصعد، فأصدر صوتًا - زعقة، أو تأوهًا، لم أدرِ - واستندت على الجدار كي لا أقع.

فكّرت في نفسي: الأموات لا يكذبون. أمي ستموت.

تيقظت قليلًا، وخطرت لي فكرة، وتمسكت بها كالغريق الذي يتمسك بقشة؛ لعل عليهم قول الحقيقة إذا طرحت عليهم أسئلة وحسب، وربما يمكنهم أن يقولوا ما يشاؤون ما لم تسألهم.

لم أرد أن أذهب إلى تدريب السباحة بعد ما حصل، ولكن المدرب سيسأل أمي عن سبب تغيبي في تلك الحالة، وبعدها ستسألني أمي عن مكاني، فلم أعرف بما يفترض بي أن أجيبها؟ إنني كنت قلقًا من رؤية ثامبر الذي ينتظرني عند الناصية؟ أو في بهو النادي؟ أو – وكان هذا الاحتمال الأفظع – ينتظرني في الحمام وهو غير مرئي بالنسبة إلى الفتيان العراة الذين ينظفون أجسادهم من الكلورين؟

هل كنت سأقول لها إنها مريضة سرطان؟

لذا، ذهبت إلى التدريب وكنت فاشلًا، فطلب مني المدرب أن أركّز على تمريني، وقرصت إبطيّ كي أمنع نفسي من البكاء؛ قرصتهما بشدة.

عندما عدت إلى المنزل، رأيت أمي على حالها مستغرقة في مسوّدتها؛ لم أرها تدخن بعد أن انفصلت عن ليز، ولكنني أعلم أنها كانت تشرب عندما لا أكون موجودًا – مع كتّابها

والمحررين الآخرين – لذا شممتها عندما قبّلتها، ولم أشم سوى رائحة عطرها، أو مرطب وجهها لأنه يوم السبت، إذ كانت تضع أقنعة العناية بالبشرة وما إلى ذلك.

"هل أنت بخير يا جيمي؟ لقد جففت نفسك جيدًا بعد السباحة أليس كذلك؟".

"أجل يا أمي. لقد أقلعتِ عن التدخين أليس كذلك؟".

أبعدت مسوّدتها وتمددت قائلة: "إذًا، هذا هو الموضوع. لم أحظ بسيجارة منذ أن غادرت ليز".

فكّرت في نفسي: بعد أن طردتها.

"هل ذهبتِ إلى الطبيب مؤخرًا لإجراء الفحوصات؟".

نظرت إليّ باستغراب: "ماذا هنالك يا جيمي؟ لِمَ أنت مقطب الحاجبين؟".

قلت لها: "أنت قريبتي الوحيدة، وإذا أصابك مكروه، فلن أستطيع العيش مع خالي هاري مثلًا".

تغيرت تعابير وجهها ثم ضحكت وعانقتني قائلة: "أنا بخير يا صديقي، لقد قمت بالفحوصات السنوية منذ شهرين، وأنا لا أعاني من أي علة".

بدت أنها بخير وموردة الخدين كما يقول المثل. لم تخسر الكثير من الوزن، ولم تكن تسعل بشدة، ولكنني كنت على دراية تامة بأن السرطان لا يقتصر على البلعوم أو الرئتين.

"حسنًا... هذا ممتاز. يسعدني سماع ذلك".

"وأنا أيضًا. هيا أعدّ لأمك كوبًا من القهوة ودعني أنهي هذه المسوّدة".

"هل هي جيدة؟".

"في الحقيقة، أجل إنها كذلك".

"هل سيتفوق هذا الكتاب على سلسلة روينوك للسيد توماس؟".

"أجل، في عدة جوانب، ولكن ليس في الجانب التسويقي مع الأسف".

"هل يمكنني شرب القهوة؟".

تنهدت وقالت: "نصف كوب وحسب. دعني أنهِ ما بيدي الآن".

32

خلال آخر اختبار رياضيات في تلك السنة، نظرت عبر النافذة، ورأيت كينيث ثيريولت واقفًا في ملعب كرة السلة حيث كان يؤدي حركاته المعهودة من ابتسامة ساخرة وإشارة بإصبعه. نظرت إلى ورقتي، ثم نظرت إليه مجددًا؛ لا يزال هناك، ولكنه كان أقرب، فأدار رأسه كي أرى التورم البنفسجي والعظام الناتئة. عاودت النظر إلى ورقتي، ثم نظرت إليه للمرة الثالثة على التوالي، ولكنه كان قد اختفى، إلا أنني كنت واثقًا من أنه سيعود، فهو لم يكن يشبه الموتى الآخرين؛ لم يكن يمت إليهم بصلة.

لم أحلَّ المسائل الخمس الأخيرة بحلول وقت تسليم أوراق الإجابة للسيد لاغاري، وأكيد، لقد رسبت في هذا الاختبار ودوّن لي السيد لاغاري ملاحظة في أعلى الورقة: لقد خاب أملي بك للغاية يا جيمي؛ ماذا أكرر لكم في كل حصة؟ كان يقول إنّ من يهمل الرياضيات فستهمله إلى الأبد.

لم تكن الرياضيات بهذا التميز الذي يطرحه السيد لاغاري؛ كانت تلك العبارة تنطبق على معظم المواد، وبالمناسبة لقد تخلفت عن اختبار التاريخ في ذلك اليوم؛ لم أتخلّف عنه لأن ثيريولت كان واقفًا عند اللوح تمامًا، بل لأن فكرة إمكانية وجوده هناك كانت تسكُنني.

خطرت لي فكرة أنه يريدني أن أفشل في جميع اختباراتي وصفوفي في السنوات المقبلة؛ يمكنكم أن تسخروا مني إن شئتم، ولكن هناك مثلًا قديمًا مفاده: أنت لا تعتبر مذعورًا إذا كان هذا الواقع. إن فشلي في بعض الاختبارات لا يعني رسوبي المطلق، وخصوصًا أنني كنت في نهاية الفصل، وعلى وشك بدء العطلة الصيفية، ولكن، ماذا عن السنة القادمة؟ ماذا لو ظل موجودًا؟ ماذا لو ازداد قوة؟ لم أشأ أن أصدق هذا، ولكنه احتمال وارد ما دام لم يختفِ؛ ولعلها الحقيقة. يمكنني إخبار أحد ما لأهوّن على نفسي الأمر، وكانت أمي الخيار المنطقي، ولكنني لم أُرِد إخافتها، فهي قد نالت نصيبها من الخوف في هذه الدنيا بعد أن شعرت أن الوكالة ستنهار ولن تستطيع إعالتي أنا

وخالي هاري؛ كما أن مساعدتي لها ستشعرها بالندم على وضعي الحالي. لم أفهم هذا، ولكن هذا ما كانت تشعر به، كما أنها أرادت أن تضع قدرتي على رؤية الموتى وراء ظهرها. وهناك شيء آخر: ماذا ستفعل إن أخبرتها؟ يمكنكم أن تلوموا ليز على تعريفي بثيريولت وحسب.

خطرت لي فكرة عابرة أن أطلع السيدة بيترسون وهي المستشارة التوجيهية في المدرسة على ما يحصل، ولكنني استبعدت تلك الفكرة لأنها ستعتبرها محض هلوسات أو انهيارًا عصبيًا، وبعدها سوف تخبر أمي. حتى إنني فكرت في اللجوء إلى ليز، ولكن، ماذا ستفعل؟ سوف تنتشل مسدسها وتطلق النار عليه؟ حظًا موفقًا، فهو ميت بالفعل. أيًا يكن الأمر، فقد اكتفيت من ليز أو اعتقدت ذلك؛ كنت بمفردي وكان هذا شعورًا موحشًا ومخيفًا.

حضرت أمي مسابقة السباحة، وكان أدائي مريعًا كالعادة، فعانقتني وقالت لي إنني سأكون أفضل في المرة القادمة. كنت سأبوح لها بكل ما يجري معي وأنهي كلامي بشعور الخوف الذي كان يراودني - وأشعر الآن أنه مبرر لي أن أخاف - حيال ثيريولت ومحاولته تخريب حياتي كانتقام لتخريبي متفجرته الأخيرة. كنت سأخبرها بكل شيء لو لم نكن في سيارة أجرة، فاكتفيت بوضع رأسي على كتفها كما كنت أفعل وأنا صغير، حيث كانت تعتبر أمي ديكي الرومي أفضل تحفة فنية بعد الموناليزا. صدقوني عندما أقول لكم إنّ أسوأ شيء في البلوغ هو الترفع عن الكلام.

33

عندما خرجت من الشقة في اليوم الأخير من المدرسة، كان ثيريولت في المصعد؛ كان يبتسم ويشير إليّ، ولعله توقع أن أرتعد خوفًا منه مثل المرة الأولى، ولكنني لم أفعل ذلك؛ كنت خائفًا بالطبع، ولكنني اعتدت على الأمر كاعتيادك على وحمة شنيعة. في تلك المرة، غلبني شعور الغضب لأنه لم يتركني وشأني بعد.

وضعت يدي على باب المصعد لأوقفه بدلًا من أن أرتعد، وما كنت لأتواجد معه في المصعد، ولكنني لن أخرج دون أن أحصل على بعض الأجوبة.

"هل أمي مصابة بالسرطان حقًا؟".

تغيرت ملامح وجهه مجددًا، وكأنني أؤذيه، وتمنيت لو أنني أؤذيه بالفعل؛ هل أمي مصابة بالسرطان حقًا؟ فقال: "لا أدري". يا إلهي كم كانت نظراته مخيفة؛ أتعرفون المثل القائل إنّ بعض النظرات قاتلة؟

"لم قلت لي ذلك إذًا؟".

كان عند زاوية المصعد حينها، ويضع يديه على صدره، وكأنني أخيفه. أدار رأسه، وأراني الجرح مكان خروج الرصاصة، ولكن، إن ظن أن هذا المنظر سيوقفني، فقد كان مخطئًا للغاية؛ لقد اعتدت عليه على الرغم من شناعته.

"لم قلت لي هذا؟".

أجابني ثيريولت مزمجرًا: "لأنني أكرهك".

"لِمَ لا زلت هنا؟ كيف لك أن تكون هنا؟".

"لا أدري".

"اغرب عن وجهي".

لم يقل شيئًا.

"اغرب عن وجهي".

"لن أغرب. لن أذهب أبدًا".

أخافني هذا، وفقدت السيطرة على يدي.

"سأراك مجددًا يا بطل".

أُغلِق باب المصعد، ولكنه لم يتحرك من مكانه لعدم وجود أحد ليضغط على الأزرار، وعندما طلبت المصعد الآخر لم يكن فيه أحد، ولكنني نزلت على الدرج في جميع الأحوال.

طمأنت نفسي: سأعتاد عليه كما اعتدت على الجرح في رأسه. سأعتاد عليه ولن يستطيع أذيتي.

ولكنه كان يؤذيني بطريقة أو بأخرى كما حصل في اختبار الرياضيات أو فشلي في المسابقة، كما كان نومي قليلًا ودائم القلق - علقت أمي على السواد تحت عيني - كما كنت أرتعد خوفًا إذا صدرت بعض الأصوات الغريبة أو وقع كتاب في الصف. سكنتني فكرة أنني سأفتح الخزانة وأراه أمامي كالبعبع الخاص بي، ولعلني سأراه أسفل سريري، ولعله سيمسك بمعصمي أو بقدمي في أثناء نومي؛ لم أكن واثقًا من أنه يستطيع الإمساك بأي شيء، ولكنني لم أعد متأكدًا من شيء خصوصًا إن كان يزداد قوة.

ماذا لو استيقظت ورأيته يستلقي إلى جانبي؟ ماذا لو كان يمسك بسروالي الداخلي؟

لم أستطع أن أطرد تلك الأفكار من ذهني.

فكّرت في شيء بغيض جدًا؛ ماذا لو ظل يطاردني - لأنه كان يطاردني بالفعل - في سن العشرين؟ أو الأربعين؟ ماذا لو كان موجودًا عندما أموت في سنّ التاسعة والثمانين وينتظرني كي يرافقني في الحياة الآخرة ويطاردني بعد الموت أيضًا؟

ذات ليلة، فكّرت وأنا أنظر إلى ثامبر الذي يقف تحت ضوء مصباح الطريق: إذا كان هذا الجحيم هو جزاء فعل الخير، فلن أفعل الخير مجددًا.

34

في نهاية شهر حزيران، زرت وأمي خالي هاري الزيارة الشهرية المعتادة؛ لم يعد يتكلم كثيرًا، ونادرًا ما كان يخرج إلى غرفة العامة. لقد شاب شعره تمامًا، مع أنه لم يصل إلى عمر الخمسين.

قالت أمي: "لقد أحضر لك جيمي حلوى الريغلاش من زابار يا هاري، أتريد قطعة؟".

حملت الكيس عند عتبة الباب - لم أرد أن أدخل - وكنت أبتسم ابتسامة زائفة، إذ كنت أشعر وكأنني مشارك في برنامج ذا برايس إز رايت.

قال خالي هاري نع.

سألته أمي: "أتعني نعم؟".

قال خالي هاري كل، ولوّح بيديه إليّ؛ لم يتطلب الأمر قارئ أفكار ليعرف أنه لا يريد البسكوت اللعين.

"أتريد أن نخرج؟ إن الطقس جميل".

لم أعرف إن كان خالي هاري يفهم معنى الخروج في تلك الأيام.

أمسكت أمي بذراعه وقالت: "سأساعدك".

قال خالي هاري: "كلا"، وليس نع أو كل أو كلمات غير مفهومة، لقد قال كلا بوضوح تام. كانت عيناه قد أصبحتا أكثر اتساعًا ودامعتين، ثم سأل: "من هذا؟".

"إنه جيمي. أنت تعرف جيمي يا هاري".

لم يعد يعرفني، حتى إنّه لم ينظر إليّ، بل كان ينظر خلفي ولم يتطلب مني الأمر أن أدير ظهري كي أعرف إلى من كان ينظر، ولكنني أدرته في جميع الأحوال.

قال ثيريولت: "إن مرضه وراثي وينتقل إلى ذكور العائلة، وستصاب به قريبًا يا بطل شئت أم أبيت".

سألت أمي: "جيمي؟ هل أنت بخير؟".

قلت لها وأنا أنظر إلى ثيريولت: "بأفضل حال".

ولكنني لم أكن بخير، ودلّت ابتسامة ثيريولت الخبيثة على أنه يدري ذلك.

قال خالي هاري: "اغربا عن وجهي، اغربا، اغربا".

فغادرنا المكان.

ثلاثتنا.

35

قررت أن أخبر أمي بكل شيء - كان يجب أن أزيح بعض الحمل عن كتفيّ حتى لو أخفتها أو أحزنتها - ولكن القدر تدخل كما يقول المثل؛ كان هذا في تموز عام 2013، أي بعد مضي ثلاثة أسابيع عن زيارتنا لخالي هاري.

تلقت أمي مكالمة عندما كانت تتجهز للذهاب إلى العمل بينما كنت أجلس في المطبخ أتناول التشيريوز، وبدت عيناي ناعستين. خرجت من غرفتها، ورفعت سحاب تنورتها وقالت: "تعرض مارتي بوركيت لحادث بسيط ليلة أمس. لقد تعثر بشيء ما - أتصور في طريقه إلى الحمام - وآذى فخذه؛ يقول إنّه على ما يرام ولعله كذلك، مع أنني أظن أنه يتظاهر بالقوة".

قلت لها: "أجل"، وبدا أفضل ردّ عندما تحاول أمي فعل ثلاثة أشياء معًا.

فكرت في سرّي أن السيد بوركيت قد كبر على التظاهر بالقوة، مع أنني وددت أن أراه في فيلم مثل تيرمينيتور: سنوات التقاعد. تخيلته يلوّح بعصاه ويقول: "سأعود مجددًا"؛ رفعت وعائي كي أشرب الحليب.

"كم مرة قلت لك أن تكفّ عن فعل ذلك يا جيمي؟".

لم أستطع تذكر ذلك، لأنني لم أُركّز في تنبيهات أمي بما يخص السلوك، وخصوصًا آداب الطعام، فقلت: "حسنًا، كيف سأتمكّن من إنهائه؟".

تنهدت وقالت: "لا عليك. صنعت كسرولة للعشاء، ونحن يمكننا أن نتناول البرغر، كما يمكنك أن تقطع روتينك الحافل من مشاهدة التلفاز أو اللعب على هاتفك كي تأخذ الطعام لمارتي، فأنا لا أستطيع فعل ذلك، إن جدولي ممتلئ، أظن أنك تريد فعل ذلك وتتصل بي كي تطمئنني عن وضعه، أليس كذلك؟".

لم أجبها على الفور؛ شعرت وكأن أحدًا قد ضربني على رأسي بمطرقة؛ ففي بعض الأحيان، تراودك مشاعر مثل هذه أليس كذلك؟ حين تشعر أنك في قمة الغباء. ماذا؟ لم أفكر في السيد بوركيت من قبل؟

"جيمي؟ هل أنت معي".

أجبتها: "بالطبع، أود ذلك".

"أحقًا؟".

"حقًا".

"هل أنت مريض؟ هل تعاني من الحمى؟".

قلت لها: "ها ها، خفيفة الظلّ".

أمسكت حقيبتها وقالت: "سأعطيك أجرة التك...".

"لا، أعطيني الكسرولة فقط، وسأذهب سيرًا على القدمين".

اندهشت أمي وقالت: "أحقًا؟ كل الطريق إلى البارك؟".

قلت لها: "بالطبع، فسيفيدني التمرين"؛ لم أقل الحقيقة؛ ما كنت أحتاج إليه هو بعض الوقت لأفكر ما إن كانت فكرتي سديدة، ومن أي منحى سأتناول قصتي إن كانت كذلك.

36

في هذه المرحلة، بدأت أطلق على السيد بوركيت لقب البروفيسور لأنه علمني في ذلك اليوم؛ لقد علمني الكثير؛ ولكنه أصغى إليّ بكامل جوارحه قبل أن يعلمني. كنت أعرف انّ عليّ إخبار أحد ما، ولكن لم أدرك ضرورة ذلك الأمر إلى أن فعلته.

فتح الباب وهو يستند على عكازة أخرى إضافة إلى التي كان يستخدمها في السابق، وقد أشرق وجهه عندما رآني، لذا، أعتقد أنه كان يريد صحبة طيبة. إن الأطفال أنانيون؛ وأعتقد أنكم تعرفون هذا لأنكم مررتم بهذه المرحلة ها ها. في وقت لاحق، لاحظت أنه كان رجلًا وحيدًا للغاية بعد موت مونا، وكان لديه ابنة تعيش في الشاطئ الغربي، وإن كانت تزوره، فلم يسبق لي أن رأيتها، ضعوا خطين تحت عبارة الأطفال وأنانيتهم.

"جيمي، أتيت مع هدايا".

قلت له: "كسرولة فقط، أظن أنها فطيرة سويدية".

"أنت تقصد فطيرة الراعي؛ أنا متأكد من أنها لذيذة. من فضلك، هل يمكنك أن تضعها في الثلاجة؟ لديّ..."، رفع العكازتين، وظننت لوهلة أنه سيصيبني، ولكنه تحكم بهما في الوقت المناسب.

قلت له: "بالطبع"، ثم ذهبت إلى المطبخ. تفهمت سبب قوله للبراد ثلاجة وللسيارة مركبة؛ كان من الجيل القديم؛ كما كان يقول عن التلفاز الحاكي. أحببت ذلك الاسم واستخدمته في حياتي العامة، ولا أزال أستخدمه حتى الآن.

لم أجد صعوبة في وضع كسرولة أمي في الثلاجة لأنها كانت خالية تقريبًا. عرج خلفي، وسألني عن أحوالي، فأغلقت باب الثلاجة، ثم استدرت نحوه وقلت له: "لست على ما يرام".

رفع حاجبيه الكثّين وقال: "لا؟ ما المشكلة؟".

قلت له: "إنها قصة طويلة جدًا، وستحسبني مجنونًا على الأرجح. ولكن عليّ أن أخبر أحدًا ما، وأعتقد أنك المرشح الأول".

"أهذا يخص خاتمَي مونا؟".

فغرت فمي.

ابتسم السيد بوركيت وقال: "لم أصدق أن أمك خطر على بالها خزانة الردهة؛ كان هذا ضربًا من الخيال وخيارًا غير متوقع أبدًا. خطر في بالي أنها قد وضعتهما هناك بنفسها، ولكن كل شخص يفعل شيئًا لغاية ما وسبب ما، ولم تملك أمك الاثنين، كما كان الحزن يتملكني لأمعن التفكير في ذلك المساء".

"لأنك كنت قد خسرت زوجتك للتو".

"تمامًا"، رفع عكازته وقرّبها من قلبه، وعندها تعاطفت معه، "إذًا، ما الذي حصل يا جيمي؟ أعلم أنه أمر قد عفا عنه الزمان، ولكن باعتباري مولعًا بقصص المحققين، أود أن أعرف الأجوبة على تلك الأسئلة".

قلت له: "قالت لي زوجتك".

حملق بي من نهاية المطبخ.

قلت له: "أستطيع رؤية الموتى".

لم يجبني، وظل صامتًا لوقت طويل لدرجة أنني خفت ثم قال لي: "أعتقد أنه عليّ شرب شيء فيه كافيين، وأظن أنّ عليك مشاركتي. يمكنك حينها أن تخبرني بكل ما تريده وبكل ما أتوق إلى معرفته".

37

كان البروفيسور بوركيت من الجيل القديم لدرجة أنه لم يكن لديه ظروف شاي بل يستعمل الشاي غير المعبأ بظروف ويضعه في المرطبان. عندما انتظرت الماء الدافئ ليغلي علمني السيد بوركيت كيف أضع الشاي في المصفاة والكمية المناسبة؛ إن تخمير الشاي عملية مثيرة للإعجاب. أنا أفضّل القهوة دومًا، ولكن بعض المواقف، وخاصة الرسمية منها، تتطلب إبريق شاي لذيذ.

قال لي السيد بوركيت إنه على الشاي أن يتخمر لمدة خمس دقائق في الماء المغلي؛ لا أكثر ولا أقل. عيّر المنبه، وأرشدني إلى مكان الأكواب، ثم عرج إلى غرفة المعيشة. سمعت تنهد الراحة الذي أصدره عندما جلس على كرسيه المفضل، كما أنه أطلق بعض الغازات.

وضعت كوبين على الصينية ومعهما وعاء سكر وكريمة هاف أند هاف من الثلاجة - لم نستخدمها كلانا وهذا أمر جيد لأنها كانت منتهية الصلاحية على الأرجح - فأمسك البروفيسور بوركيت بكوبه الأسود وارتشف منه، ثم قال: "تهانينا يا جيمي، إنها بداية ممتازة".

قلت وأنا أضع السكر في كوبي: "شكرًا"، كانت أمي ستؤنبني على الملعقة الثالثة، ولكن البروفيسور بوركيت غض الطرف.

"أخبرني الآن بقصتك. ليس لديّ سوى الوقت".

"هل تصدقني بخصوص الخاتمين؟".

قال لي: "أنا أصدق أنك أنت تصدق الأمر، كما أنني أعلم أنه عُثِر على الخاتمين، فهما في صندوق ائتمان البنك. قل لي يا جيمي، هل ستؤكد أمك على قصتك في حال سألتها؟".

"أجل، ولكن لا تفعل هذا من فضلك. قررت أن أخبرك لأنني لم أرد أن أزعجها".

شرب من كوب الشاي بيد مرتعشة، ثم وضعه، ونظر إليّ، ويمكن القول إنّه نظر إلى داخلي؛ فما زلت أتذكر تلك العينين الزرقاوين الثاقبتين اللتين تحملقان إليّ من تحت حاجبين كثّين وهو يطلب مني قائلًا: "تحدث إليّ واقنعني".

استطعت استكمال جوانب قصتي أثناء مسيري إلى بيته، فبدأت بروبرت هاريسون - أنتم تعلمون رجل سنترال بارك - ثم انتقلت إلى السيدة بوركيت وسائر الأمور. استغرقت وقتًا لا بأس به، وعندما أنهيت كلامي، كان كوب الشاي قد فتر - حتى إنه كان يميل إلى البرودة - ولكنني شربت رشفة كبيرة منه في كل الأحوال لأن حلقي كان جافًا.

حاول البروفيسور بوركيت استيعاب كلامي، ثم قال: "هل يمكنك أن تذهب إلى غرفة نومي يا جيمي لتحضر لي الآي باد؟ إنه على الخزانة قرب سريري".

كانت رائحة غرفة نومه تشبه تلك التي تصاعدت من دار رعاية خالي هاري، بالإضافة إلى رائحة قوية اعتقدت أنها رائحة مرهم لمعالجة فخذه. أحضرت جهازه وعدت؛ لم يكن يملك آي فون، بل الهاتف القديم الذي يتربع على جدار المطبخ مثل الأفلام القديمة، ولكنه كان يحب الآي باد.

فتحه عندما أعطيته إياه – كانت خلفية الشاشة عبارة عن صورة لزوجين يافعين في ثياب الزفاف، واعتقدت أنها صورة زفافه من السيدة بوركيت - ثم كتب عليه مباشرة.

"أتبحث عن ثيريولت؟".

أشاح بوجهه من دون أن ينظر إليّ وقال: "لا، عن رجل سنترال بارك. هل قلت إنّك كنت في المدرسة الابتدائية عندما رأيته؟".

"أجل".

"لذا، من المرجح أن تكون الحادثة قد حصلت في العام 2003 أو في العام 2004. ها هي هنا"، انحنى ليقرأ ما كتب، وأبعد شعره عن عينيه عدة مرات - كان لديه الكثير من الشعر - أخيرًا نظر إليّ وقال: "أنت تقول إنّك رأيته ملقى على الطريق ميتًا، وفي الوقت ذاته رأيته يقف بجانب جثته. أتستطيع أمك تأكيد هذا الكلام؟".

"لقد أيقنتْ أنني لم أكذب، لأنني قلت لها مواصفات سترته مع أنه كان مغطى، ولكنني لا أريد إخ...".

"عُلِم يا جيمي. والآن لنتكلم بخصوص كتاب ريغيس توماس. هل صحيح أنه لم يكن مكتوبًا؟".

"أجل، باستثناء الفصول الأولى على ما أعتقد".

"ولكن أمك استطاعت أن تستجرّ تفاصيل تكفي لإكمال الكتاب، واستخدمتك وسيطًا أليس كذلك؟".

لم أعتبر نفسي وسيطًا تمامًا، ولكنه لم يبتعد عن الحقيقة، فقلت له: "أعتقد ذلك كما في فيلم ذا كونغورنغ"، ارتسمت على وجهه ملامح الاستغراب، فأكملت: "إنه فيلم يا سيد بوركيت. والآن... أتحسبني مجنونًا؟"، لم أكترث لهذا حقًا لأن الراحة التي أصابتني عندما بحت بكل ما جرى كانت لا تقدر بثمن.

قال: "لا"، ولكن شيئًا استفزه - تعابير الراحة التي تملكتني على الأرجح - ليرفع إصبعه ويقول لي: "ولكن هذا لا يعني أنني أصدق كلامك تمامًا من دون أن أستعين بموافقة أمك التي وافقتك على عدم طلبها، ولكنني سأتمادى وأقول لك إنني لا أكذبك تمامًا بسبب الخاتمين بشكل أساسي، وكذلك لأن كتاب ريغيس توماس الأخير موجود فعلًا، مع أنني لم أقرأه"، ارتسمت على وجهه تعابير غريبة عندما قال هذا، "أنت تقول إنّ صديقة أمك – السابقة - تستطيع تأكيد آخر قسم من قصتك والأكثر تشويقًا؟".

"أجل، ولكن...".

رفع يده كما اعتاد أن يرفعها أمام طلاب ثرثارين وقال: "وأنت لا تريدني أن أسألها أيضًا وأتفهم ذلك. لم يسبق لي أن قابلتها سوى مرة واحدة، ووقتها لم أستلطفها. هل جلبت المخدرات إلى منزلكما فعلًا؟".

"لم أرَها بعيني، ولكن إن قالت أمي إنها رأتها فهي صادقة".

أبعد جهازه، وداعب عكازته التي كانت تعلوها كرة بيضاء كبيرة وقال: "إن تي أفضل من دونها. هل ثيريولت الذي تقول إنّه يطاردك موجود هنا الآن؟".

"لا"، ولكنني تفحصت المكان لأتحقق من ذلك.

"أنت تريد التخلص منه بالطبع".

"أجل، ولكنني لا أعرف كيف".

ارتشف من كوبه، ثم نظر بعينيه الثاقبتين إليّ مجددًا؛ كان مسنًا، ولكن عينيه كانتا متقدتين؛ وقال: "إنها معضلة مثيرة للاهتمام، وخاصة بالنسبة إلى رجل مسن اطلع على العديد من الأحداث غير الطبيعية في قراءاته. إن الأدب القوطي مليء بهذا النوع من الأحداث؛ إن فرانكشتاين ودراكولا يمثلان زبدة ذلك الأدب الذي كثيرًا ما تردد في الأفلام. هنالك الكثير من تلك الأحداث في الأدب الأوروبي والحكايات الشعبية. دعنا نعتبر أن ثيريولت هذا ليس من نسج خيالك؛ دعنا نعتبر أنه موجود حقًا".

تمالكت نفسي لأقول إنّه موجود فعلًا، وشعرت أن البروفيسور كان يقول في نفسه إنّه يعلم أنني أعتقد حقًا بوجوده.

"دعنا نتقدم خطوة في الحديث؛ استنادًا إلى ما أخبرتني إياه في ما يخص رؤيتك للموتى - بمن فيهم زوجتي - فجميعهم يذهبون بعد مضي عدة أيام. يختفون إلى..."، لوّح بيده ثم أكمل: "لا يهم، ولكن الكلام لا ينطبق على ثيريولت هذا. إنه لا يزال قابعًا هنا، وأنت تظن أنه يزداد قوة".

"أنا متأكد من ذلك".

"ربما من تراه ليس كينيث ثيريولت على الإطلاق، ولعل ما تبقى من ثيريولت قد سكن فيه - تلك الكلمة المثلى وليس استحوذ عليه - شيطان"، لعله قرأ تعابير وجهي لأنه أضاف على الفور: "نحن نضع فرضيات وحسب يا جيمي. لنتحدث بصراحة، أنا أرجح أنك مصاب بفقدان ذاكرة موضعي يسبب هلوسات".

قلت له: "بعبارة أخرى، تحسبني مجنونًا"، في تلك اللحظة، كنت مسرورًا أنني أخبرته، ولكن الاكتئاب كان يتسلل إلى قلبي مع أنني كنت أتوقع إلى حدّ ما ردّ الفعل هذا.

لوّح بيده وقال: "هذا هراء، أنا لا أرجح ذلك على الإطلاق، فأنت تتعامل مع العالم الحقيقي، وعليّ أن أعترف أن أحداث قصتك لا يمكن إخضاعها لتفسير منطقي. لا أشك أنّك قد رافقت تي وصديقتها السابقة إلى منزل السيد توماس، ولا أشك في أنك رافقت المحققة داتون إلى مكان عمل

ثيريولت وسكنه. إذا فعلت تلك الأشياء حقًا - أنا أسير على نهج إيليري كوين رائد المحققين - فهي كانت متأكدة من قدراتك كوسيط، وهذا يرجعنا إلى نقطة منزل توماس حيث رأت شيئًا أقنعها بقدراتك هناك".

قلت له: "لم أفهمك كثيرًا".

انحنى إلى الأمام وقال: "لا عليك. ملخص حديثي هو أنني أميل إلى تصديق الأشياء المنطقية والواقعية والملموسة -باعتباري لم أرَ شبحًا قط أو ضربًا من عالم الأرواح أو المستقبل - ولكن مع ذلك، فأنا أعترف أن هناك معطيات لا أستطيع تفسيرها بشكل منطقي. لنفترض أن ثيريولت نفسه أو الشيء الذي سكن في ما تبقى منه موجود حقًا، فالسؤال الذي يطرح نفسه هنا: أيمكنك التخلص منه؟".

انحنيت قليلًا، وتذكرت كتاب القصص الخيالية الذي أهداني إياه؛ كان بمعظمه قصص رعب، وندرت فيه النهايات السعيدة، حيث قطعت الأختان غير الشقيقتين أصابع أقدامهما، ورمت الأميرة الضفدع على الجدار – سبلاش - بدلًا من تقبيله، وحفّزت ليلى ذات الرداء الأحمر الذئب ليأكل جدتها كي ترثها.

"هل يمكنني التخلص منه فعلًا؟ لقد قرأتَ آلاف الكتب، وعلى الأقل يجب أن يتضمن أحدها طريقة للتخلص منه، أو..."، لمعت في ذهني فكرة. "ماذا عن طرد الأرواح؟".

قال البروفيسور بوركيت: "لا أظن أنه سيجدي نفعًا، إذ أعتقد أن القسيس سيرسلك إلى طبيب نفسي بدلًا من طارد الأرواح. إن كان ثيريولت موجودًا حقًا يا جيمي، فأنت عالق معه".

نظرت إليه بخيبة.

"لعل هذا ليس بأمر جلل".

"أحقًا هذا؟ كيف؟".

ارتشف من كوبه، ثم وضعه على الطاولة قائلًا:

"أسمعت بطقس تشود؟".

38

أنا في الثانية والعشرين من عمري - أو الثالثة والعشرين - وأعيش في وقت لاحق، كما يمكنني أن أصوّت وأقود وأشتري الكحول والسجائر - التي أصمم أن أقلع عنها قريبًا - أنا أتفهم أنني لا أزال يافعًا، وأنا متأكد أنني سأنظر إلى الأحداث الحالية، وأتعجب من كوني - أتمنى ألا أقرف من نفسي - ساذجًا وغضًا. ولكن سن الثانية والعشرين بعيدة عن الثلاثين. لديّ معلومات أكثر الآن، ولكنها لا تزال شحيحة. لن يستطيع البروفيسور بوركيت أن يسحرني كما فعل سابقًا، ولكنني لا أتذمر. إن كينيث ثيريولت - الذي لا أعلم ماهيته - دعونا نكتفي بهذا الحد الآن - حاول أن يخرّب وعيي الذي أنقذه سحر البروفيسور بوركيت، ولعله أنقذ حياتي أيضًا.

في وقت لاحق، اكتشفت أن نصف ما قاله كان صحيحًا عندما بحثت عن الموضوع كي أكتب عنه تقريرًا في مقرر الأنثروبولوجيا - لصالح جامعة نيويورك بالطبع - أما النصف الآخر فكان خرافات. عليّ أن أعطيه جائزة لإبداعه؛ كانت ستقول كاتبة العشق البريطاني فيليبيا ستيفيتز التي كانت تعمل مع أمي: علامة تامة.

انظروا إلى سخرية القدر هذه: كان خالي هاري مجنونًا مع أنه في الخمسينيات من عمره، ولكن مارتين بوركيت كان متألقًا في سن الثمانين... وكل ذلك لصالح ولد أتى من دون دعوة ومعه كسرولة وقصة مريبة.

كان البوذيون يمارسون طقس تشود في التيبت ونيبال؛ صحيح.

كانوا يقومون به كي يفهموا اللامفهوم وأسباب ما خفي لتوضيح الغيب؛ صحيح.

كان يستخدم هذا الطقس أيضًا في طرد الشياطين الداخلية والتي تسربت نتيجة عوامل خارجية؛ حيادي.

"هذا ما يجعله مثاليًا في حالتك يا جيمي لأنه يغطي كلا الجانبين".

"أنت تعني أنه سيفيدني حتى لو لم يكن ثيريولت موجودًا وكنتُ مجنونًا؟".

رمقني بنظرة غاضبة ومؤنبة كالتي يرمقها لطلابه وقال: "توقف عن الكلام وأصغِ إليّ".

"أنا آسف"، كنت أشرب كوبي الثاني من الشاي وأشعر بالغرابة.

انتقل البروفيسور بوركيت إلى أرض الخيال بعد أن وضع دعامات حقيقية... لم أكن أعرف الفرق وقتها. قال إنّ طقس تشود كان فعّالًا عندما يقابل البوذيون الجبليون مخلوق الييتي أو المعروف بالرجل الجليدي المقيت.

سألته: "أتلك المخلوقات حقيقية؟".

"لا أستطيع الجزم بالأمر مقارنة بالسيد ثيريولت، ولكن - بالمقارنة مع حالتك مع السيد ثيريولت - أعتقد أن سكان التيبت اعتقدوا بوجودها".

تابع البروفيسور حديثه وقال إنّ الشخص المنحوس الذي يصادف الييتي سيطارده إلى الأبد، إلّا إذا هزمه بواسطة طقس تشود. لو كان الهراء رياضة أولمبية لكان السيد بوركيت قد حصل على 10 في كل الجوانب، ولكنني كنت في الثالثة عشر من عمري، وهذا يعني أن الحيلة انطلت عليّ تمامًا.

لو كان هناك جانب مني على دراية بالذي يخطط له البروفيسور بوركيت - لا أستطيع التذكر - كنت قد استغبيته. عليكم تذكر كم كنت يائسًا. إن فكرة أن أظل عالقًا مع كينيث ثيريولت الملقب بثامبر مدى حياتي - أو لأستخدم كلمة البروفيسور مسكونًا به - كانت أفظع شيء يمكنني تخيله.

قلت له: "كيف يعمل؟".

"سيعجبك الموضوع؛ إنه يشبه تلك الحكايات الأصلية التي أعطيتك إياها؛ بالنسبة إلى القصص، فعليك أن تربط نفسك بالشيطان عن طريق عض لساني بعضكما".

قال هذا الكلام بشاعرية شديدة، وفكّرت في نفسي: يعجبني؟ لماذا سيعجبني؟

"عندما يحصل هذا التقارب، فسيتوجب عليك أن تتنافس مع الشيطان في معركة إرادة، وسيتم هذا عن طريق التخاطر لأنه سيكون صعبًا عليكما التحدث وأنتما تعضان... لساني...

بعضكما. من ينسحب أولًا يخسر تحكمه في النهاية".

حملقت به وقد فغرت فاهي. تربيت على اللباقة وخصوصًا بجانب زبائن أمي ومعارفها، ولكنني كنت أشعر بالقرف لدرجة أنني تخليت حتى عن آداب الحديث وقلت: "إن كنت تظن أنني - ماذا؟ - سأقبّل ذلك الرجل على الطريقة الفرنسية، فقد جننت؛ إنه ميت، ألم تفهم هذا؟".

"بلى يا جيمي، لقد فهمت ذلك".

"علاوة على ذلك، كيف سأرغمه على القيام بذلك؟ ماذا سأقول له؟ تعال يا عزيزي كيني وأعطني لسانك؟".

قال السيد بوركيت بتململ: "هل أنهيت كلامك؟"، مجددًا، جعلني أشعر أنني أغبى طالب في صفه، "أعتقد أن عض اللسان أمر مجازي كرمزية معجزة الخبز النبيذ في عشاء المسيح الأخير مع تلاميذه".

لم أفهم الأمر لأنني لم أتردد إلى الكنيسة، فأغلقت فمي.

"أصغِ إليّ يا جيمي، أصغِ إليّ".

أصغيت إليه، وكأن حياتي كانت على المحك، وكنت أعتقدها كذلك.

39

عندما كنت أتجهز للمغادرة - عدت إلى لباقتي، ولم أنسَ أن أشكره - سألني البروفيسور ما إن كانت زوجته قد قالت شيئًا آخر إلى جانب إخبارها عن مكان الخاتمين.

أعتقد أنكم لا تتذكرون الكثير من الصف الأول وأنتم في سنّ الثالثة عشر، لقد مر نصف عمر على ذلك الوقت، ولكنني تذكرت ذلك اليوم بوضوح؛ كان بوسعي أن أقول له كيف وصفت السيدة بوركيت ديكي الرومي، ولكن لم أتوقع أن الأمر سيهمه، لقد أراد أن يعرف ما قالت عنه وليس ما قالته لي.

"كنت تعانق أمي، وقالت إنّك ستحرق شعرها بسيجارتك، وهذا ما حصل حقًا، ولكنني أعتقد أنك أقلعت عن التدخين أليس كذلك؟".

"أسمح لنفسي بثلاث سجائر يوميًّا، لن أحرم نفسي تمامًا، ولكن ثلاث سجائر تكفيني. هل قالت شيئًا آخر؟".

"دعني أتذكر، قالت إنّك ستتناول العشاء مع امرأة بعد مضي شهر أو اثنين؛ لعل اسمها كان ديبي أو دايانا... أو شيئًا من هذا القبيل...".

"أكانت دولوريس؟ دولوريس ماغوان؟" كان ينظر إليّ نظرة مختلفة، واستنتجت أنه كان عليّ أن أبدأ بهذا الحديث. كان سيثبت مصداقيتي.

"لعله هذا".

أشاح بوجهه وقال: "لطالما اعتقدت مونا أنني معجب بتلك المرأة ولا أعلم السبب".

"قالت شيئًا ما عن دهنها لكريم يشبه مخلفات الخاروف على يديها...".

قال: "لانولين. كانت تدهنه على مفاصلها المتورمة".

"قالت شيئًا آخر أيضًا؛ قالت إنّك دائمًا ما تنسى إدخال حزامك بشكل صحيح. أظنها قالت: من سيساعدك في ذلك الآن؟".

قال بحنان: "يا إلهي يا جيمي".

"كما أنها قبّلتك على وجنتك".

كانت قبلة صغيرة، ومنذ سنوات، ولكنها ختمت الحديث؛ اعتقدت أنه أراد أن يصدقني حتى وإن في الجوانب التي تخصها وحسب. أراد الإيمان في حدوث تلك القبلة، وفي أنها كانت موجودة إلى جانبه.

غادرت عندما تمالكت نفسي أمامه قليلًا.

40

راقبتُ لأرى إن كنت سأجد ثيريولت في طريقي إلى المنزل - لقد أصبح ذلك منعكسًا طبيعيًا بالنسبة إليّ حتى الآن - لكنني لم أره، وقد منحني ذلك شعورًا رائعًا، ولكنني تخليتُ عن الأمل باختفائه الكلي من حياتي؛ إنه بمثابة شيء سيئ جدًا سيحصل يومًا ما، وكنتُ آمل فقط أن أكون مستعدًا له عندما يظهر.

في تلك الليلة، تلقيتُ بريدًا إلكترونيًا من البروفيسور بوركيت، والذي جاء فيه: لقد أجريتُ بعض الأبحاث وخرجتُ منها ببعض النتائج المثيرة للاهتمام، أعتقد أنهّا ستهمك، كان البريد يحتوي على ثلاثة مرفقات وجميعها مراجعات لكتاب ريغيس توماس الأخير، أشار البروفيسور للسطور التي وجدها مثيرة للاهتمام، وتركني أقوم باستنتاجاتي الخاصة وهو ما فعلتُه.

ما كُتِب في مجلة صاندي تايمز كان التالي: الكتاب الأخير الرائع لريغيس توماس هو الخليط الجميل ما بين المغامرات الحميمية والمغامرات الأخرى، ويمكن ملاحظة أن النثر هنا أكثر براعة، حيث تستطيع أن تجد قطعة فنية تحوي كتابة حقيقية في كل مكان بين سطوره.

أما في الغارديان فكُتِب ما يلي: على الرغم من أن غموض روينوك الذي طال انتظاره لن يكون بمثابة مفاجأة كبيرة للقراء - الذين كانوا يعلمون أن هذا سيحدث بالتأكيد - لكن لغة توماس أتت أكثر حيوية مما هو متوقع استنادًا إلى كتبه السابقة، حيث تعاقبتْ أحداث العرض بما فيها اللقاءات الجنسية العنيفة والكوميدية أحيانًا.

وفي ميامي هيرالد كُتب: الحوار مشوق وإيقاع الرواية جميل ومتناسق، واستطعنَا أن نشعر للمرة الأولى بالارتباط المثلي المؤثر والحقيقي بين لورا غودهوغ وبوريتي بيتانكورت بدلًا من أن يكون مجرد خيالات جامحة أو فكاهات شهوانية. يمكن القول إنّ هذا الكتاب كان خاتمة عظيمة.

لا يمكنني أن أظهر هذه المراجعات لأمي - لأن الأمر سيثير الكثير من الأسئلة - لكنني متأكدٌ من أنها ولا بد قد رأتْها بنفسها، وأعتقد أنها أسعدتها بقدر ما أسعدتني. وهي لم تنجح وتتجاوز الأمر فقط، بل استطاعت أن تلمع وتحسن من سمعة ريغيس توماس التي كانت سيئة بشكل مثير للأسف.

في الأسابيع والأشهر التي تلتْ لقائي الأول بكينيث ثيريولت، مرت عليّ ليالٍ عدة أذهب فيها إلى الفراش، وأنا أشعرُ بالخوف والحزن، ولكن تلك الليلة لم تكن واحدة منها.

41

لست متأكدًا تمامًا من عدد المرات التي رأيته فيها هذا الصيف، وهو ما يجب أن يجعلك تستنتج شيئًا، إذا لم تستنتجه بعد وهو ببساطة: لقد بدأتُ أعتاد عليه، ما كنت أصدق أنني سأعتاد عليه يومًا عندما رأيته يقف بجانب سيارة ليز داتون قريبًا مني بحيث يستطيع لمسي، وما كنت أُصدق ذلك في اليوم الذي فُتح فيه المصعد ووجدتُه بداخله حين أخبرني أن والدتي مصابة بالسرطان، وكان يبتسم وكأنه أسعد خبر قد سمعه في تاريخه. لكن كما يقولون الألفة تولد الاحتقار، ويصح هذا القول في حالتي هذه، لا شك أنه ساعد في عدم ظهوره في خزانة ملابسي أو تحت سريري، حيث يمكن للأمر أن يكون أسوأ، لأنني عندما كنت صغيرًا كنت متأكدًا من أن هذا هو المكان الذي ينتظر فيه الوحش ليسحب قدميّ أو ذراعي المتدلية. في ذلك الصيف، قرأتُ كتاب دراكولا - حسنًا... ليس الكتاب الأصلي - ولكن رواية مصورة اشتريتها من موقع محظور، ويقول فيها فان هيلسينغ إنّ مصاص الدماء لا يستطيع أن يأتي إلّا إذا دعوته.

إذا كان هذا صحيحًا بالنسبة إلى مصاصي الدماء، فيجب أن ينطبق الأمر على الكائنات الخارقة الأخرى، أجل هذا منطقي - على الأقل بالنسبة إليّ مجرد فتى في الثالثة عشرة من عمره - أي كائنات مثل تلك الموجودة في داخل ثيريولت والتي تمنعه من الاختفاء بعد مضي عدة أيام على موته مثل جميع الموتى الآخرين. بحثتُ في ويكيبيديا لمعرفة ما إذا كان السيد ستوكر قد اختلق هذا، ولكن تبيّن أنه لم يفعل، فقد كان هناك كلام مشابه لذلك في الكثير من الأساطير المتعلقة بمصاصي الدماء. الآن، وفي وقت لاحق، أستطيع أن أجد الأمر منطقيًا حيث إنّه إذا كان لديك إرادة حرة فعليك دعوة الشر.

معلومة أخرى، لقد توقف عن رفع ذلك الإصبع في وجهي معظم الأوقات.

في أغلب أوقات ذلك الصيف، اكتفى بالوقوف على مسافة مني والتحديق إليّ، والمرة الوحيدة التي رأيته يومئ فيها كانت مضحكة إلى حدٍّ ما، يمكن القول إنّ أي شيء يتعلق بذلك

اللعين غير الميت هو مضحك.

حصلتْ أمي على تذاكر لمشاهدة الميتس5 وهم يلعبون ضد التايغر6 في آخر يوم أحدٍ من شهر آب، خسر الميتس كثيرًا في الفترة الأخيرة، ولكنني لم أهتم لأن أمي استطاعت أن تحصل لنا على مقعدين رائعين عن طريق أحد أصدقائها الناشرين؛ خلافًا للاعتقاد الشائع، فإن الوكلاء الأدبيين يملكون أصدقاء. كان مقعدانا على جانب القاعدة الثالثة على بعد صفين من الملعب فقط، وخلال الشوط السابع، وفي الوقت الذي حاول فيه الميتس تقليص الفارق رأيت ثيريولت، وبينما كنت أبحث عن بائع النقانق، وجدتُ صديقي ثامبر يقف بالقرب من مكان مدرب القاعدة الثالثة، مرتديًا البنطال السميك نفسه ذا اللون الكاكي والقميص الملطخ بالدماء على الجانب الأيسر ورسالة الانتحار الملوثة بالدماء، ورأسه المتفجر كما لو أن شخصًا ما قد أسقط مربى الكرز فوقه، يبتسم ابتسامة عريضة، وأجل... يقوم بإيماءات مختلفة.

رمى مدافع التايغر الكرة - وفي غضون ثوانٍ بعد رؤيتي لثيريولت - قام الشورتستوب برمية قصيرة إلى رجل القاعدة الثالثة؛ كانت رمية غير موفقة وبعيدة، وكالعادة هتف الجمهور، واستهزأوا قائلين الأشياء التقليدية نفسها من مثل رمية جميلة أيها الفاشل، يمكن لجدتي أن ترمي أفضل من ذلك، ولكن كل ما فعلتُه كان الجلوس هناك ضاغطًا يدي على بعضهما بتوتر لدرجة أن أظافري غرستْ في راحة يدي. لم يرَ اللاعب القصير ثيريولت – بالتأكيد، فلو فعل لكان خرج راكضًا من الملعب وهو يصرخ بأعلى صوته - لكنه شعر بوجوده؛ أنا واثق من ذلك.

هنا شيء آخر: ذهب مدرب القاعدة الثالثة لاسترداد الكرة، ولكنه تراجع في منتصف الطريق، وقرر تركها تتدحرج، لو أنه تقدم، واعترض طريق الكرة، لكان سيصبح بجوار الشيء الذي لا يمكن لأحد غيري رؤيته؛ فهل شعر المدرب ببقعة باردة كما يظهر الأمر في أفلام الأشباح؟ لا أظن ذلك، أعتقد أنه شعر لمدة ثانية أو ثانيتين وكأن العالم بأسره يرتجف من حوله ويهتز كوتر الغيتار، لديّ أسبابي التي تجعلني أعتقد ذلك.

قالتْ أمي: "هل أنت بخير يا جيمي؟ لم تصبْ بضربة شمس أليس كذلك؟".

قلتُ: "أنا بخير"، ثم ضغطتُ يدي كما أفعل دائمًا وسألتُها: "هل ترين بائع النقانق؟"، نظرتْ حولها، ثم لوّحتْ لأقرب بائع، مما أعطاني بضع ثوانٍ لأرد على كينيث ثيريولت، وأرفع إصبعي في وجهه، تحولتْ ابتسامته إلى تكشيرة أظهرتْ جميع أسنانه، ثم دخل إلى مكان البدلاء

حيث كان اللاعبون الذين لم ينزلوا إلى الملعب يتجولون بين مقاعد البدلاء ليمنحوه المساحة اللازمة له من دون أن يكون لديهم أي فكرة عن سبب قيامهم بذلك.

جلستُ مبتسمًا، ولم أكن مستعدًا لفكرة أنني قد أستطيع جعله يختفي - ليس باستخدام صليب أو ماء مقدس ولكن برفع اصبعي في وجهه - لكن الفكرة جعلته يغادر.

بدأ الناس بمغادرة الملعب في ذروة الشوط التاسع، بعد أن سجل التايغر سبعة أهداف، ووسعوا الفارق كثيرًا. سألتني أمي إن كنت أرغب بالبقاء ومشاهدة السيد ميت داش، فهززتُ رأسي نافيًا. كان السيد داش صارمًا وشديدًا مع الأطفال؛ لقد قمتُ بذلك مرة منذ زمن، قبل ليز، وقبل أن يسرق ذلك اللعين ماكينزي أموالنا في مشروع بونزي الوهمي، حتى قبل ذلك اليوم الذي أخبرتني فيه مونا بوركيت أن الديوك الرومية ليست خضراء، حدث ذلك عندما كنتُ طفلًا صغيرًا، وكان العالم محارتي الغامضة، بدا ذلك منذ زمن بعيد جدًا.

42

ربما تسأل نفسك سؤالًا لم أطرحه على نفسي في ذلك الوقت: "لماذا أنا؟ لماذا جيمي كونكلين؟". لقد سألتُ نفسي هذا السؤال منذ ذلك الحين، ولا أعلم لماذا، وأعتقد أن السبب لأنني كنتُ مختلفًا، وأن ذلك الشيء الموجود بداخل ثيريولت يكرهني جدًا ويريد أن يؤذيني أو حتى يدمرني إن استطاع، وأظن - واتهمْني بالجنون إذا أردتَ ذلك - ولكنني أظن أنني أهنته بطريقة ما، وربما هناك شيء آخر، أعتقد أنه ربما – ربما - بدأتْ طقوس تشود بالفعل، وأظن أنه بمجرد أن بدأتْ بالعبث معي، فلا يمكن إيقافها، وكما قلتُ أنا أُخمن ذلك فقط، ربما كانتْ أسبابه شيئًا آخر تمامًا؛ أسبابًا مجهولة وفظيعة بالنسبة إليّ؛ كما قلتُ سابقًا، هذه قصة رعب.

43

كنتُ خائفًا من ثيريولت، لكنني أعتقد أنني ما كنت لأهرع خائفًا بجبن، إذا سنحتْ لي الفرصة لوضع طقوس البروفيسور بروكيت موضع التنفيذ، فكل ما أحتاج إليه هو إبقاء نفسي جاهزًا لأن يقترب ثيريولت مني حقًا، بعبارة أخرى ألّا يكون على بعد شارع مني أو يقف بالقرب من القاعدة الثالثة في الملعب.

لقد أتت هذه الفرصة في أحد أيام السبت من شهر تشرين الأول، حين كنتُ متوجهًا إلى حديقة غروفر لألعب كرة القدم مع مجموعة من زملائي في المدرسة. كانتْ أمي قد تركتْ لي ملاحظة ذكرت فيها أنّها سهرتْ حتى وقت متأخر تقرأ آخر أعمال فيليبا ستيفنز، وستبقى نائمة، لذا، توجب عليّ أن أتناول فطوري بهدوء، وألّا أشرب أكثر من نصف كوب من القهوة، ومن المفترض أن أقضي وقتًا ممتعًا مع أصدقائي، وأحرص على ألّا أعود إلى المنزل مصابًا بارتجاج في المخ أو بكسر في ذراعي؛ فخططتُ للعودة بحلول الساعة الثانية على الأكثر. تركتْ لي أمي نقودًا لشراء طعام الغداء، فقمتُ بطيها بعناية ووضعتها في جيبي، وكان هناك ملاحظة: "هل ستصغي إليّ إن طلبت منك أن تأكل شيئًا أخضر، حتى لو مجرد قطعة من الخس على الهامبرغر؟"، ربما يا أمي، ربما، ثم سكبتُ القليل من الكورن فليكس وأكلته بهدوء.

عندما غادرتُ الشقة، لم أكن أُفكر في ثيريولت أبدًا، لقد بدأ الوقت الذي أُفكر فيه يتقلص ويتضاءل تدريجيًا، فاستغللت بعضًا من الوقت المتوفر حديثًا للتفكير في أشياء أخرى، معظمها عن الفتيات، وبشكل أكثر دقة كنتُ أفكر في فاليري غوميز بينما أعبر الرواق باتجاه المصعد. هل قرر ثيريولت أن يقترب مني ذلك اليوم لأنه يملك رؤية واضحة عن تفكيري وعلم أنه كان بعيدًا عن أفكاري ذلك اليوم؟

هل يمكن القول إنّه نوع من التخاطر؟ لا أعرف ذلك أيضًا.

ضغطتُ على الزر المخصص للمصعد، وكنت أتساءل إن ستأتي فاليري وتشاهد المباراة، كان احتمال قدومها كبيرًا، لأنّ شقيقها بابلو يلعب معنا. كنت قد غصتُ في أعماق أحلام اليقظة أتخيل نفسي وأنا ألتقط التمريرة، ثم أتخطى كل اللاعبين، وأهرع راكضًا إلى منطقة النهاية وأنا أرفع الكرة بيدي، ولكن بمجرد أن وصل المصعد خطوتُ خطوة إلى الخلف - وهذا أيضًا أصبح منعكسًا طبيعيًا بالنسبة إليّ - كان فارغًا، دخلته، وضغطتُ على الزر، نزل المصعد، وفُتِح الباب؛ كان هناك رواق قصير ثم باب مغلق من الداخل والذي يؤدي بدوره إلى ردهة قصيرة، لم يكن الباب مقفلًا من الخارج بحيث يمكن لساعي البريد أن يدخل ويضع البريد في الصناديق، إنّ كان ثيريولت هناك في الردهة لما كنت سأستطيع فعل ما فعلته، ولكنه لم يكن هناك، بل كان في الداخل في نهاية القاعة يحملق مبتسمًا كما لو أنه سيتم حظر الابتسام غدًا.

لقد بدأ يتمتم بشيء ما، ربما يتفوه بأحد توقعاته التي هي محض هراء؛ ربما لو كنتُ أفكر به بدلًا من تفكيري بفاليري لكنتُ تجمّدت في مكاني أو عدت إلى المصعد وضغطت زر إغلاق المصعد بسرعة، ولكنني في تلك اللحظة، كنتُ غاضبًا منه، ومن تطفله على خيالي، ولم أتذكر إلّا ما أخبرني به البروفيسور بوركيت في ذلك اليوم الذي زرته فيه لأعطيه الكسرولة.

حيث قال: "عض اللسان في طقوس تشود هو مجرد احتفال واحد قبل لقاء العدو، هنالك الكثير من الإشارات، يقوم الماوريون7 برقصة بكاء الموت وهم يواجهون خصومهم، ويقوم طيارو الكاميكاز بشرب نخب بعضهم والتقاط صور مع أهدافهم لأنهم يعتقدون أن مشروب الساكي سحري، وفي مصر القديمة، كان المتحاربون يضربون بعضهم على جباههم قبل أن يخرجوا السكاكين، والرماح، والأقواس، ومصارعو السومو يربتون على أكتاف بعضهم؛ فجميع هذه الإشارات تصب في خانة واحدة ألا وهي: ألتقي بك في ساحة القتال حيث يتغلب أحدنا على الآخر ويبرز أنه أفضل منه. بعبارة أخرى يا جيمي، لا تصبَّ كل اهتمامك على إخراج لسانك له، عليك فقط أن تمسك بشيطانك وتتمسك بحياتك الغالية".

لذلك، وبدلًا من أن أتجمد في مكاني أو أتأرجح خائفًا، اندفعت إلى الأمام من دون تفكير وذراعاي أمامي كما لو أنني على وشك احتضان صديق عزيز غائب منذ فترة طويلة، صرختُ - أعتقد أن الصرخة كانتْ في رأسي فقط - لأنني لم أُثِرْ انتباه سكان الطابق، ولم يخرج أحد من شقق الطابق الأرضي ليرى ما الذي يجري.

كانت ابتسامة ثيريولت ظاهرة - والتي تسمح برؤية كتلة من الدم المتجمد بين أسنانه وخده - وتمكنتُ من رؤية شيء رائع ويزداد روعة: لقد رأيتُ خوفه مني، حيث بدأ يترنح إلى الخلف

باتجاه باب الردهة الذي لا يفتح إلّا من الجهة الأخرى، وهذا ما حاصره في مكانه، ركضتُ باتجاهه وأمسكتُ به، لا أستطيع أن أصف الأمر، وبما أنني لا أعتقد أن هناك كاتبًا موهوبًا بقدري، لذلك سأبذل قصارى جهدي، هل تتذكر ما قلتُه عندما وصفتُ العالم وهو يهتز مثل وتر الغيتار؟ كان هذا حال الجزء الخارجي الظاهر من ثيريولت وكل ما حوله، كان بإمكاني أن أشعر به وهو يجعل أسناني ترتجف، وهناك شيءٌ آخر... شيءٌ بداخل ثيريولت.

بدا هذا الشيء وكأنه مجرد وعاء يقبع بداخله، وفي الوقت نفسه يمنعه من الانتقال إلى ذلك المكان الذي ينتقل إليه الموتى عندما تنتهي كل علاقة لهم مع عالمنا.

كان الأمر سيئًا جدًا، وكان يصرخ في وجهي، لأفلت هذا الشيء بعيدًا، أو بعبارة أخرى لأفلت ثيريولت بعيدًا؛ ربما ليس هناك فرق؛ بإمكانك رؤية خوفه وغضبه في آن معًا، ولكن أكثر ما يمكنك رؤيته هو المفاجأة التي ارتسمت على ملامحه، لأن آخر ما توقعه هو أن أمسك به.

بذل ذلك الشيء قصارى جهده ليتخلص مني، وكاد يتمكن من الهرب ما لم يكن ثيريولت محاصرًا عند الباب، أنا واثق من ذلك، فأنا مجرد ولدٍ ذي بنية جسدية ضئيلة، وثيريولت أطول مني بخمس بوصات على الأقل، وإن كان حيًّا فسيكون أثقل مني بحوالى مئة رطل، ولكنه ميت. الشيء الذي بداخله كان حيًا، وأنا متأكد تمامًا أنه دخل إلى ثيريولت عندما أجبرته أن يجيب عن أسئلتي خارج تلك البقالة الصغيرة.

ارتفعت حدة الاهتزاز، وأصبح أكثر سوءًا، أصبح واضحًا في السقف وفي الأرضية، واهتز المصباح بشدة مبعثرًا الظل والضوء على الأرضية، حتى الجدران لم تبقَ ساكنة، بل راحتْ تهتز جيئةً وذهابًا.

قال ثيريولت: "أفلتني"، كان صوته يرتجف أيضًا، وقد بدا الأمر شبيهًا بوضعك لورقة الزبدة فوق مشط، ثم نفخك عليها، فتهتز مصدرة ذلك الصوت. فجأة فتح ذراعيه على وسعهما، وأغلقهما، فأمسك بي وطوق ظهري، شعرتُ على الفور بضيق في النفس، وقال ثيريولت: "أفلتْني وسأفلتُك بدوري".

قلتُ: "لا"، ثم ضغطت بقوة لأجذبه نحوي، أتذكر أنني قلتُ لنفسي، وأخيرًا حلت ساعة الحسم.

هذه هي طقوس تشود، فأنا الآن في معركة مميتة مع الشيطان، هنا في الردهة الأمامية من مبنى سكني في مدينة نيويورك، قال ذلك الشيء: "سأجعلك تلفظُ أنفاسك الأخيرة".

قلتُ له: "لن تستطيع ذلك"، وأنا آملُ حقًا أن أكون على حق، كنت لا أزال أتنفس، ولكن أنفاسي كانت متقطعة وثقيلة، وبدأتُ أشعر كما لو أنه يمكنني الرؤية عبر ثيريولت. ربما كانت مجرد هلوسات سببها ذلك الاهتزاز الشديد وإحساسي بأن العالم على وشك أن ينفجر تمامًا، ولكنني لا أظن ذلك، فلم أرَ في الداخل أحشاءً بل رأيتُ ضوءًا؛ كان داخله مشرقًا ومظلمًا في آن معًا، كان شيئًا من خارج هذا العالم، ويمكن القول إنّه كان شيئًا مرعبًا حقًا.

قد تتساءل كم من الوقت مضى ونحن نعانق بعضنا بقوة؟ ربما مضت خمس ساعات وربما تسعون ثانية فقط، وقد تقول إنّه من المستحيل أن نقف هكذا لخمس ساعات، لأنّه وفي غضون ذلك سيمر شخص ما، ولكنني أعتقد، وأكاد أكون واثقًا، أننا كنا خارج نطاق الزمن الخاص بهذا العالم.

لكن إن كان هناك أمر كنت واثقًا منه، فهو أن باب المصعد لم يُغلق بعد خمس ثوانٍ من خروج الشخص منه كما هو مفترض، حيث رأيت انعكاس المصعد على كتفي ثيريولت، ورأيتُ أن أبواب المصاعد الأخرى ظلت مفتوحة طوال الوقت.

أخيرًا، قال ذلك الشيء: "دعني أذهب، ولن أعود مجددًا"، كان عرضه مغريًا، وأنا واثق أنكم توافقونني الرأي، وربما كنتُ أنا نفسي لأقبل بما قاله لو لم يجهزني البروفيسور لكل هذا أيضًا.

لقد قال لي: "لا تسمح له بمساومتك"، ثم أخبرني بما يجب أن أفعله، ربما ظن أنني لن أواجه سوى بعض الاضطرابات العصبية أو أيًا تكن الكلمة النفسية التي تريد استخدامها.

قلتُ: "لم يعجبني عرضك"، وواصلتُ ضمه بقوة، وهذا ما أتاح لي أن أرى المزيد من داخل ثيريولت، وأدركتُ أنه كان شبحًا حقيقيًا.

ربما كان كل الأموات الذين رأيتهم أشباحًا، ولكنني أرى لهم بنية، فكلما فقد الشبح قيمته كلما ازداد سطوع ذلك الضوء الداكن - ذلك الضوء الميت - الذي لم تكن لديّ فكرة عن ماهيته، ولم أكن أعرف سوى أنني أمسك به، فتذكرت القول المأثور: من يمسك النمر من ذيله فلا يجرؤ على تركه، لأنه بمجرد أن تفلته سيأكلك.

ويمكن أن أوكد أن ذلك الشيء الذي بداخله أسوأ من أي نمر.

قال وهو يلهث: "ماذا تريد؟"، كان يلهث من دون أن يخرج منه أي نفس، فلو خرجتْ أنفاسه لكنتُ سأشعر بها على خدي ورقبتي، ورغم ذلك كنتُ متأكدًا أنه يلهث مثلي، وربما بشكل أكثر سوءًا.

تنفست بعمق، ثم قلتُ ما أخبرني به البروفيسور بوركيت بأن أُشرك عدوي في طقوس تشود: "لا يكفي أن تتوقف عن ملاحقتي"، وعلى الرغم من أن كل شيء كان يرتجف حولي، وعلى الرغم من أن هذا الشيء كان يضعني على حافة الموت، فقد غمرتني مشاعر السعادة بعد أن قلتُ ذلك، لقد غمرني شعور عظيم، يمكن القول إن هذه متعة المحارب.

"الآن سأجعلك تحت إمرتي".

"كلا"، ثم عصرني أكثر بين ذراعيه.

لقد ضغطت على ثيريولت على الرغم من أنّه مجرد صورة ثلاثية الأبعاد خارقة للطبيعة.

"بلى"، أخبرني البروفيسور بوركيت أن أقول شيئًا آخر، إذا سنحتْ لي الفرصة، ووجدتُ في وقت لاحق أن ما قلته كان عنوان قصة أشباح شهيرة مع القليل من التعديل، مما جعل العبارة مناسبة جدًا للموقف، قلتُ: "أوه... عندما أصفّر ستأتي إليّ يا صديقي".

"كلا"، ثم عاودت المقاومة، فأشعرني ذلك الضوء الوامض كما لو أنني على وشك التقيؤ، ولكنني كبحت نفسي، وقلتُ: "أجل سأجعلك تظهر بقدر ما أريد، ووقتما أريد، وإذا لم توافق على هذا، فسأبقى ممسكًا بك هنا حتى تموت".

"من المستحيل أن أموت، بخلافك"، ما من شك في أن ما قاله كان صحيحًا، ولكن لم يسبق لي أن شعرت بالقوة أكثر من الآن، أضف إلى ذلك أن ثيريولت هو الغطاء لهذا الضوء الميت في عالمنا. استمررنا على هذه الوضعية من دون أن ننبس ببنت شفة، كنا نمسك ببعضنا، ثم شعرت بقشعريرة تسري عبر جسدي، وبالخدر في يديّ وقدميّ، ولكنني لم أفلته، فقد عقدت العزم على ألّا أفلته وإن اضطررت أن أبقى على هذه الحال إلى الأبد.

لقد أرعبني ما بداخله، ولكنه كان محاصرًا، حسنًا، وأنا بدوري كنت محاصرًا، فهذه هي طبيعة هذه الطقوس.

إذا أفلته فسيفوز.

في نهاية المطاف قال: "حسنًا، أوافق على شروطك".

خففتُ الضغط، وأرخيتُ قبضتي قليلًا ثم سألته: "هل تكذب عليّ؟"، قد تظن سؤالي غبيًا إلّا أنه ليس كذلك.

أجاب بأقل قدر من العدوانية: "لا أستطيع أن أكذب، وأنت تعلم ذلك".

"كرر ما قلته، أخبرني بموافقتك".

"أنا أوافق على شروطك".

"أنت تعلم أنني أستطيع السيطرة عليك".

"أعلم، ولكنني لستُ خائفًا منك"، حسنًا، هذه كلمات جريئة وشجاعة، ولكن كما اكتشفتُ سابقًا أن ثيريولت يستطيع قول العديد من العبارات غير الصحيحة عندما يريد ذلك، وهذه العبارات ليستْ أجوبة عن أسئلة، وأي شخص يجبره موقفه على قول إنّه ليس خائفًا فهو يكذب، ليس عليّ الانتظار حتى أتقدم في السن لأتعلم ذلك، فلقد اكتشفتُ ذلك في الثالثة عشر من عمري، سألته: "هل أنت خائف مني؟".

رأيت ملامح الضيق على وجه ثيريولت مرة أخرى، كما لو أنه يتذوق شيئًا لاذعًا مرّ الطعم، وهو على الأغلب شعور ذلك البائس اللعين تجاه قول الحقيقة.

"أجل، لستَ مثل بقية الناس، أنت تستطيع الرؤية".

"أجل ماذا؟".

"أجل أنا خائف منك".

جميل جدًا. أفلتُه قائلًا: "اخرج من هنا، أيًا ما تكن، وتوجّه إلى حيث تريد، ولا تنسَ أن تأتي عندما أستدعيك".

استدار قليلًا، ونظر إليّ نظرة أخيرة من خلال الثقب الكبير في الجانب الأيسر من رأسه، ثم أمسك بمقبض الباب حيث مرت يده خلاله ولم تمر، أعلم أن هذا غير منطقي وغير ممكن ومتناقض، ولكن هذا ما حدث، لقد رأيتُه.

استدار المقبض، وفُتح الباب، وفي الوقت نفسه انطفأ ضوء المصباح العلوي، وعلتْ أصوات تكسير لبعض الزجاج في السقف. كان هناك العشرات أو نحو ذلك من صناديق البريد في الردهة، وقد أدى خروجه إلى فتح نصفها. رمقني ثيريولت بنظرة أخيرة بغيضة من فوق كتفه المغطى بالدماء، ثم مضى في سبيله تاركًا الباب الأمامي مفتوحًا.

رأيتُه ينزل الدرج، ولكنه بدا لي أنه يغرق في الدرجات بدلًا من أن ينزل عبرها، وقد صادف مرور رجل بسرعة على دراجة، ولكن توازنه اختل، وسقط أرضًا، وتمدد في الشارع، وشرع يشتم.

لم أتفاجأ مما حصل، لأنني أعرف أنّه يمكن للموتى أن يؤثروا على الأحياء؛ تلك التأثيرات أصبحت شيئًا صغيرًا عابرًا بالنسبة إليّ، فشعور البروفيسور بروكيت بقبلة زوجته، وشعور ليزا بأن ريغيس توماس ينفخ على وجهها، ولكن ما رأيته للتو - انطفاء ضوء المصباح، واستدارة مقبض الباب، وسقوط الرجل عن دراجته - كانت جميعها مختلفة المستوى عن سابقاتها.

أما بالنسبة إلى ما أدعوه بـ الضوء الميت، فلقد كاد أن يفقد حاضنه عندما كنتُ متمسكًا به، ولكن عندما تركتُه لم يكتفِ بأن استعاد ثيريولت بل أصبح أقوى، على الأغلب أتتْ هذه القوة مني، ولكنني لا أشعر بأي ضعف - مثل لوسي ويستنرا المسكينة عندما كان يستخدمها الكونت دراكولا كعربة غذاء شخصية - بل حتى إنني شعرتُ بقوة أكبر، وبأنني منتعش ومفعم بالحيوية كما لم يسبق لي أن شعرت، وكان هو أقوى، حسنًا، لماذا؟ لأنني جعلتُه خادمي وسيطرت عليه.

للمرة الأولى، منذ ذلك اليوم الذي اصطحبتْني فيه ليز من المدرسة، ورافقتها للبحث عن ثيريولت، أشعر أنني على ما يرام، الأمر أشبه بالبدء بالتحسن بعد معاناة طويلة من مرض خطير.

44

قرابة الساعة الثانية والربع، عدت إلى المنزل، كنت متأخرًا بعض الشيء، ولكنني لم أكن متأخرًا بما يترك مجالًا لأمي لتقول لي لقد كنتُ قلقة عليك للغاية. لقد خدشت ذراعي، ومزقت بنطالي عند الركبة بعد أن صدمني أحد الأولاد في المدرسة الثانوية، ووقعت بقوة على ركبتي، ولكن رغم هذا شعرتُ أنني بخير تمامًا. لم تكن فاليري هناك، ولكن حضرت اثنتان من صديقاتها، حيث قالتْ إحداهما أن فاليري معجبة بي، وقالتْ الأخرى أن عليّ التحدث إليها على الغداء، وربما قد أجلس معها أيضًا.

ما هي احتمالات حدوث ذلك؟

دخلتُ الردهة، ورأيتُ أن شخصًا ما - السيد بروفينزا على الأغلب - قد أغلق صناديق البريد التي فُتحتْ عندما غادر ثيريولت، أو بعبارة أدق عندما فرّ. كذلك نظّف السيد بروفينزا الزجاج المكسور، ووضع لافتة أمام المصعد تشير إلى أنه خارج الخدمة حاليًا. ذكرني ذلك باليوم الذي عدتُ فيه من المدرسة، وأنا أمسك بالديك الرومي الأخضر، ووجدتُ المصعد في قصرنا المطل على الحديقة معطلًا فقالتْ أمي حينها: "تبًا لهذا المصعد"، ثم أعقبتها بعبارة: "اعتبر نفسك لم تسمعْ ما قلته يا عزيزي"، آه، تلك الأيام الخوالي!

صعدتُ الدرج، ودخلتُ المنزل فوجدتُ أمي تجلس بجانب نافذة غرفة المعيشة تقرأ مسودة وتشرب القهوة بعد أن جرّتْ كرسي مكتبها إلى هناك، وقالتْ: "كنتُ على وشك الاتصال بك"، ثم قالتْ وهي تنظر إليّ من الأعلى إلى الأسفل: "يا إلهي... هذا بنطال جينز جديد".

"أنا آسف، ربما يمكننا ترقيعه وإصلاحه".

"لديّ العديد من المهارات، ولكن الخياطة ليست واحدة منها، سآخذه إلى السيدة أبيلسون في داني كلينرز. ماذا تناولتَ على الغداء؟".

"برغر مع الخس والطماطم".

"أحقًا؟".

قلتُ: "لا أستطيع أن أكذب"، وبالتأكيد قفز ذهني حينها إلى ثيريولت، وسرتْ قشعريرة في جسدي.

"دعني أرَ ذراعك، تعالَ إلى هنا بحيث يمكنني أن ألقي نظرة عن كثب".

اقتربتُ، وأريتُها ندبتي كمن يعرض ندبة معركة، فقالتْ: "لا حاجة إلى إسعافات أولية على ما أعتقد، ولكن عليك أن تضع بعض النيوسبورين عليها".

"حسنًا، إذا كنت ستسمحين لي بمشاهدة قناة إي أس بي أن بعد ذلك؟".

"كنتُ لأسمح لك لو كان هناك كهرباء، لماذا تظن أنني أقرأ عند النافذة بدلًا من الجلوس في مكتبي؟".

"أوه، لهذا المصعد خارج الخدمة".

"أذهلتني بقوة استنتاجك يا سيد هولمز"، كانتْ هذه العبارة واحدة من نكات أمي الأدبية الكثيرة، ثم أكملتْ: "انقطعتْ الكهرباء في مبنانا فقط، لقد قال السيد بروفينزا أن شيئًا ما قد تسبب في حرق كل قواطع الكهرباء؛ شيئًا ما كزيادة القوة الكهربائية إلى حدّ كبير، وذكر أنه لم يسبق له أن رأى شيئًا مثل هذا، وعلى الرغم من قوله إنّه سيحاول إصلاحه بحلول الليل، إلّا أنني أظن أننا سنمضي الليلة على ضوء الشموع والمصابيح اليدوية".

اعتقدت أن من تسبب في ذلك هو ثيريولت، ولكنني واثق الآن أنّه ليس هو، بل ذلك الشيء الذي بداخله، ذلك الشيء هو الذي كسّر المصابيح، وفتح بعض صناديق البريد، وحرق قواطع الكهرباء عندما خرج، ذهبتُ إلى الحمام لأجلب مرهم النيوسبورين؛ لقد كان المكان مظلمًا للغاية في الداخل، ولذلك كبستُ على زر إنارة المصباح؛ إن الأمر مجرد عادة لعينة. جلستُ على الأريكة لأضع المضاد الحيوي على جرحي، وتساءلتُ بينما أنظر إلى التلفاز عن عدد القواطع الكهربائية الموجودة في مبنى سكني بحجم مبنانا، وعن مقدار الطاقة اللازم لحرقها جميعًا. يمكنني أن أصفّر لأدعو هذا الشيء، وإذا صفّرتُ، فهل سيأتي ذلك الشيء إلى الفتى الذي يدعى جيمي كونكلين؟

يمكن القول إنّ هذه قوة كبيرة لطفل عليه أن ينتظر ثلاث سنوات أخرى ليحصل على رخصة القيادة.

"أمي؟".

"ماذا؟".

"هل تظنين أنني كبير بما يكفي لأحظى بحبيبة؟".

قالت من دون أن ترفع نظرها عن المسودة: "كلا يا عزيزي".

"متى سأصبح كبيرًا بما يكفي؟".

"ربما عندما تبلغ الخامسة والعشرين من عمرك؟".

ثم شرعت تقهقه وقهقهت معها، فكرتُ بيني وبين نفسي أنه ربما عندما أبلغ الخامسة والعشرين من عمري سأكون في المرحلة التي أستدعي فيها ثيريولت، وأطلب منه أن يُحضِر لي كأسًا من الماء، ولكن بعد التفكير في الأمر، فإن أي شيء يحضره يعتبر سمًا. أو قد أطلب منه أن يَحضُر فقط لأجل الاستهزاء به وإلقاء النكات، وربما أطلب من هذا الشيء أن يقف على رأسه - رأس ثيريولت – ويباعد ساقيه، أو قد أطلب منه أن يمشي على السقف، وربما أستدعيه ثم أصرفه، وقد أطلب منه أن يشرب حتى الثمالة. بالطبع يجب ألّا أنتظر حتى أبلغ الخامسة والعشرين من عمري لفعل كل هذا حيث يمكنني فعله في أي وقت، ولكنني لم أرغب بذلك الآن فقط، أريده أن يكون سجيني لبعض الوقت، فقد تحول هذا الضوء اللعين إلى أسوأ من يراعة بداخل جرة، لنراقب إلى أي مدى سيعجبه ذلك.

عند الساعة العاشرة، عاد التيار الكهربائيّ، وبدا العالم أنه بخير.

45

يوم الأحد، اقترحت أمي أن نزور الأستاذ بوركيت لنطمئنَّ عليه، ونستعيد الكسرولة، وقالت: "يمكننا أيضًا أن نحضر له بعض الكرواسان الجاهز من هابر".

أشدتُ باقتراحها، ثم اتصلت به، وأخبرها أن رؤيتنا تسعده، فاتجهنا بعدها إلى المخبز، ثم استقللنا سيارة أجرة، فقد رفضت أمي أن نستخدم الأوبر قائلة إنّها ليست سمة نيويوركية، ولكن سيارة الأجرة لديها سمة نيويوركية.

أعتقد أن تلك المعجزة التي تدعى الشفاء تصيب المتقدمين في السن أيضًا، فقد كان البروفيسور بوركيت يتحرك بشكل جيد، وبدأ يستخدم عكازًا واحدًا فقط. لم يكن يتحرك بشكل جيد ليشارك في ماراثون نيويورك مرة أخرى - إذا كان قد فعل ذلك من قبل أصلًا - ولكنه كان قادرًا على استقبالنا ومعانقة والدتي مُرحّبًا ولم أشعر بالخوف منه عندما صافحني، فتبادلنا نظرة خاصة وأومأتُ له إيماءة خفيفة وابتسمتُ، نحن نفهم بعضنا البعض.

تنقلت أمي في كل مكان لتضع الأشياء التي جلبناها من الكرواسان وقوالب الزبدة والمربى، أكلنا معًا في المطبخ، وكانت شمس الصباح مشرقة، وكانت وجبة خفيفة ولطيفة. عندما أنهينا تناول طعام الفطور نقلت أمي ما بقي منه إلى علبة ذات غطاء - وكان معظمه لم يؤكل؛ أعتقد أن الكبار في العمر لا يأكلون كثيرًا - ثم غسلتِ الكسرولة، وتركتها لتجف، واستأذنت بعدها لتستخدم الحمام.

بمجرد أن غادرت انحنى البروفيسور بوركيت باتجاهي وسألني: "حسنًا، ما الذي حدث؟".

"بالأمس، وجدته في الردهة عندما خرجتُ من المصعد؛ لم أفكر كثيرًا في الأمر، واندفعتُ إلى الأمام وأمسكتُ به".

"هل كان هناك؟ ذلك الثيريولت؟ هل رأيتَه وشعرتَ به؟".

أعلم أنّه لم يقتنع بشكل كامل بذلك، ويظن أنني أتخيل الأمور، فأنا أستطيع أن أرى تلك التعابير على وجهه، في الحقيقة هذا أمر طبيعي، فمن يلومه على ذلك؟

"أجل، هناك شيء بداخله، إنه عبارة عن ضوء، وقد حاول الإفلات والابتعاد، ولكنني بقيتُ ممسكًا به، كان الموقف بأكمله مخيفًا، ولكنني كنتُ أعلم أنني سأصاب بالكثير من الأمور السيئة إذا تركتُه، وفي النهاية، عندما وجد ذلك الشيء - ثيريولت - على وشك أن يتلاشى تمامًا، عمل على...".

"يتلاشى؟ ماذا تقصد بذلك؟".

سُمع صوت دافق المياه في المرحاض، بالطبع لن تعود أمي قبل أن تغسل يديها، ولكن ذلك لن يستغرق وقتًا طويلًا، فتابعتُ حديثي قائلًا: "قلتُ له ما أخبرتني به يا بروفيسور، إذا صفّرتُ فيجب عليه أن يأتي إليّ، وأنه قد أصبح دوري الآن لأطارده وأجعله تحت إمرتي، ووافق على هذا، ثم أجبرتُه على قول ذلك بصوت مرتفع، وقد فعل ذلك".

عادت أمي قبل أن يتمكن من طرح المزيد من الأسئلة، ولكنني تمكنتُ من رؤية علامات الاضطراب على وجهه، وأنه يعتقد أن تلك المواجهة بأكملها حصلت في مخيلتي فقط. لقد أغضبني ذلك بعض الشيء، فهو يعلم عن أمور كثيرة ويصدقها – عن الخاتمين، وكتاب السيد توماس – ولكن بالعودة والنظر إلى الأمر ككل، استطعتُ تفهمه.

تعتبر معتقدات الشخص وأفكاره بمثابة عقبة عالية المستوى يصعب تجاوزها، وأعتقد أن ارتفاعها يكون أعلى لدى الأشخاص الأذكياء، حيث يعرف الأذكياء كثيرًا من الأمور، وهذا ما يجعلهم يظنون أنهم يعرفون كل شيء. قالت أمي: "يجب أن نذهب يا جيمي، لديّ مسودة عليّ إنهاؤها".

قلتُ: "دائمًا لديك مسودة عليك إنهاؤها"، فضحكت لأن ذلك كان صحيحًا، فهناك كدسة من المسودات عليها قراءتها في مكتبها في الوكالة وفي مكتبها في المنزل. قالت: "ولكن قبل أن نذهب أخبر الأستاذ بما حصل في مبنانا بالأمس". التفتت إلى البروفيسور بوركيت قائلة: "كان ذلك غريبًا جدًا يا مارتي، حُرقِت كل قواطع الكهرباء في المبنى، كلها في الوقت نفسه. قال السيد بروفينز أنه حدث شيء ما أشبه بتصاعد قوة مفاجئ وشديد للتيار الكهربائيّ، وقال إنّه لم يسبق له أن رأى شيئًا كهذا في حياته".

بدا البروفيسور مذهولًا: "حدث هذا في مبناكم فقط؟".

"أجل، مبنانا فقط". ثم تحدثت إليّ قائلة: "هيا، تعالَ يا جيمي، لنترك مارتي يحصل على بعض الراحة".

كانتِ المغادرة أشبه بإعادة لعملية الدخول حيث تبادلنا النظرات أنا والبروفيسور بوركيت وأومأتُ له بشكل خفيف.

نحن نفهم بعضنا حقًا.

46

في تلك الليلة تلقيتُ رسالة منه عبر البريد الإكتروني، تم إرسالها من جهازه الآيباد؛ لقد كان الشخص الوحيد في دائرة معارفي ممن يستخدم التحية الرسمية عندما يرسل بريدًا إلكترونيًا، وكان يكتب جملًا كاملة بدلًا من الاختصارات الشبابية المتعارف عليها.

عزيزي جيمي، بعد أن غادرتَ أنت ووالدتك هذا الصباح، قمت ببعض الأبحاث حول اكتشاف المتفجرة في إيستبورت، وهو شيء كان عليّ فعله منذ زمن، وما وجدته كان ممتعًا. لم يكن هناك ظهور واضح لإليزابيث داتون في أي من القصص الإخبارية، حيث تلقت فرقة تفكيك المتفجرات معظم المديح - خاصة الكلاب، فالناس تحب الكلاب كما تعلم، وربما قام العمدة بمنح أحد الكلاب ميدالية حقًا - وتم الاكتفاء بذكرها على أنها محققة تلقتِ اتصالًا من مصدر معلومات قديم. لقد شعرتُ بالغرابة لأنها لم تشارك في المؤتمر الصحفي بعد نجاح تفكيك المتفجرة، حتى إنها لم تحصل على مدح رسمي.

بغض النظر فقد تمكنت من الاحتفاظ بوظيفتها؛ ربما كانت هذه هي المكافأة التي أرادتها والتي شعر جميع رؤسائها بأنها تستحقها. حسنًا، بالنظر إلى أبحاثي حول هذا الموضوع وعند وضعها جنبًا إلى جنب مع الأحداث الغريبة لانقطاع التيار الكهربائي في مبناكم عندما واجهتَ ثيريولت، بالإضافة إلى الأمور الأخرى التي قلتَها لي، أجد نفسي غير قادر على عدم تصديق كل تلك الأشياء التي أخبرتني إياها.

يجب أن أحذرك، لا أهتم بكل تلك الثقة التي كانت على وجهك عندما أخبرتني بأنك قلتَ له إنّه أصبح دورك لتطارده، وإنه يمكنك أن تُصفّر فقط وسوف يأتي إليك، ربما ذلك صحيح وقد يأتي إليك حقًا، ولكنني أحثك بقوة شديدة على عدم فعل ذلك.

يسقط أفضل الذين يسيرون على السلك في السيرك في بعض الأحيان، وقد يُهاجَم مروض الأسود من قبل قطة عنيفة، وتحت ظروف معينة يمكن لأفضل كلب أن يستدير ويعض صاحبه؛ ما

أعنيه يا جيمي - وهذه نصيحتي لك - اترك هذا الشيء وشأنه بعيدًا عنك.

مع كل الحب والأماني الطيبة، من صديقك البروفيسور بوركيت (مارتي).

ملاحظة: أشعر بالفضول لمعرفة كامل تفاصيل تجربتك الاستثنائية، عندما يكون بإمكانك القدوم لرؤيتي، فسأكون في انتظارك لأستمع إليك بكل اهتمام. أفترض أنك ما زلت لا تريد أن تثقل كاهل والدتك بالقصة، وبالأخص بعد أن آلتِ الأمور إلى نهاية ناجحة.

رددتُ عليه على الفور، وكان ردي مقتضبًا، ولكنني حرصتُ على كتابته كما فعل.

العزيز البروفيسور بوركيت، تسرني زيارتك، ولكن لا يمكنني القيام بذلك قبل يوم الأربعاء بسبب رحلة إلى متحف متروبوليتان للفنون يوم الاثنين، وبسبب وجود مباراة كرة طائرة جماعية للفتيان ضد الفتيات يوم الثلاثاء، إذا كان يناسبك، أستطيع أن آتي يوم الأربعاء بعد المدرسة قرابة الساعة الثالثة أو الثالثة والنصف، ولكن لا يمكنني البقاء لأكثر من ساعة. سأخبر والدتي بأنني سأمر لأزورك فقط وهذه ليست كذبة في الحقيقة. صديقك جيمس كونكلين.

لا بد أن البروفيسور بوركيت كان يجلس واضعًا جهازه الآيباد في حضنه - يمكنني تخيله جالسًا في غرفة المعيشة المليئة بصور الأيام الخوالي - وذلك لأنه رد على الفور.

عزيزي جيمي

يناسبني يوم الأربعاء، سوف أنتظرك عند الساعة الثالثة والنصف، وسأجهز الكوكيز بالزبيب، هل تفضل الشاي أو مشروبًا غازيًا معها؟".

صديقك البروفيسور مارتي بوركيت.

لم أتعب نفسي بالإجابة عليه ببريد إلكتروني على طريقته، رددتُ فقط بأنه لا مانع لديّ بفنجان من القهوة، وبعد القليل من التفكير أضفتُ عبارة أن أمي لا تمانع ذلك. وهو ما لم يكن كذبة كاملة، وفي الواقع، لقد ردّ عليّ برمز تعبيري بإشارة إبهام إلى الأعلى إشارة على الموافقة، فكرتُ بأن هذا يعتبر قفزة نوعية بالنسبة إلى تعامله الإلكتروني.

لقد تحدثتُ إلى البروفيسور بوركيت مرة أخرى، ولكن لم يكن هناك أي مشروبات أو مقبلات، حيث إنه لم يعدْ يستعمل هذه الأشياء بعد الآن، لماذا؟ لأنه ميت.

47

تلقيتُ صباح يوم الثلاثاء بريدًا إلكترونيًا آخر منه، وتلقت والدتي البريد نفسه، وكذلك عدة أشخاص آخرين: أصدقائي وزملائي الأعزاء، لقد تلقيتُ بعض الأخبار السيئة، أصيب ديفيد روبرتسون - وهو صديق قديم وزميل ورئيس قسم سابق - بجلطة دماغية حيث يمضي فترة التقاعد في سييستا كي في فلوريدا، وحدث ذلك ليلة أمس وهو الآن في مستشفى ساراسوتا. من غير المتوقع أن ينجو، أو يستعيد وعيه، ولكنني أعرف ديف وزوجته المحبة ماري منذ أكثر من أربعين عامًا، ويجب أن أقوم بهذه الرحلة - وأريد ذلك جدًا – لأكون بجانب زوجته وأدعمها، وأيضًا لأحضر الجنازة إذا آلتِ الأمور إلى ذلك. سأعيد جدولة المواعيد كافة بمجرد عودتي.

سأقيم في فندق بنتليز في أوسبري طوال هذه الفترة، ويمكنكم أن تجدوني هناك، ولكن أفضل طريقة للتواصل معي هي البريد الإلكتروني، فكما يعلم معظمكم أنا لا أحمل هاتفًا محمولًا. أعتذر عن أي إزعاج.

مع خالص الشكر.

البروفيسور مارتين بوركيت

قلتُ لأمي بينما كنا نتناول فطورنا: "إنه دقة قديمة". كانت تتناول الغريب فروت واللبن، وكنتُ أتناول التشيريوس.

هزت رأسها في إعجاب: "أجل إنه كذلك، ولم يبقَ هناك الكثير من أمثاله ممن يركضون ليقفوا إلى جانب صديقهم الذي يحتضر على فراش الموت... هذا رائع ومثير للإعجاب حقًا، أوه، وهذا البريد الإلكتروني!".

قلتُ: "السيد بوركيت لا يكتب بريدًا إلكترونيًا بل يكتب رسائل".

"هذا صحيح، ولكن ليس هذا ما قصدتُه، أعني حقًا أنه في عمره هذا، كم عدد الزائرين والمواعيد المجدولة التي يمتلكها برأيك؟".

حسنًا، أنا أعلم بوجود موعد واحد، ولكنني لم أقل شيئًا.

48

لا أعلم إذا توفي صديق البروفيسور أم لا، ولكن ما أعلمه أن البروفيسور بوركيت توفي؛ لقد أصِيْب بنوبة قلبية أثناء سفره في الطائرة، وعندما هبطتِ الطائرة كان ميتًا في مقعده. كان البروفيسور بوركيت يملك صديقًا قديمًا آخر وهو محاميه - أحد متلقي البريد الإلكتروني الأخير له - وكان هو الشخص الذي تلقى مكالمة أُخبر عبرها بموت البروفيسور، وهو من تولى مهمة شحن الجثة، ولكن أمي تكفلت بما بعد ذلك. أغلقت مكتب الوكالة، وأجرت ترتيبات الجنازة؛ كنتُ أنظر إليها بفخرٍ كبير. كانت حزينة، وبكت لأنها فقدت صديقًا عزيزًا، وكنتُ حزينًا أيضًا لأنني كنت على علاقة جيدة مع صديقها، وبعد أن رحلت ليز كان هو صديقي البالغ الوحيد.

أُجرِيت مراسم الجنازة في كنيسة بريسبيتاريه المشيخية في بارك أفينيو، في المكان نفسه الذي أقيمت فيه مراسم جنازة مونا بوركيت قبل سبع سنوات. كان الغضب يسيطر على والدتي لأن الابنة - تلك التي تقيم في الساحل الغربي - لم تحضر، فقمتُ في وقت لاحق من باب الفضول بالتحقق من تلك الرسالة الإلكترونية الأخيرة التي أرسلها البروفيسور بوركيت ووجدتُ أنها لم تكنْ واحدة من المستلمين، وأن النساء الوحيدات اللواتي تلقينه هم ثلاث: والدتي، والسيدة ريتشاردز - سيدة عجوز كان البروفيسور يعاملها بلطف وهي تسكن في الطابق الرابع في مبنى قصرنا المطل على الحديقة - ودولوريس ماغوان؛ وهي المرأة التي توقعتِ السيدة بوركيت بشكل خاطئ أن زوجها سيدعوها قريبًا على العشاء.

لقد بحثتُ عن البروفيسور في قداس الكنيسة؛ إذ قد اعتقدتُ أنه وبما أن زوجته قد حضرت مراسم قداسها فسيحضر هو أيضًا، لكنه لم يكن هناك، ففي هذه الجنازة ذهبنا إلى المقبرة، وهناك رأيته جالسًا على شاهد القبر على بعد قرابة العشرين أو الثلاثين قدمًا من المعزين، ولكنه كان قريبًا بما يكفي لسماع كل ما يقال.

خلال الصلاة رفعتُ يدي، ولوّحتُ له بحذر، بحيث لم أرفع يدي إلّا قليلًا جدًا، لكنه رآني، وابتسم لي، ولوّح بدوره، لقد كان مجرد شخص ميت عادي، ولم يكن وحشًا مثل ثيريولت، فبدأتُ بالبكاء؛ وضعت والدتي ذراعها حولي وضمتني إليها.

49

حدث كل هذا يوم الاثنين، لذلك لم أذهب إلى متحف متروبوليتان للفنون مع زملائي في الصف، وحصلتُ على يوم إجازة من المدرسة للذهاب إلى الجنازة، وعندما عدنا أخبرتُ والدتي أنني سأذهب وأتمشى قليلًا، كنتُ بحاجة إلى التفكير.

قالت أمي: "حسنًا، لا بأس، إذا كنت بخير. هل أنت بخير يا جيمي؟".

قلتُ لها: "أجل أنا بخير"، ثم ابتسمتُ لأثبت لها ذلك.

"عُدْ بحلول الخامسة، وإلّا سأبدأ بالقلق عليك".

"حسنًا، سأعود في هذا الوقت".

وصلتُ إلى الباب قبل أن تسألني السؤال الذي كنتُ أنتظره: "هل كان هناك؟".

لقد فكرتُ في الكذب عليها، ربما من شأن ذلك أن يجعلها تشعر بغصة، ولكن قد يجعلها تشعر بتحسن أكثر من ناحية أخرى، ولكنني قلتُ في النهاية: "نعم، لم أره في الكنيسة بل في المقبرة".

"كيف... بدا؟".

أخبرتها أنه بدا على ما يرام وهذه هي الحقيقة. كنتُ أرى الموتى جميعهم وهم يرتدون الثياب نفسها التي كانوا يرتدونها عندما وافتهم المنية، وفي حالة البروفيسور بوركيت كان يرتدي بذلة بنية فضفاضة بشكل ملحوظ ولكن - وبرأيي المتواضع - بدت رائعة. أعْجِبتُ بفكرة أنه يرتدي بذلة رسمية خلال رحلة الطائرة والتي كانت مجرد علامة أخرى من علامات كونه دقة قديمة، ولم يكن يحمل عكازه، ربما لم يكن ممسكًا به عندما توفي أو ربما أسقطها عندما أصابته النوبة القلبية.

"جيمي؟ هل يمكنك أن تعطي أمك العجوز حضنًا دافئًا قبل أن تذهب لتتمشى؟".

ذهبتُ واحتضنتها لمدة طويلة.

50

مشيتُ باتجاه المبنى الذي كان يقطنه البروفيسور، ولكنني الآن أكبر بكثير من ذلك الصبي الصغير الذي كان في أحد أيام الخريف يمسك بإحدى يديه يد أمه وبالأخرى ديكًا روميًا أخضر، فأنا الآن أكبر وأطول، وربما أكثر حكمة، ولكنني لا أزال الشخص نفسه. يمكن القول إننا نتغير ولا نتغير في آن معًا؛ لا أستطيع شرح الأمر فهو مجرد لغز غامض من ألغاز الحياة.

لم أستطع الدخول إلى المبنى بما أنه ليس لديّ مفتاح، ولكنني لم أكن بحاجة إلى ذلك لأن البروفيسور بوركيت كان جالسًا على الدرج ببذلته البنية تلك، فجلستُ إلى جانبه. سارت سيدة عجوز مع كلبها الصغير بجانبنا، فنظر الكلب إلى البروفيسور مباشرة، وبالتأكيد لم تفعل هي ذلك.

"مرحبًا أيها البروفيسور".

"أهلًا جيمي".

لقد مرت خمسة أيام منذ وفاته على متن تلك الطائرة، وكان صوته قد بدأ يتلاشى كما يفعل صوت جميع الموتى بعد فترة، الأمر أشبه بأن يتحدث إليك الشخص من بقعة بعيدة ويبتعد أكثر وأكثر بينما يتحدث إليك. وبينما كان لطيفًا أكثر من أي وقت مضى، بدا كما لو أنه يفقد اتصالاته معي ومع العالم بشكل عام، وهذا ما يطرأ عليهم جميعًا، حتى إن هذا ما حصل مع السيدة بوركيت أيضًا على الرغم من أنها أكثر ثرثرة بكثير من معظمهم؛ بعضهم لا يتحدث مطلقًا إلّا إذا سألته. هل يحدث هذا لأنهم يشاهدون الحياة كفيلم بدلًا من أن يكونوا جزءًا منها؟ هذا تخمين وارد، ولكنه لا يزال غير صحيح بشكل كلي، فالأمر يبدو كما لو أنهم يفكرون بأشياء أخرى أهم في عقولهم. بعد أن فكّرت في الأمر للمرة الأولى أدركتُ أنّه لا بد وأن يكون صوتي أيضًا قد بدأ بالتلاشي بالنسبة إليه؛ ليس فقط صوتي، بل العالم بأكمله.

"هل أنت بخير؟".

"أجل".

"هل آلمتك؟ الأزمة القلبية؟".

قال وهو ينظر إلى الشارع كما لو كان يخزن هذه الصور: "أجل، ولكن ألمها لم يستمرَّ طويلًا".

"هل تريدني أن أفعل شيئًا لأجلك؟".

"هناك شيء واحد فقط، لا تستدعي ثيريولت أبدًا، لأن ثيريولت قد ذهب واختفى، وما سيأتي في حال استدعيته هو ذلك الشيء الذي يستملك جسده، أعتقد أننا نسمي هذا في الأدب بالاستحواذ".

"لن أفعل ذلك، أعدك أيها البروفيسور. ما الذي جعله يستحوذ عليه في المقام الأول؟ هل لأن ثيريولت كان شريرًا؟ ألهذا تمكن من ذلك؟".

"لا أعلم، ولكن يبدو ما قلته احتمالًا ممكنًا".

قلتُ متذكرًا بريده الإلكتروني ذاك: "هل ما زلتَ تريد أن تسمع ما حصل عندما أمسكتُ به؟".

"كلا"، فخيّب أملي برده هذا، ولكنه لم يفاجئني تمامًا، حيث يفقد الموتى اهتمامهم بحياة الأحياء وبتفاصيلها، ثم تابعَ قائلًا: "فقط تذكر دائمًا ما أخبرتك به".

"سأتذكر ذلك، لا تقلق".

ظهرت نبرة خفيفة من الغضب في حديثه عندما قال: "أنا مندهش حقًّا، لقد كنتَ شجاعًا جدًا، ولكنك كنتَ محظوظًا جدًا في الوقت نفسه، أنت لا تفهم ما أعنيه لأنك مجرد طفل، ولكن خذ كلامي على محمل الجد. هذا الشيء من خارج هذا الكون، وهناك عواقب لا يمكن لأي أحد أن يتصورها، إذا خاطرتَ ووافقتَ على مقايضته، فإنك تخاطر بموتك أو تدمير روحك أو بالتحول إلى مجنون".

تلك الكلمة مقايضة التي لم يسبق لي أن سمعت أحدًا يستخدمها، أعتقد أنها واحدة من كلماته القديمة مثل كلمة صندوق الثلج بدلًا من الثلاجة، ولكن أظن أنني فهمت الفكرة الرئيسية التي أراد

إيصالها، وإذا كان يريد إخافتي فقد نجح. ماذا قال؟ أدمر روحي؟ يا إلهي.

قلتُ: "لن أفعل ذلك، صدقًا لن أفعل ذلك".

لم يرد عليّ وبقي جالسًا هناك يحدق إلى الشارع واضعًا يديه على ركبتيه.

"سأفتقدك أيها البروفيسور".

"ستكون الأمور على ما يرام"، كان صوته ينخفض تدريجيًا وقريبًا لن أتمكن من سماعه على الإطلاق، سأكون قادرًا على رؤية شفتيه تتحركان فقط.

"هل يمكنني أن أطرح عليك سؤالًا؟"؛ إنه سؤال غبي، وعندما تسأله يجب عليهم إعطاؤك إجابة على الرغم من أنه قد لا تعجبك الإجابة دائمًا.

"نعم".

طرحت عليه سؤالي.

51

عندما وصلتُ إلى المنزل كانت والدتي تطهو السلمون بالطريقة التي نحبها، حيث تلفها بلفائف ورقية رطبة ثم تضعها في الميكروويف وننتظرها ريثما تُطهَى على البخار، قد لا تستطيع تصديق أن أكلةً بهذه السهولة ستكون لذيذة جدًا، ولكنها كذلك.

قالت: "لقد وصلتَ في الوقت الصحيح تمامًا، هناك كيس جاهز من سلطة قيصر في الثلاجة هل يمكنك إحضاره وتجهيز السلطة؟".

"حسنًا"، ثم أخرجتُه من الثلاجة - أو صندوق الثلج – وفتحت الكيس.

"لا تنسَ أن تغسلها، تفيد الإرشادات على الكيس أنّها غُسلت بالفعل ولكنني لا أثق بذلك، واستخدم المصفاة".

ذهبتُ وجلبتُ المصفاة، ثم وضعتُ مكونات الكيس من الخس وغيره واستخدمتُ معقم الخضار، قلتُ من دون أن أنظر إليها وأنا أحاول التركيز على مهمتي: "لقد ذهبتُ إلى مبنانا القديم".

"لقد شعرتُ نوعًا ما أنك ستفعل ذلك، هل كان هناك؟".

"نعم، وسألتُه لماذا لم تأتِ ابنته لزيارته أبدًا، وحتى إنها لم تحضر الجنازة"، ثم أغلقتُ صنبور المياه وتابعتُ: "لقد اتضح أنها في مصحة عقلية يا أمي، وقال إنّها ستبقى هناك طيلة حياتها حيث قتلت طفلها ثم حاولتِ الانتحار"، كانت والدتي تمسك بالسلمون، وتستعد لوضعه في الفرن، ولكنها وضعته على المنضدة، وجلست على أقرب مقعد منها وهي تقول: "يا الهي، لقد أخبرتني مونا بوركيت أنها تعمل مساعدة في مختبر أحياء في معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا، وبدت فخورة جدًا بالتحدث عنها".

"قال إنها تعاني من كاتا... لا أعلم ماذا تمامًا".

"كاتاتونيك"8.

"أجل هذا".

كانت والدتي تنظر بعمق إلى عشائنا بينما يجهز، ذلك السلمون الوردي الذي يلمع من بين اللفائف الورقية، في النهاية فكت عقدة حاجبيها وقالت: "حسنًا، نحن نعلم الآن شيئًا ربما ما كان يفترض بنا أن نعرفه، ولكن علِمنا وانتهى الأمر؛ لا يمكننا إعادة الزمن. لكل شخص أسراره الخاصة يا جيمي، وسوف تكتشف ذلك بنفسك في الوقت المناسب".

لقد اكتشفتُ ذلك بالفعل، بفضل ليز وكينيث ثيريولت، وفي وقت لاحق اكتشفتُ سر والدتي أيضًا.

52

اختفى كينيث ثيريولت من الأخبار المحلية، وحلّت محله وحوش أخرى، وبحكم أنه توقف عن ملاحقتي، فقد اختفى أيضًا من قائمة العناوين المتصدرة في ذهني. وبينما تحول ذلك الخريف إلى شتاء ذي نسمات باردة كنتُ لا أزال أمتلك تلك العادة بالابتعاد عن أبواب المصعد عندما تُفتَح، ولكن بحلول الوقت الذي بلغتُ فيه الرابعة عشر من عمري اختفت تلك النزعة الصغيرة.

من وقت إلى آخر كنتُ أرى أشخاصًا موتى آخرين - كان هناك بعض منهم ممن افتقدتهم لأنهم يبدون كأشخاص عاديين، باستثناء إذا كانوا قد ماتوا بسبب جروح شديدة، أو إذا بدأوا بالاقتراب منك - وسأخبركم إحدى هذه القصص، على الرغم من أن لا علاقة لها بقصتي الرئيسية، كان عبارة عن طفل صغير بعمري في الوقت الذي رأيتُ السيدة بوركيت تقريبًا؛ كان يقف على الحاجز الذي يقع في وسط بارك أفينيو مرتديًا سروالًا قصيرًا أحمر وقميصًا عليه شعار فيلم ستار وورز، لقد كان شاحبًا وكانت شفتاه زرقاوين، ظننتُ أنه كان يحاول أن يبكي على الرغم من عدم وجود أية دموع على خدّيه، ونظرًا لأنه بدا مؤلفًا بشكل غامض، عبرتُ الطريق وتوجهتُ إليه وسألته ما الذي يزعجه طبعًا، عدا عن كونه ميتًا.

"لا أعلم كيف أذهب إلى المنزل".

"هل تتذكر ما هو عنوان منزلك؟".

"أعيش في الجادة الثانية 16ب في الشقة 490".

قالها كما لو أن الصوت صادر عن آلة تسجيل.

قلتُ: "حسنًا، أنت قريب جدًا، تعالَ وسأوصلك إلى هناك".

كان يسكن في مبنى يسمى كيبس باي كورت، وعندما وصلنا إلى هناك لم يفعل شيئًا سوى الجلوس على الرصيف، لم يكن يبكي، ولكنه كان قد بدأ بالنظر بتلك النظرة التي تسيطر عليهم جميعًا بعد فترة. لم أحب فكرة أن أتركه هناك، ولكنني لم أعلم ما عليّ فعله غير ذلك. قبل أن أغادر سألته عن اسمه، وأخبرني أنه ريتشارد سكارلاتي. وحينها عرفتُ أين رأيته، لقد كانت صورته موجودة في الصحف حيث قام بعض الفتيان بإغراقه في بحيرة البجع في السنترال بارك، وبكى جميعهم شلالات من الدموع قائلين إنّهم كانوا يعبثون معه فقط؛ ربما كان ذلك صحيحًا وربما سأفهم كل هذه الأمور في وقت لاحق، ولكنني لا أعتقد ذلك حقًا.

53

بحلول هذا الوقت، كانت أحوالنا جيدة لدرجة أنه كان بإمكان أمي إرسالي إلى مدرسة خاصة، وأطلعتني على برنامجي مدرسة دالتون ومدرسة فريندز، ولكنني اخترتُ البقاء في مدرسة عامة، والذهاب إلى روزفلت موطن الموستنغ.

كانت الأمور تسير بسلاسة وبشكل جيد جدًا، حيث تمكنت أمي من الحصول على زبون مهم جدًا يكتب قصصًا عن الأشباح وجان الغابات، وعن الرجال النبلاء الذي يذهبون في مهام التحقيق والبحث. أما بالنسبة إليّ، فقد أصبح لدي حبيبة - نوعًا ما - اسمها ماري لو شتاين، وهي فتاة مثقفة ترتدي الملابس السوداء على الرغم من أن اسمها لا يتناسب مع ذلك، وهي محبة كبيرة للسينما، كنا نذهب إلى سينما أنجيليكا مرة كل أسبوع تقريبًا، ونجلس في الصف الخلفي نقرأ ترجمة الأفلام.

بعد يوم من عيد ميلادي الخامس عشر، راسلتني أمي، وطلبت مني أن أذهب إلى مكتبها في الوكالة بدلًا من الذهاب إلى المنزل مباشرة، وعلى حدّ قولها، فإن الأمر لا يتعلق بصفقة ضخمة، ولكنه يتعلق بأخبار أرادت أن تنقلها إليّ شخصيًا.

عندما وصلتُ إلى هناك سكبت لي كوبًا من القهوة - أمر غير عادي، ولكنه ممكن الحدوث - وسألتني إذا كنتُ أتذكر خيسوس هيرنانديز، أجبتها بأنني أتذكره؛ كان شريك ليز لعدة سنوات، وقد اصطحبتني أمي معها بضع مرات عندما كانت تتناول هي وليز وجبات الغداء مع المحقق هيرنانديز وزوجته. كان ذلك منذ فترة طويلة، ولكن من الصعب أن تنسى محققًا طوله ست أقدام واسمه خيسوس – يسوع - على الرغم من أنه يتم لفظها بطريقة أخرى.

قلتُ: "لقد أحببتُ ضفائره، كانت رائعة".

قالت: "لقد اتصل بي ليخبرني أن ليز فقدت وظيفتها".

لقد انتهت علاقة أمي وليز منذ فترة طويلة، ولكن مع ذلك كانت أمي حزينة، وتابعت: "لقد أخبرني أنهم قبضوا عليها مؤخرًا وهي تهرب المخدرات... الكثير الكثير من الهيروين".

لقد صدمني ذلك بشدة، مع أننا كنا نعلم أن ليز تغيرت، ولم تعد جيدة بما يكفي لوالدتي ولا لي بالطبع، لكن على الرغم من ذلك كان الأمر بمثابة خيبة أمل. تذكرتها وهي تدغدغني حتى كدتُ أبلل سروالي، وحين كنتُ أجلس بينها وبين أمي على الأريكة حيث نلقي جميعنا النكات المختلفة حول العروض التلفازية، وتذكرتُ حين أخذتني إلى حديقة برونكس للحيوانات، واشترت لي مخروطًا من حلوى غزل البنات بحجمٍ أكبر من حجم رأسي.

وكيف لي أن أنسى ذلك اليوم الذي أنقذت فيه قرابة خمسين أو مئة شخص ممن كانوا على وشك الموت لو انفجرت آخر متفجرات لثامبر؟ قد يكون دافعها لفعل ذلك سيئًا أو جيدًا، ولكن في الحالتين أُنقذت تلك الأرواح.

تذكرتُ تلك العبارة التي سمعتها صدفة في شجارهما الأخير.

سيطر صمت مشحون بالهم الثقيل على أجواء الغرفة، ثم قالت أمي: "لن تذهب إلى السجن، أليس كذلك؟".

قال خيسوس: "حسنًا... لقد خرجت بكفالة الآن، ولكنني أعتقد أنّ احتمال دخولها السجن عالٍ جدًا يا عزيزتي".

"أوه، اللعنة"، تخيلتُ ليز مرتدية تلك البذلة البرتقالية مثل النساء في مسلسلٍ كانت تشاهده والدتي أحيانًا من إنتاج نتفليكس.

أمسكت بيدي: "حسنًا، حسنًا، صحيح".

54

بعد قرابة الأسبوعين أو الثلاثة اختطفتني ليز، قد تقول إنّها فعلت ذلك في المرة الأولى عندما ذهبْنا إلى ثيريولت، ولكن يمكن اعتبار أنها أخذتني بطريقة ناعمة نوعًا ما حينها، ولكن هذه المرة كان اختطافًا حقيقًا، لقد أجبرتني على استقلال سيارتها على الرغم من أنها لم تقمْ بذلك وأنا أركل وأصرخ، ولكن بما أن الأمر كان خلافًا لرغبتي، فيعتبر اختطافًا بحسب ما أعلم.

لقد كنتُ حينها عضوًا في فريق كرة المضرب، وخلال عودتي من واحدة من سلسلة مباريات تدريبية متوجهًا إلى موقف الحافلة، رأيتُ امرأة تتكئ على سيارة تويوتا تعرضت لعدة حوادث سير على ما يبدو، كانت تنظر إلى هاتفها. مشيتُ بجانبها من دون أن أنظر باتجاهها مرة ثانية، إذ لم يخطر ببالي أبدًا أن هذه الهزيلة - ذات الشعر الأشقر المتناثر في جميع الاتجاهات حول ياقة معطف واقٍ من المطر غير مغلق وتحته قميص رمادي واسع، والتي تنتعل حذاء رعاة البقر حيث يظهر جزء منه ثم يختفي تحت بنطال واسع - كانت صديقة أمي القديمة، فلقد كان طراز هذه الصديقة عبارة عن البنطلونات الداكنة من النوع الذي يكون واسعًا عند الخصر ثم يضيق باتجاه الأسفل وبلوزات الحرير المفتوحة بشكل قليل، كما اعتادت صديقة أمي القديمة على تمشيط شعرها وشده وربطه نحو الخلف بطريقة ذيل الحصان، كما أننا اعتدنا على رؤيتها بصحة جيدة.

"أنت يا بطل، ألن تلقي تحية سريعة على صديقتك القديمة؟"، توقفتُ وعدتُ، لم أكن قادرًا على التعرف إليها، كان وجهها ناحلًا وشاحبًا، وهناك العديد من العيوب الجلدية التي تنتشر على جبهتها، وقد اختفت جميع تفاصيل وجهها القديم التي اعتدتُ على الإعجاب بها - بطريقة الأطفال - عندما كنتُ ولدًا صغيرًا.

أظهر ذلك القميص الفضفاض أسفل المعطف القليل فقط من ثدييها اللذين كانا في السابق ممتلئين؛ أستطيع حسب ما رأيته أن أقدر أنها قد خسرت أربعين أو خمسين رطلًا على الأقل من وزنها، وقد بدت أكبر بعشرين عامًا.

"ليز؟".

"بشحمها ولحمها"، ابتسمت ثم أخفت بسرعة ابتسامتها من خلال مسح أنفها براحة يدها؛ لا بد أنها متوترة، أجل إنها متوترة.

"كيف حالكِ؟".

حسنًا لم يكن أفضل سؤال يمكن طرحه، ولكنه السؤال الوحيد الذي خطر على بالي في ظل الظروف المحيطة. كنتُ حريصًا على المحافظة على مسافة أمان بيننا حتى أتمكن من الهرب إذا حاولت أن تفعل شيئًا غريبًا، وهذا ما بدا ممكنًا في الحقيقة، لأنها وبكل بساطة بدت غريبة، وليست غريبة بطريقة الممثلين الذين يأخذون أدوار المدمنين على المخدرات على التلفاز، بل مثل المدمنين الحقيقيين الذين تراهم من وقت إلى آخر يهزون رؤوسهم ويومئون للناس على مقاعد المتنزهات، أو في مداخل المباني المهجورة. أعتقد أن نيويورك قد تحسنت كثيرًا عما سبق، ولكن لا تزال المخدرات جزءًا من الصورة النهائية لها.

سألتني: "كيف أبدو؟"، ثم ضحكت، ولكن ضحكتها لم تكن تنمّ عن السعادة إطلاقًا، ثم تابعت: "لا تجب عن ذلك، ولكن أنت... لقد قمنا بمهمة ذات مرة، أليس كذلك؟ كنت أستحق الكثير من التقدير على ذلك، ولكن ماذا بحق الجحيم...؟ لقد أنقذنا بالفعل الكثير من الأرواح حينها".

فكرتُ بكل ما مررتُ به بسببها، ولم يكن الأمر يتعلق بثيريولت فقط، فلقد دمرت حياة أمي أيضًا، لقد جعلتنا ليز داتون نمرّ بأوقات سيئة جيدة، وها هي ذا مرة أخرى، عبارة عن شيء سيئ يظهر في وجهك عندما لا تتوقعه على الإطلاق، فغضبتُ منها.

"ما كنت تستحقين أي تقدير، كنتُ أنا من جعله يتكلم، ودفعتُ ثمن ذلك في وقت لاحق، ولن ترغبي بسماع الثمن الذي دفعته".

فركت رأسها قائلة: "بالطبع أريد أن أسمع، أخبرني عن الثمن الذي دفعته يا بطل، هل نتكلم عن بعض الكوابيس المتعلقة بالفتحة التي في رأسه؟ إذا كنتَ تتكلم عن الكوابيس، فعليك أن تلقي نظرة يومًا ما على ثلاث جثث متفحمة في سيارة دفع رباعي وإحداها لطفل صغير. حسنًا، أخبرني ما الثمن الذي دفعته؟".

"انسي الأمر"، وتابعتُ طريقي، لكنها لحقت بي، وأمسكت بحزام حقيبة التنس قائلة: "ليس بهذه السرعة، أحتاج إليك مرة أخرى أيها البطل، لذا، ركّز معي".

"يستحيل أن أفعل ذلك مرة أخرى، واتركي حقيبتي".

لكنها لم تفعل ذلك، لذا، بدأتُ بسحبها منها، وبحكم بنيتها الهشة وصل بها الأمر أن تجثو على ركبتيها وهي تحاول سحبها مني، فشعرتُ بأنني رأيتها تذرف دمعة عندما تمكنتُ من سحبها منها أخيرًا.

توقف رجلٌ كان يمر بجانبنا، ورمقني بتلك النظرة التي يرمق بها البالغون المراهقين عندما يرونهم يفعلون شيئًا لئيمًا، وقال: "يجب ألّا تفعل ذلك لامرأة".

قالت ليز وهي تعاود الوقوف: "اغرب من هنا، أنا شرطية".

قال الرجل وهو يتابع طريقه مرة أخرى من دون أن يعاود النظر إلينا: "أيًا يكن، أيًا يكن".

قلتُ: "لم تعودي شرطية، ولن أذهب معك إلى أي مكان، حتى إنني لا أرغب بالتحدث إليك، لذلك دعيني وشأني". ورغم ذلك فقد شعرتُ بالسوء حيال جرها بقوة لدرجة أنها سقطت على ركبتيها، تذكرتها وهي جاثية على ركبتيها في شقتنا، ولكن في ذلك الحين كانت تلعب معي بسيارات ماتشبوكس. أخبرتُ نفسي أن ذلك كان في حياة أخرى تمامًا، ولكن لم ينجح الأمر، لأنها لم تكن في حياة أخرى بل حدث كل ذلك في حياتي هذه.

"أوه، ولكنك ستأتي إذا لم ترغب بأن يعلم العالم بأكمله من الكاتب الحقيقي لكتاب ريغيس توماس الأخير؛ الكتاب الأفضل مبيعًا الذي أبعد تي عن الإفلاس في الوقت المناسب تمامًا؛ الأكثر مبيعًا بعد وفاته".

"لن تجرئي على فعل ذلك"، ثم تابعتُ كما لو أن الصدمة الناتجة عما قالته أوضحت لي معالم الأمور قليلًا، وأضفت قائلًا: "لا يمكنك فعل ذلك، ستكون أقوالك في هذه الحالة مقابل أقوال أمي، فنحن نتحدث عن أقوال مدمنة ومهربة مخدرات ويمكن لأي شخص أن يعلم هذا من مظهرك، فمن سيصدقك؟ لا أحد".

كان هاتفها في جيبها الخلفي طوال الوقت، فأخرجته، ثم قالت: "لم تكنْ تي وحدها من قامت بالتسجيل في ذلك اليوم".

ما سمعته جعل قلبي يغور، لقد كان صوتي - عندما كنتُ أصغر بكثير - ولكنه لا يزال صوتي، أخبرُ أمي أن بيورتي ستعثر على المفتاح الذي كانت تبحث عنه تحت جذع متعفّن في

الطريق إلى بحيرة روينوك.

أمي: "كيف ستعرف هي أي جذع؟".

سكون.

أنا: "رسم مارتن بيتانكورت صليبًا عليه".

أمي: "ما الذي ستفعله به؟".

سكون.

أنا: "ستأخذه إلى هانا رويدن، لقد ذهبتا إلى المستنقع معًا ووجدتا الكهف".

أمي: "هانا تشعل نار البحث؟ تقوم بالأشياء التي كانت على وشك أن تجعلها معلقة كساحرة؟".

سكون.

أنا: "هذا صحيح، ويقول إن جورج ثريدغيل يتسلل وراءهما، ويقول إن النظر إلى هانا يجعل جورج يشعر بالسوء والانتصاب، ما هذا يا أمي؟".

"أبدًا لـ...".

أوقفت ليز التسجيل عند هذه الجملة التي لم تكتمل، وقالت: "يوجد هناك تكملة طويلة له، ليس كله، ولكنني أملك ساعة من ذلك الحوار على الأقل. لا شك في أنك ستكون جزءًا كبيرًا من القصة، فأنت تخبر والدتك بمخطط الكتاب الذي كتبته، جيمي كونكلين فتى الصحافة".

حدقتُ إليها، ثم أخفضت كتفي قائلًا: "لِمَ لم تُسمِعيني هذا من قبل؟ عندما ذهبنا للبحث عن ثيريولت؟"، نظرت إليّ كما لو أنني مجرد غبي، ربما لأن سؤالي كان غبيًا.

"لم أكن أحتاج إلى ذلك، في ذلك الوقت كنتَ طفلًا لطيفًا يريد فعل الشيء الصحيح، ولكنك الآن مراهق في الخامسة عشر من العمر، كبير بما يكفي لتكون مزعجًا، يمكن القول إنّ ذلك من حقوق المراهقين على ما أعتقد، ولكن لنناقش ذلك في يوم آخر. السؤال الأهم الآن هو: هل ستستقل السيارة معي وتتركني آخذك في جولة؟ أم تريدني أن أذهب إلى مراسل أعرفه في بوست وأعطيه

سبقًا صحفيًا عن الوكيلة الأدبية التي زوّرت آخر كتاب لزبونها الميت بمساعدة ابنها الذي لديه إدراك فوق حسي للأشياء والأشخاص؟".

"جولة معك إلى أين؟".

"ستكون جولة غامضة أيها البطل، استقلَّ السيارة معي، واكتشف ذلك بنفسك".

لم يكن أمامي أي خيار: "حسنًا، ولكن لديّ شرط؛ توقفي عن مناداتي بالبطل كما لو أنني حصانك الأليف".

"حسنًا يا بطل"، ثم ابتسمت وقالت: "أمزح، أمزح، استقلَّ السيارة يا جيمي".

استقللتُ في السيارة.

55

"من هو الميت الذي يفترض بي أن أتحدث إليه هذه المرة؟ وبغض النظر عمن يكون أو عما يفعله، فأنا لا أعتقد أنه سيجنبك الذهاب إلى السجن".

قالت: "أوه، لن أذهب إلى السجن، لا أعتقد أنني سأحب الطعام، ناهيك عن الصحبة هناك".

مررنا بلافتة تشير إلى جسر كومو، والذي لا يزال معظم الناس في نيويورك يطلقون عليه اسم تابان زوو أو تاب فقط، لم أرتح لذلك، فسألتُها: "إلى أين نحن ذاهبان؟".

"رينفيلد".

رينفيلد الوحيد الذي أعرفه هو مساعد الكونت الذي يأكل الذباب في دراكولا، فسألتها مجددًا: "أين ذلك؟ هل هو مكان ما في تاريتاون؟".

"كلا، إنه عبارة عن مكان صغير شمال نيو بالتز، سيستغرق الوصول إلى هناك ساعتين أو ثلاث ساعات، لذا، استعدَّ واستمتع بالرحلة".

حدقتُ إليها برعب أكثر من كونه انزعاج وقلت: "لا بد أنك تمزحين، من المفترض أن أكون في المنزل بحلول وقت العشاء".

"يبدو أن تي ستتناول الطعام بمفردها الليلة"، ثم أخرجت زجاجة صغيرة تحوي مسحوقًا أصفر مائلًا إلى البياض من جيب معطفها الواقي من المطر؛ كانت تلك العلبة من النوع الذي يحتوي على ملعقة ذهبية صغيرة متصلة بغطائها.

فتحت الغطاء بإحدى يديها، ثم وضعت بعض المسحوق على اليد التي كانت تستخدمها للقيادة واستنشقت، ثم عاودت إغلاق الغطاء بيد واحدة كما فتحته؛ يمكنك أن تعرف تاريخها الطويل في هذا من خلال براعتها وسرعتها في إنجاز العملية.

رأت تعابير وجهي وابتسمت، وعاد اللمعان إلى عينيها، ثم قالت: "لم يسبق لك أن رأيت شخصًا يفعل هذا؟ يا لها من حياة محمية تلك التي تعيشها يا جيمي!".

لقد رأيتُ أطفالًا يدخنون الحشيش، وجربته بنفسي، ولكن بالنسبة إلى الأشياء الأثقل؟ كلا، لقد عُرض عليّ ذلك في حفلة راقصة مدرسية ولكنني رفضتُ.

رفعت راحة يدها على أنفها مرة أخرى، وهي ليست حركة جميلة.

قالت: "كنتُ لأقدم لك بعضًا منه، فأنا أؤمن بضرورة المشاركة، ولكن هذا هو مزيجي الخاص؛ عبارة عن كوكايين وهيروين بنسبة اثنين إلى واحد مع القليل فقط من الفنتانيل. يمكنك القول إنني صنعتُ الحلم. سوف يدهشك تمامًا، ويشعرك بالروعة".

ربما صنعتِ الحلم، لكن يمكنني معرفة متى بدأتِ الجرعة تأخذ مفعولها وبدأت مرحلة النشوة حيث جلست بشكل مستقيم وتحدثت بشكل أسرع، لكن على الأقل بقيت تقود بشكل مستقيم وتلتزم بحدود السرعة.

"هل تعلم؟ هذا خطأ والدتك، حيث كان كل ما فعلتُه لسنوات نقل المخدرات من النقطة أ والتي كانت عادةً شارع بوت باسين 79 أو مطار ستيوارت إلى النقطة ب والتي يمكن أن تكون في أي مكان في الأحياء الخمسة. في البداية، كان يقتصر أغلب عملي على الكوكايين، ولكن تغيرتِ الأمور بسبب الأوكسيكونتين، حيث يتعلق الناس بسرعة بهذا اللعين، أعني حقًا بسرعة كبيرة جدًا لا يمكنك تخيلها. عندما يتوقف أطباؤهم عن وصفه لهم، يتوجه المتعاطون إلى شرائه من الشارع، ثم ارتفع سعره، وأدركوا حينها أنه يمكنهم الحصول على النشوة نفسها وبسعر أرخص أيضًا. لذلك لجأوا إليه. هذا هو نوع الجرعات الذي يتاجر به الرجل الذي سنراه الآن".

"الرجل الميت".

عبست ثم قالت: "لا تقاطعني يا جيمي، أردتَ أن تعلم، وها أنا أقول لك".

لا أتذكر أنني طلبتُ معرفة أي شيء عدا عن المكان الذي نتوجه إليه، ولكنني بقيتُ صامتًا. كنتُ أحاول ألّا أخاف فقط، وكنتُ قادرًا على فعل ذلك جزئيًا لأنها لا تزال ليز، ولكن، لم ينجح الأمر كثيرًا لأن التي كانت بجانبي لم تكن تشبه ليز التي سبق لي أن عرفتها، بل لم تكن تشبهها على الإطلاق.

"هناك مقولة لدينا مفادها: لا تصبح منتشيًا بواسطة خلطتك الخاصة. لكن بعد أن طردتني تي، بدأت أستخدم مسحوقي بين الحين والآخر فقط لأمنع نفسي من الدخول في حالة اكتئاب شديد، ولكن بعد فترة، بدأت أستخدمه خلال فترات متقاربة جدًا، ثم أدمنت عليه".

قلتُ: "لقد طردتك أمي لأنكِ أدخلتِ هذه القمامة إلى المنزل، لقد كان هذا خطأكِ"، ربما كان من الأفضل أن أتحلى بالصمت، ولكنني لم أستطع أن أبقى هادئًا وهي تلقي باللوم على أمي في ما آلت إليه حالها. لقد أغضبني ما قالته، ولكنها لم تلقِ اهتمامًا لما قلتُه.

قالت بفخر وبشيء من الجرأة: "سأخبرك بشيء آخر يا بط... يا جيمي، لم أستخدم الحقن أبدًا... ولا حتى مرة واحدة، لأنّه عندما تستنشق الجرعات، فلديك إمكانية التوقف، ولكن بمجرد أن تقوم بحقن الجرعة، فستتملكك ولن تجد طريق العودة مرة أخرى".

"أنفكِ ينزف"، كان هناك بضع قطرات فقط بين أنفها وشفتها العليا.

"ماذا؟ أوه، شكرًا". مسحتِ الدم بباطن راحة يدها، ثم التفتت إليّ مجددًا وقالت: "هل فهمتَ كل شيء؟".

"أجل، انظري إلى الطريق الآن".

"حاضر يا سيدي، كما تريد". في تلك اللحظة، ولثوانٍ، بدت مثل ليز القديمة، لم يفطر الأمر قلبي تمامًا، ولكنه عصره قليلًا.

تابعنا طريقنا؛ لم تكن الطرقات مزدحمة كثيرًا بالنسبة إلى ظهر يوم من أيام الدوام، ففكرتُ في والدتي... بحلول هذا الوقت يجب أن تكون في الوكالة، ولكنها ستعود إلى المنزل قريبًا، في البداية لن تقلق كثيرًا، ولكن بعد فترة ستقلق أكثر حتى يصل القلق إلى ذروته في النهاية.

قلتُ: "هل يمكنني الاتصال بأمي؟ لن أخبرها أين أنا، فقط سأقول لها أنني بخير".

"بالطبع، تفضل اتصل"، أخرجتُ هاتفي من جيبي، وبعدها اختفى في غضون برهة حيث التقطته ليز بلمح البصر كما لو أنها سحلية تصطاد ذبابة، وقبل أن أدرك ما حصل فتحت نافذتها ورمته خارجًا إلى الطريق.

صرختُ قائلًا: "لماذا فعلتِ هذا؟ هذا هاتفي".

"أنا ممتنة لأنك ذكّرتني بهاتفكَ"، الآن أصبحنا على الطريق العريض نتبع الإشارات باتجاه I-87، قلتُ بعصبية: "لقد نسيتُ تمامًا أنك مدمنة؛ بالتأكيد لا يطلقون عليها اسم المخدرات من فراغ"، فضحكت بعد جملتي.

لكمتُها على كتفها مما جعل السيارة تنحرف، ثم أعادتها ليز إلى مسارها، فضغط أحد الذين خلفنا على بوق سيارته، ورمقتني ليز بغضب بعد أن اختفتِ ابتسامتها؛ ربما ارتسمت على وجهها تلك النظرة التي تتحول إليها عندما تقول للناس حقوقهم لحظة القبض عليهم؛ قالت: "اضربني مرة أخرى يا جيمي، وسأضربك على أعضائك التناسلية بقوة كافية لجعلك تتقيأ، ولن تكون هذه المرة الأولى التي يتقيأ فيها شخص في هذه السيارة".

"هل تريدين أن تتصارعي معي وأنت تقودين السيارة؟"، عادت ابتسامتها بشكل كافٍ لرؤية أسنانها، وقالت: "جرّبني".

لم أُجربها، ولم أحاول أن أفعل أي شيء بما في ذلك - إذا كنتَ تتساءل - الصفير من أجل ذلك المخلوق الذي يسكن ثيريولت، على الرغم من أنه من الناحية النظرية هو تحت إمرتي بحسب ما قلتُه حينها: سأصفّر وستأتي إليّ بدورك يا صديقي تذكرْ ذلك، في الحقيقة لم يخطر ذلك على بالي أبدًا، بالطريقة نفسها التي نسيت بها ليز أن تأخذ هاتفي منذ البداية عندما أجبرتني على مرافقتها بسيارتها، ولكن الفرق أنه ليس لديّ أي جرعة مخدر لألقي اللوم عليها، أيًا يكن الأمر، من يعلم؟ ربما ما كان ليأتي، وإذا كان الأمر كذلك... حسنًا، لأعترف بذلك، كنتُ خائفًا من ليز ولكنني كنتُ خائفًا أكثر من ذلك الضوء الميت، أتذكرْ كلام البروفيسور؟ إنك تخاطر بموتك أو تدمير روحك أو بالتحول إلى مجنون.

"فكّر في الأمر يا جيمي، إذا اتصلتَ وقلتَ لها إنك بخير وكل ما تفعله هو التنزه قليلًا برفقة صديقتك القديمة ليز داتون، فهل تظن أن إجابتها ستكون حسنًا يا جيمي؟ لا بأس، واجعلها تشتري العشاء لك أيضًا؟".

لم أقل شيئًا.

"كانت ستستدعي رجال الشرطة، لكن تلك ليست أكبر مشكلة، حيث كان يجبُ أن أتخلصَ من هاتفك على الفور لأنها تملك القدرة على تعقبه".

جحظت عيناي: "ما تقولينه هراء، لا تستطيعُ فعل ذلك". أومأت برأسها، وابتسمت مرة أخرى، مع إبقاء نظرها على الطريق بينما تتجاوز شاحنة أمامنا، وقالت: "لقد أنزلت تطبيقًا لتحديد الموقع على أول هاتف اشترته لك، لقد كنتَ حينها في العاشرة من عمرك، وكنتُ أنا من علمتُها كيف تخفيه بحيث لا يمكنكَ إيجاده، وكيلا تشعر بالانزعاج حول ذلك".

تمتمتُ قائلًا: "لقد اشترت لي هاتفًا جديدًا منذ عامين"، فشعرتُ وكأن دموعي على وشك أن تنهمر، لا أعلم لماذا، لقد شعرتُ بأنني... لا أعرف الكلمة التي أريد استخدامها؛ بلى؛ لقد شعرتُ بأنني مشدود باتجاهين متعاكسين تمامًا وعلى وشك الانهيار.

قالت: "هل تظن أنها لم تُنزِل هذا التطبيق على الهاتف الجديد؟"، ثم قهقهت وأكملت: "أنت ابنها الوحيد يا جيمي، أنت أميرها الصغير، وستتبعك دائمًا، حتى لو بعد عشر سنوات من الآن، أو حتى عندما تكون متزوجًا ومشغولًا بتغيير حفاضات طفلك الأول".

قلتُ: "مجرد كذب لعين"، ولكنني لم أكن أتحدث إليها، بل كنتُ أتحدث إلى حضني.

استنشقت كمية إضافية من خليطها الخاص، بمجرد أن أصبحنا خارج حدود المدينة، كانت الحركات سريعة وتدل على خبرة كسابقتها، ولكن هذه المرة انحرفتِ السيارة وأطلق السائقون خلفنا العنان لأبواق سياراتهم. فكرتُ كم سيكون من الجيد أن يأتي بعض رجال الشرطة ويسلطون الضوء على سيارتنا، ويعيدوني إلى منزلي بحيث ينتهي هذا الكابوس، ولكن بعد أن نظرتُ إلى الأمر من أبعاده المختلفة، لاحظتُ أنه قد لا يكون جيدًا، ففي حالتها السلوكية هذه، قد تحاول أن تفلتَ من الشرطي وتقتلنا معًا.

فكرتُ في الرجل الذي رأيته في سنترال بارك، كان وجهه والجزء العلوي منه مغطيَين بسترة شخص ما حتى لا يرى المارة أسوأ ما فيه ولكنني رأيته.

ظهرت علامات النشوة مرة ثانية على ليز وقالت: "ستكون محققًا لعينًا جيدًا جدًا يا جيمي عندما تكبر، فبمهارتك الخاصة ستكون في قمة هذا المجال، ولن يتمكن أي قاتل من الإفلات منك، لأنك تستطيع التحدث إلى الضحايا".

لقد خطرت لي هذه الفكرة بالفعل مرة أو مرتين، وتخيلتُ اسمي جميس كونكلين محقق الموتى، أو ربما المحقق مع الموتى كانت لتكون أفضل؛ لم أقرر أبدًا أيهما أفضل.

تابعت ليز قائلة: "ولكن لا تعمل مع شرطة نيويورك، اللعنة على أولئك الأوغاد، يجب أن تعمل بشكل منفرد، وتفتح مكتبك الخاص، يمكنني أن أتخيل اسمك على باب المكتب"، ثم رفعت يديها عن المقود لفترة وجيزة كما لو كانت تؤطر اسمي في لوحة.

صوت بوق آخر.

قلتُ: "قودي هذه السيارة اللعينة"، محاولًا ألّا أبدو قلقًا، ولكنني لم أنجح بذلك لأنني كنتُ قلقًا بالفعل.

"لا تقلق عليّ يا بطل في ما يتعلق بقيادة السيارة".

قلتُ: "عاود أنفك النزف".

مسحته براحة يدها، ثم مسحت يدها بكنزتها السميكة، ويمكن أن تعلم من البقع التي على الكنزة أن هذه ليست المرة الأولى، قالت: "لقد تلاشى الحاجز الأنفي، سأعالجه بمجرد أن أتوقف عن تعاطي المخدرات".

بقينا هادئَين بعد ذلك لبعض الوقت.

56

بعد أن خرجنا إلى الطريق العريض، عادت ليز واستنشقت مرة أخرى من مزيجها الخاص؛ كنتُ لأقول إنّها بدأت تخيفني، ولكنها تجاوزت مرحلة إخافتي منذ زمن بعيد.

"هل ترغب بمعرفة كيف وصلنا إلى هنا؟ أنا وأنت، هولمز وواتسون، متوجهين في طريقنا إلى مغامرة أخرى؟".

حسنًا كلمة مغامرة ليست الكلمة التي قد أصف فيها الأحداث الحاصلة، ولكنني لم أقل شيئًا.

"من السهل معرفة أنك لا ترغب بالاستماع إلى ذلك من مجرد النظر إلى وجهك، ومع ذلك، فهي عبارة عن قصة طويلة غير ممتعة كثيرًا، ولكنني سأخبرك بجزء منها فقط. لم يقل أي طفل من قبل إنه يريد أن يكبر ويصبح متشردًا مثلًا أو عميد كلية أو شرطيًا قذرًا، أو جامع قمامة في مقاطعة ويستشستر، وهو ما يفعله صهري هذه الأيام".

ثم ضحكت على الرغم من أنني لم أعلم ما المضحك في كون الشخص جامع قمامة.

"دعني أخبرك بشيء قد يثير اهتمامك، لقد نقلتُ الكثير من المخدرات من النقطة أ إلى النقطة ب وحصلتُ على الكثير من الأموال مقابل ذلك، ولكن تلك الجرعة التي وجدتها والدتك في جيب معطفي في ذلك الوقت كانت هدية مجانية لصديق؛ إنه أمر مثير للسخرية حقًا إذا فكرتَ به؛ فبحلول ذلك الوقت كانت هيئة مكافحة المخدرات قد وضعتني تحت المراقبة، لم يكونوا متأكدين تمامًا، ولكن كانوا على وشك معرفة كل شيء، وكنتُ خائفة حتّى الموت من أن تفضحني تي، وتكشف كل أسراري، وعرفتُ أن هذا هو الوقت المناسب للخروج من كل هذا العمل، لكنني لم أستطع"، سكتت قليلًا كما لو أنها تفكر في ما قالته ثم أردفت: "أو لم أرغب بفعل ذلك؛ إذا نظرنا إلى الوراء إلى ذلك الوقت فمن الصعب معرفة أيهما كنت سأختار؛ لكنه يجعلني أفكر في شيء قاله تشيت أتكينز ذات مرة. هل سمعتَ بتشيت أتكينز؟".

هززتُ رأسي نافيًا.

"أوه، كيف يتم نسيان العظماء بسرعة!؟ ابحث عن اسمه على صفحات الإنترنت عندما تعود، إنه عازف غيتار تاريخي، يقبع عاليًا هناك مع كلابتون وكنوبفلر، كان يتحدث عن أنه اكتشف مدى سوئه بضبط إيقاع آلته الموسيقية وقال حينها: في الوقت الذي اكتشفتُ فيه أنني لستُ جيدًا بما يكفي في إنجاز هذا الجزء من عملي، كنتُ ثريًا جدًا بحيث لا يمكنني ترك مهنتي. يمكن القول إنّ الشيء نفسه حدث معي في مسيرتي المهنية كناقلة مخدرات.

لأخبرك بشيء آخر بما أننا نحاول قتل الملل خلال نزهتنا بذكرياتنا القديمة. هل تظن أن والدتك وحدها هي التي تضررت عندما هبط الاقتصاد تمامًا في العام 2008؟ كلا، كان لديّ عدة أسهم - كمية قليلة جدًا - ولكنها كانت لي، واختفت حينها وأصبحت بلا قيمة".

تجاوزت شاحنة أخرى، وكانت حريصة على استخدام الضوء قبل أن تُورِجِحنا بالاتجاه الآخر ثم تعود بنا إلى الجهة النظامية. بالنظر إلى كمية الجرعات التي أخذتها حتى الآن، لقد كنت مندهشًا من ذلك، وممتنًا في الوقت نفسه. صحيح أنني لم أرغب بالتواجد معها، إلّا أنني لم أرغب أيضًا بالموت معها.

"لكن الشيء الرئيسي هنا في هذه القصة هو أختي بيس، لقد تزوجت من هذا الرجل الذي يعمل في إحدى الشركات الاستثمارية الكبرى، وبحكم أنك لم تسمع بتشيت أتكينز، فأظن أنك لم تسمع أيضًا ببير ستيمز، أليس كذلك؟".

لم أكن أعرف إذا كان يجب أن أومئ برأسي أو أهزه نافيًا، لذلك بقيتُ كما أنا.

"صهري داني - الذي يعمل الآن بجمع النفايات - كان مجرد مبتدئ في شركة بير عندما تزوجته أختي بيس، ولكن كان من الواضح أن لديه مستقبلًا كبيرًا أمامه، إذا جاز لي أن استعير سطرًا من أغنية كنتُ لأقول كان المستقبل مشرقًا جدًا لدرجة أنه أضطر للجوء إلى الظلال.

اشتريا منزلًا في قرية توكاهوي، وكان رهنًا عقاريًا ضخمًا، ولكن الجميع - بمن فيهم أنا، اللعنة عليّ - أكدوا لهما أن قيمة الملكية لن تذهب إلى أي نقطة أدنى مما هي عليه، وأنها سترتفع فقط، مثل سوق الأوراق المالية. واستخدما جليسة أطفال أجنبية لابنهما، وحصلا على عضوية في نادٍ ريفي، هل تظن أنهما أفرطا في ذلك؟ اللعنة، أجل... هل كانت بيسي قادرة على الانحناء

والنظر إلى مبلغ السبعين ألف دولار الذي أتقاضاه سنويًا؟ لكن هل تعلمُ ماذا كان والدي يقول دائمًا؟".

فكرتُ بيني وبين نفسي: كيف لي أن أعلم؟

"لقد اعتاد أن يقول إن حاولتَ تجاوز ظلكَ، فلا شك في أنكَ ستسقط على وجهكَ. كان داني وبيس يناقشان مشروع إنشاء مسبح عندما هبطت السوق حينها، كانت شركة بير ستيمز متخصصة في سندات الرهن العقاري، وفجأة ومن دون سابق إنذار أصبحت تلك الورقة الرابحة التي يمتلكانها، مجرد ورقة"، قلبت الأمر في ذهنها ونحن نمر بإشارة نيو بالتز على بعد 59 وبوكيبسي على بعد 70 ورينفيلد على بعد 78، حيث كنا قد أصحبنا قريبين جدًا على بعد ساعة من وجهتنا النهائية، وفقط مجرد التفكير بالأمر يجعل الخوف يسيطر عليّ نسبيًا، لقد كان الوجهة النهائية عبارة عن فيلم رعب دموي شاهدتُه مع أصدقائي، ليس مرعبًا بقدر صوت المنشار ولكنه مرعب بدرجة كبيرة.

"بالنسبة إلى بير ستيمز؟ لقد كان الأمر أشبه بالخيال، في يوم طبيعي من أيام الأسبوع يبيعون أسهمهم بأكثر من مئة وسبعين دولارًا، ثم فجأة في الأسبوع التالي تهبط قيمته إلى عشرة دولارات. حاول جي بي مورغان أن يجمع الأجزاء المتناثرة، وقامت شركات أخرى ببدء حياتها المهنية كاملة من الصفر، لقد نجحت الشركات الكبيرة التي في القمة بفعل ذلك لأنها تمر بتلك الأحداث دائمًا خلال الحياة العملية. افتح اليوتيوب يا جيمي ويمكنك أن ترى أشخاصًا يخرجون من مكاتبهم الفاخرة في وسط المدينة حاملين معهم حياتهم المهنية بأكملها في صناديق من الورق المقوى؛ كان داني ميلر أحد هؤلاء الرجال، وبعد ستة أشهر من انضمامه إلى ذلك النادي الريفي تحول إلى جامع قمامة، وكان بذلك من المحظوظين. أما بالنسبة إلى منزلهما، فقط كان صفقة فاشلة تمامًا، هل تعلم ما يعنيه ذلك؟".

كنتُ أعلم بالفعل ما يعنيه ذلك، فقلتُ: "لقد أصبحا مدينَين بمبلغ يفوق ثمن المنزل الحالي".

"أجل، ممتاز يا بط... يا جيمي، أظن أنك من الأوائل في صفك؛ لكنهما لم يكونا يمتلكان سواه، ناهيك عن أنه المكان الوحيد الذي تستطيع فيه أختي بيس وداني وابنة أختي فرانسين أن يضعوا رؤوسهم وينام بوجود سقف فوق رؤوسهم، فغيرهم من الأصدقاء كانوا ينامون في العربات. من برأيك دفع لهما ليتمكنا من الحصول على ذلك القصر ذي الأربع غرف نوم؟".

"أعتقد أنكِ من فعلتِ ذلك".

"صحيح، توقفت بيس عن النظر بازدراء إلى مبلغ السبعين ألف دولار الذي أتقاضاه سنويًا، وقد تمكنتُ من معرفة ذلك بمجرد النظر إليها. لكن برأيك هل كنتُ قادرة على فعل ذلك بالاعتماد على راتبي فقط؟ بالإضافة إلى كل أوقات العمل الإضافية؟ يستحيل ذلك، أو لأنني حصلتُ على دوام جزئي بصفتي حارسة أمن لبعض النوادي؟ كلا أيضًا، فذلك مستحيل. في الحقيقة، لقد قابلت بعض الأشخاص ممن يحصلون على صفقات ولديهم صلات كثيرة، وفي النهاية، هناك بعض مجالات العمل التي لا تتأثر بالركود، مثلًا تربح دور الجنازة دائمًا، أو شركات إعادة الشراء، وضامنو الكفالة، ومتاجر الكحول، وبالتأكيد تجار المخدرات، فالناس يرغبون دائمًا بالحصول على نشوة المخدرات سواء أكان في الأوقات الجيدة أو السيئة. حسنًا، أنا أحب الأمور السهلة والجميلة، ولن أعتذر لأحد عن ذلك، أجد الأمور المريحة جميلة، وشعرتُ بأنني أستحقها. في النهاية، لقد كنتُ السبب في وجود سقف فوق رؤوس أفراد عائلة أختي، على الرغم من كل تلك السنوات التي كرهتني فيها بشدة لأنها كانت أجمل وأكثر ذكاءً، وذهبت إلى كلية حقيقية بدلًا من الكفاح مع طبقات المجتمع"، ثم قالت بشيء من الزمجرة: "وطبعًا، لم تكن مثلية مثلي".

سألتُها: "ما الذي حصل؟ كيف خسرتِ وظيفتك؟".

"لقد فاجأني أعضاء لجنة مكافحة المخدرات بإجراء اختبار بول لم أكن مستعدة له تمامًا، وبهذا تمكنوا من معرفة الحقيقة، ولكنهم لم يتمكنوا من التخلص مني على الفور بعد أن شاركتُ في عملية ثيريولت؛ ما كان ذلك ليبدو جيدًا. لذلك انتظروا وقتًا إضافيًا - وهذا ما أعتبره أمرًا ذكيًا - وبعد ذلك حاولوا وضعي في مأزق - أو ظنوا أنهم فعلوا ذلك – وحاولوا استدراكي وجعلي أرتدي مُرسِلًا لاسلكيًا وغيرها من تلك الأشياء اللعينة التي ظهرت في فيلم سيربيكو، ولكن دعني أخبرك بمقولة أخرى لم أتعلمها من والدي: ينتهي الأمر بالواشي في الخنادق متعفنًا، ولم يكونوا يعرفون أنني أمتلك ورقتي الرابحة في جيبي".

"أية ورقة رابحة؟"، تستطيع أن تقول إنني غبي، ولكنني كنتُ أسأل بكل صدق وبغرض معرفة ما تقصده.

"أنتَ... أنتَ ورقتي الرابحة يا جيمي، ومنذ ذلك اليوم الذي التقينا فيه بثيريولت علمتُ أنني سأضطر للعب هذه الورقة مجددًا".

57

قدنا عبر طرقات مدينة رينفليد التي يبدو أنها مليئة بطلاب الجامعات، نظرًا لكثرة الحانات والمكتبات ومطاعم الوجبات السريعة على طريقها الرئيسي الوحيد. على الجانب الآخر باتجاه الغرب يبدأ الطريق في الارتفاع ويفضي في النهاية إلى قرية كاتسكيل، بعد قرابة الثلاثة أميال وصلنا إلى منطقة نزهات تطل على نهر وولكيل حيث ركنت ليز السيارة وأوقفت عمل المحرك.

لم يكن هناك أحد غيرنا، فأخرجت علبتها الصغيرة التي تحتوي على مزيجها الخاص، وبدا أنها على وشك فتح الغطاء، ولكنها قررت أن تلغي الفكرة وأعادت العلبة، انفتح معطفها الواقي من المطر، ورأيتُ مزيدًا من بقع الدم الجافة على كنزتها السميكة، وتذكرتُ حين قالت إنّ حاجزها الأنفي قد تلاشى.

كان مجرد التفكير في كيفية عمل ذلك المسحوق الذي تستنشقه على نهش لحمها أسوأ من فيلم وجهة نهائية أو صوت المنشار لأنه كان شيئًا حقيقيًا حقًا.

"حان الوقت لأخبرك بسبب إحضاري لك إلى هنا، يجب أن تعلم ما أنت على وشك مقابلته، ويجب أن تعلم ما الذي أتوقع منك فعله لأجلي. لا أعتقد أننا سنبقى صديقَين بعد هذا، ولكن ربما يمكن أن ننتهي من هذه العملية مع المحافظة على بعض الروابط الجيدة".

أشك أن هذا مجرد شيء آخر لم أتفوه به.

"إذا كنتَ تريد أن تعرف آلية سير أعمال المخدرات، شاهد مسلسل ذا واير، فأحداثه تدور في بالتيمور وليس في نيويورك، ولكن طريقة العمل لا تتغير من مكان إلى آخر؛ إنه نظام هرمي مثل أي مؤسسة أخرى من ذوات الأموال الطائلة. في أسفل الهرم يوجد تجار الشوارع من ذوي الأعمار الصغيرة، لذلك عندما يقعون في أيدي الشرطة فهم يحاكمون في محكمة الأحداث يقضون يومًا في محكمة الأسرة، ثم في اليوم الذي بعده يعودون إلى زوايا الشوارع. ثم لديك في الطبقة

التي بعدها كبار التجار، أولئك الذين يقومون بخدمة الأندية والملاهي الليلية - حيث بدأتُ بالعمل - وهناك تستطيع أن تجد الصيد الثمين ممن يوفرون المال عن طريق شراء كميات كبيرة"، ثم ضحكت، وكالعادة لم أفهم ما المضحك في ذلك.

"اصعد قليلًا في هذا الهرم، وستجد المزودين الأساسيين. إذًا، لديك الموردون الأساسيون الصغار للحفاظ على سير الأمور بسلاسة، ثم يليهم المحاسبون والمحامون ثم اللاعبون الكبار، كل شيء منظم كما يجب، أو على الأقل يجب أن يكون كذلك. يعرف الأشخاص الذين يقبعون في الجزء السفلي منْ فوقَهم مباشرة، ولكن هذا كل ما يعرفونه، ويعرف الأشخاص الذين في المنتصف كل الذين أسفلهم، ولكن أيضًا لا يعرفون سوى طبقة واحدة أعلى منهم، ولكنني كنتُ مختلفةً عنهم جميعًا، كنت خارج هذا الهرم و... وخارج التسلسل الهرمي هذا".

"لأنكِ كنت ناقلة للمخدرات كما في فيلم جيسون ستاثام".

"تقريبًا، من المفترض أن يعرف الناقل شخصين فقط، الشخص الذي يتلقى منه البضاعة في النقطة أ والشخص الذي ينقل له البضاعة عند النقطة ب، أولئك الموجودون في النقطة ب هم كبار الموزعين وهم الذين يدخلون إلى هذا الهرم مرة ثانية نزولًا باتجاه الوجهة النهائية له والتي تمثّل المتعاطين".

ها هي عبارة الوجهة النهائية تخرج أمامي مرة ثانية.

"وبصفتي شرطية، حسنًا شرطية قذرة، ولكنني ما زلتُ شرطية في نهاية الأمر، كل ما أفعله هو الانتباه إلى ما يجري، أنا لا أطرح كثيرًا من الأسئلة، لأن القيام بذلك أمر خطير، لكنني أستمع بحرص، بالإضافة إلى أنني أملك - كنتُ أملك، أيًا يكن - إمكانية الوصول إلى قواعد بيانات شرطة نيويورك وإدارة مكافحة المخدرات، لذلك لم يكن من الصعب أن أتتبع الهرم إلى قمته، كان هناك قرابة الاثني عشر شخصًا ممن يستوردون ثلاثة أنواع رئيسية من المخدرات إلى أراضي نيويورك ونيو إنغلاند، ولكن الشخص الذي كنتُ أعمل لصالحه يعيش هنا في رينفيلد؛ أو ربما يجب أن أقول عاش هنا في رينفيلد. اسمه دونالد مارسدن، وعندما قدم مستندات ضرائبه ملأ خانة المهنة السابقة بكلمة مطور، وخانة المهنة الحالية بكلمة متقاعد، إذًا هو متقاعد... حسنًا؟".

رنّ صوت ثيريولت في ذهني مرة أخرى ربما كان يجب أن أقول عاش.

قالت ليز: "يحاول الطفل أن يرى الصورة كاملة ليفهم ما يجري، هذا رائع. هل تمانع لو دخنت سيجارة؟ يجب ألّا آخذ جرعة أخرى حتى أنتهي من كل هذا، وبعدها سأكافئ نفسي بجرعة مضاعفة، حقًا سأتجاوز الخط الأحمر لضغط الدم".

لم تنتظر مني أن أعطيها الإذن، وأشعلتها مباشرة، ولكنها على الأقل فتحت نافذتها ليخرج الدخان، أو معظمه على الأقل.

"كان دوني مارسدن معروفًا لدى زملائه - طاقمه - باسم دوني الضخم، وكان ذلك لسبب وجيه، فلقد كان شخصًا سمينًا لعينًا. كان الحوار الحاصل: ثلاثمئة لا تفي بالغرض يا عزيزتي، قلتُ: جربْ أربعمئة وربع. لقد طلب ذلك وحصل عليه بالأمس، وأصيب بالمقابل بنزيف في المخ فجّر دماغه من دون أن يستخدم أي سلاح".

ثم سحبت نفسًا عميقًا ونفخت الدخان من نافذتها. كان وهج النهار لا يزال قويًا، ولكن بدأت الظلال بالظهور تدريجيًا، وسرعان ما سيتلاشى الضوء.

"قبل أسبوع من إصابته بالجلطة الدماغية، تلقيتُ مكالمة من اثنين من معارفي القدامى - من النقطة ب الذين بقيتُ ودودة معهم - حيث أخبروني أن دوني تلقى شحنة من الصين، وقالوا إنّها شحنة ضخمة وليست عبارة عن مسحوق، بل تحوي حبوبًا؛ الكثير من الأوكسيكونتين، وكلها عبارة عن شحنة شخصية لداني الضخم. أعتقد - وبحسب تخميني - فهذه مجرد مكافأة من نوع ما، لأنه لا يوجد قمة هرم فعلية يا جيمي، فحتى الرئيس لديه رؤساء".

جعلني هذا أفكر في شيء اعتادت أمي والعم هاري على ترديده أحيانًا، لقد تعلما هذه العبارة عندما كانا صغيرين على ما أظن، وبقي العم هاري يتذكرها حتى عندما اختفت جميع الأشياء المهمة التي يمتلكها، جميع البراغيث الكبيرة تحتوي على براغيث صغيرة على ظهرها تقوم بلسعها، والبراغيث الصغيرة هذه تحتوي براغيث أصغر، وهكذا إلى ما لانهاية. كنتُ أفترض دائمًا في مخيلتي أنني سأجلس وأردد هذه العبارة لأولادي؛ إذا حصلتُ على أولادٍ يومًا ما.

قالت بابتهاج وبطريقة أقرب إلى المصروعين: "حبوب، جيمي، حبوب... سهلة النقل وأسهل في البيع. وعبارة شحنة ضخمة قد تعني ألفين أو ثلاثة آلاف، وربما عشرة آلاف، ويقول ريكو - أحد رفاقي من النقطة ب - إنها قد تصل إلى الأربعين ألفًا، هل تعلم بكم يمكن بيع أربعين ألف حبة في الشارع؟ تجاهل سؤالي، فأنا أدرك أنك لا تعلم؛ ثمانون دولارًا هو ثَمَن الحبة الواحدة، وهذا بغض النظر عن التخلص من حمل أكياس القمامة المليئة بالهيروين والتعرق خلال جرها،

يمكنني فقط أن أحملها في حقيبة سفر خفيفة". ثم نفخت الدخان بعيدًا من بين شفتيها وراقبته وهو يحلق بعيدًا حتى وصل إلى حواجز الحماية حيث كتب ابق بعيدًا عن الحافة.

"سنحصل على تلك الحبوب يا جيمي، مهمتك هي أن تكتشف أين وضعها. طلبَ مني أصدقائي أن أشركهم إذا حصلتُ على سبيل يوصلني إلى هذه البضاعة، وبالطبع قلتُ لهم إنني سأفعل، ولكن في الحقيقة هذه الصفقة هي لي وحدي، عدا عن أنه ليس بالضرورة أن تحتوي على عشرة آلاف حبة، ربما تحتوي على ثمانية آلاف، أو حتى قد تحتوي على ثمانمئة".

ثم هزت رأسها نافية، كما لو أنها تجادل نفسها، وقالت: "سيكون هناك بضعة آلاف، أجل يجب أن يكون هناك بضعة آلاف على الأقل، وربما أكثر، فهي مكافأة المدير التنفيذي دوني لأدائه عملًا جيدًا في تزويد العملاء في نيويورك. ولكن إذا قررتَ أن تقسم ما حصلتَ عليه، فستقحم نفسك في مشكلة غبية، وأنا لستُ حمقاء، أجل، لديّ مشكلة في تعاطي المخدرات، ولكن هذا لا يجعلني حمقاء، هل تعرف ماذا سأفعل يا جيمي؟".

هززتُ رأسي نافيًا.

"سأفرّ إلى الجهة الغربية، وأختفي تمامًا من هذا الجزء من العالم. سأتغير تمامًا، وسأشتري ملابس أخرى وسأجدد لون شعري، ثم سأجد شخصًا ما يمكنه إيصالي إلى صفقة جيدة لبيع الأوكسيكونتين، ربما لا أتمكن من بيع الحبة بثمانين دولارًا، ولكنني سأحصل على الكثير من الأموال، لأن الأوكسي هو المعيار الذهبي، وتلك الحبوب الصينية اللعينة جيدة بقدر الأصلية. وبعدها سأحصل على هوية جديدة لطيفة تتماشى مع شعري الجديد وأسلوب ملابسي. سوف أدخل إلى مركز إعادة تأهيل، وأتوقف عن تعاطي المخدرات، ثم أبحث عن وظيفة من النوع الذي يمكنني فيه أن أعوض عن ماضيّ السيئ، هذا ما يسميه الكاثوليك بالكفارة، ما رأيك بهذا؟".

رأيتُ أن هذا مجرد حلم بعيد المنال.

لا بد أن ما أفكر به ظهر على تعابير وجهي، لأن ابتسامتها السعيدة تجمدت ثم قالت: "حسنًا، أنت لا تصدق ذلك، راقبني وسترى".

قلتُ: "لا أريد أن أراقبكِ، كل ما أريده هو الابتعاد عنك بحق الجحيم"، رفعت يدها مما جعلني أتراجع في مقعدي حيث ظننتُ أنها على وشك أن تضربني، ولكنها تنهدت ومسحت أنفها مرة أخرى.

"كيف يمكن لي أن ألومك على قول ذلك؟ حسنًا، لنجعل ذلك يحدث، سوف نذهب بالسيارة إلى منزله الذي يقع في آخر طريق رينفيلد، وستسأله عن مكان الحبوب حاليًا، أعتقد أنها ستكون في خزنته الشخصية، إذا كانت هناك، فستسأله عن كلمة السر وسيخبرك بها لأن - وكما أعلم - الموتى لا يستطيعون الكذب".

قلتُ: "لستُ متأكدًا من ذلك"، كانت كذبة تثبتُ أنني ما زلتُ على قيد الحياة، وتابعتُ: "ليس الأمر كما لو أنني قد استجوبتُ المئات منهم، ففي أغلب الحالات لا أتحدث معهم على الإطلاق، ولماذا قد أفعل ذلك؟ فهم موتى في النهاية".

"حسنًا، لقد أخبرك ثيريولت بمكان المتفجرة، على الرغم من أنه لم يرُد فعل ذلك".

لم أستطع الجدال في ما يتعلق بهذا، ولكن ربما كان هناك احتمال آخر يمكن تجربته.

"ماذا لو لم يكن الرجل هنا؟ ربما يزور والديه في فلوريدا، وربما بمجرد أن يموت الشخص يمكنه أن ينتقل فوريًا إلى أي مكان".

ظننتُ أن هذا سيزعجها، ولكنها لم تبدُ مستاءة على الإطلاق، وقالت: "توماس كان في منزله، أليس كذلك؟".

"ولكن هذا لا يعني أن الجميع سيكونون في منازلهم يا ليز".

"أنا متأكدة تمامًا من أن مارسدن سيكون في منزله"، بدت متأكدة جدًا من نفسها، إذ لم تتمكن من فهم فكرة أنه لا يمكن توقع تصرفات الموتى، وأكملت: "هيا بنا لنقم بذلك، ثم سأحقق أمنيتك العزيزة، ولن تضطر لرؤيتي مرة أخرى"، قالت هذا بطريقة حزينة، وعلى الرغم من أن هذا يجب أن يشعرني بالأسف تجاهها إلّا أنني لم أفعل، لقد كنتُ أشعر بالخوف؛ الخوف فقط.

58

كان منزله يقع في الأعالي، ولا يمكن الوصول إليه إلا من خلال المرور بسلسلة طويلة من المنعطفات الملتوية كالأفعى. كان هناك بعض المنازل من التي تحوي بجانبها صندوق بريد في بداية الطريق، ولكن كلما اقتربنا من منزله كلما قل عدد هذه المنازل تدريجيًا، وبدأت الأشجار تزداد أكثر فأكثر، مجتمعةً معًا وملقيةً بظلالها لتجعل الساعة تبدو متأخرة أكثر مما كانت عليه.

سألت ليز: "برأيك كم واحد يوجد؟".

"هاه؟".

"كم يوجد من الأشخاص ممن يمكنهم رؤية الموتى مثلك؟".

"كيف لي أن أعلم ذلك؟".

"هل سبق لك أن التقيت بأحدهم؟".

"كلا، ولكنه ليس بالأمر الذي يمكنك أن تتحدثي عنه عندما تتحدثين للمرة الأولى مع شخص غريب مثل قولك: مرحبًا، هل يمكنك أن ترى الموتى؟".

"أجل لا أظن ذلك، ولكنك بالتأكيد لم ترث ذلك من أمك"، قالتها كما لو أنها تتحدث عن لون عينيّ أو شعري المجعد، وقالت: "ماذا عن والدكَ؟".

"لا أعلم من هو، أو من كان، أيًا يكن"، يجعلني الحديث عن والدي أشعر بعدم الاستقرار، ربما لأن والدتي رفضت التحدث عن ذلك.

"ألم تسألها أبدًا؟".

"بالتأكيد سألتُها، ولكنها لم تعطني جوابًا أبدًا"، التفتُ في مقعدي بعيدًا عنها متجنبًا النظر إليها، وتابعتُ: "ألم تقل أي شيء أبدًا... عنه... لكِ؟".

"أجل لقد سألتها، وحصلتُ بالضبط على ما حصلتَ عليه، مجرد حائط صلب لا تستطيع اختراقه، على غير عادة تي".

ازدادت المنعطفات، وأصبحت أضيق الآن، لقد أصبح نهر وولكيل بعيدًا في الأسفل، حيث يمكن رؤيته متلألئًا في ذلك الوقت المتأخر من بعد الظهر، أو يمكن القول في بداية المساء. لا أعلم تمامًا كم الساعة؛ لقد تركتُ ساعتي في المنزل على طاولتي؛ وأشارت ساعة السيارة إلى الثامنة والربع صباحًا مما يؤكد أنها لا تعمل. في هذه الأثناء كان الطريق يصبح أكثر سوءًا وتدهورًا ودخلت سيارة ليز في سلسلة لامتناهية من الحفر المليئة بالطين.

"ربما كانت في حالة سكر شديد لذلك لا تتذكر، أو ربما تعرضت للاغتصاب".

لم تخطر أي فكرة منهما ببالي مسبقًا، وتراجعتُ قليلًا في مقعدي.

"لا تنصدمْ كثيرًا، أنا فقط أخمن، بالإضافة إلى أنك كبير بما يكفي لتفكر على الأقل بما قد تكون والدتك مرت به".

لم أعارضها بصوت عالٍ، لكنني فعلتُ ذلك في ذهني. في الواقع فكرتُ في أنها كانت لئيمة جدًا، فهل هناك عمرٌ معين يتقبل فيه الشخص فكرة أن يتساءل عما إذا كانت حياته نتيجة لليلة مليئة بالمشاعر الجامحة في المقعد الخلفي لسيارة شخص غريب، أو ربما بسبب جرها إلى زقاق حيث تمّ اغتصابها هناك؟ أنا حقًا لا أعتقد أن هناك عمرًا مناسبًا لذلك؛ ربما قالت ليز كل ما تريد قوله.

"قد تكون موهبتكَ هذه من والدك العزيز... أوه، صحيح، من المؤسف أنك لا تستطيع سؤاله".

فكرتُ بأنني، وفي حال رأيتُه يومًا ما، لن أطرح عليه أي سؤال، بل سأكتفي بلكمه على وجهه.

قالت: "من ناحية أخرى، ربما امتلكتَها من العدم. لقد نشأتُ في مدينة نيوجيرسي الصغيرة وكان هناك عائلة تدعى جونز في آخر الشارع بالقرب منا، وهي عائلة مكوّنة من زوج وزوجة وخمسة أطفال يعيشون جميعًا في بيت صغير مظلم، كان الوالدان غبيان لدرجة كبيرة، وكذلك

أربعة من الأطفال، أما الطفل الخامس فكان عبقريًا لعينًا، حيث علم نفسه كيف يعزف على الغيتار في سن السادسة، وتخطى صفين، وذهب إلى المدرسة الثانوية في الثانية عشر من عمره. من أين جاءت كل هذه المواهب؟ أخبرني أنتَ".

"ربما مارست السيدة جونز الجنس مع ساعي البريد"، سمعتُ هذه العبارة عندما كنتُ في المدرسة، فقهقهت ليز.

"أنت مضحك جدًا يا جيمي، أتمنى لو باستطاعتنا أن نبقى صديقَين".

قلتُ: "حسنًا، ربما كان عليك أن تتصرفي كصديقة".

59

فجأة، انتهى الطريق المعبد، ولكن في الحقيقة كان الوحل الذي بعده أفضل حيث كان سميكًا جدًا، وزيتيًا، وناعمًا. كان هنالك لافتة برتقالية كبيرة كُتبَ عليها طريق خاص يمنع العبور من خلاله.

سألتُها: "ماذا لو كان هناك رجال؟ أنت تعلمينَ... مثل الحراس الشخصيين؟".

"لو كانوا هناك فوظيفتهم حراسة جثته، ولكن جثته لم تعدْ موجودة، وبالتالي، هم أيضًا لم يعودوا موجودين، وحارس البواب سيكون قد رحل هو الآخر. لم يكن هناك أي شخص في المنزل عدا البستاني ومدبرة المنزل. إذا كنتُ تتخيل سيناريو مشابهًا لبعض أفلام الأكشن حيث هناك رجال يرتدون البذلات السوداء ويضعون النظارات الشمسية وسيارات تحرس المكان، فلا داعي لذلك، حيث إنّ الرجل الذي كان يقف على البوابة هو الشخص الوحيد المسلح في المبنى، وحتى إذا كان تيدي هناك، فهو يعرفني".

"ماذا عن زوجة السيد مارسدن؟".

"غير موجودة، لقد غادرت منذ خمس سنوات"، ثم حركت ليز يدها: "ذهبت مع الريح، هووف".

تأرجحنا بداخل السيارة مرة أخرى بينما ننعطف في زاوية ضيقة أخرى. كان هناك جبلٌ مغطىً بأشجار التنوب يغطي النصف الغربي من السماء، وتظهر الشمس مشرقة عبر شقٍّ في الوادي، ولكن سرعان ما ستختفي ويحل الظلام. وصلنا إلى حيث أصبح أمامنا بوابة حديدية كبيرة مغلقة.

كانت تحتوي على لوحة اتصال داخلي ولوحة مفاتيح على أحد جانبيها، وخلف البوابة كان هناك منزل صغير يُفترض أن يقضي فيه البواب وقته. توقفت ليز وأوقفت عمل محرك السيارة، ثم

وضعت المفاتيح في جيبها، وقالت: "ابقَ ساكنًا يا جيمي، سأنتهي من الأمر قبل أن تشعر به حتى".

كانت عيناها لامعتين وخداها محمرين بشدة، وقد سالت قطرة دم أخرى من إحدى فتحتي أنفها فمسحتها بكمها. ترجّلت من السيارة، واتجهت نحو لوحة الاتصال الداخلي، ولكنني لم أستطعْ سماع ما كانت تقوله لأنها أبقت نوافذ السيارة مغلقة، ثم مشت باتجاه منزل البواب وسمعتُ ما قالته هذه المرة لأنها رفعت صوتها: "تيدي، هل أنت في الداخل؟ أنا صديقتك ليز، أتمنى لو باستطاعتي أن أقدم احترامي للمتوفى، ولكنني بحاجة لمعرفة أين هو".

لم يأتها جواب من الداخل، ولم يخرج أحد، فمشت ليز عائدة إلى الجانب الآخر من البوابة، وسحبت قطعة ورق من جيبها الخلفي، وتفحصتها قليلًا، ثم بدأت بضغط بعض الأرقام على لوحة المفاتيح فانفتحت البوابة ببطء. عادت ليز نحوي إلى السيارة مبتسمةً وهي تقول: "يبدو أنّه ما من أحد سوانا هنا يا جيمي".

استقلتِ السيارة وقادتها عبر البوابة حيث كان الممر معبدًا وأملس كالزجاج. انعطفت مرة أخرى، وبينما كانت ليز تمر عبره أضاءت المصابيح الكهربائية على جانبي الممر، وعلمتُ في وقت لاحق أن هذا النوع من المصابيح يدعى بالمشاعل، أو ربما تستخدم هذه الكلمة فقط للمشاعل الموجودة في أفلام فرانكشتاين القديمة عندما دخلت الحشود واقتحمت القلعة.

قلتُ: "هذا رائع".

"أجل، ولكن انظر إلى ذلك الشيء اللعين يا جيمي"، فعلى الجانب الآخر في الجنوب، لاح منزل مارسدن، كان يشبه أحد تلك القصور التي تراها في أفلام هوليوود؛ تلك القصور الكبيرة على قمة جبل فوق كل تلك المنحدرات. كان الجانب المقابل من المنزل زجاجًا بالكامل، فتخيلتُ مارسدن وهو يشرب قهوته الصباحية ويراقب شروق الشمس، أراهن أنه يستطيع رؤية كامل الطريق المؤدي إلى بوكيبسي، أو حتى ربما أبعد من ذلك نظرًا لارتفاعه هذا. من ناحية أخرى واجهة تطل على بوكيبسي.

قالت ليز والشر ينضح من عينيها: "هذا المنزل بناه الهيروين، كل هذه الزينة والزخرفة وسيارات المرسيدس والبورش المركونة هناك في المرأب؛ هي التي تسببت بفقداني لوظيفتي".

فكرتُ في قول عبارة كنتِ تستطيعين اختيار خيار آخر، وهو ما كانت تقوله أمي دائمًا عندما أخفق في شيء ما، ولكنني أبقيتُ فمي مغلقًا، حيث كانت ليز أشبه بقنبلة من قنابل ثامبر، ولم أرغب في تفجيرها.

جلنا في الأرجاء قبل أن نصل إلى الساحة المرصوفة أمام المنزل، وقامت ليز بلفتين بالسيارة في الساحة، ورأيتُ رجلًا يقف أمام الباب المزدوج للمرأب حيث توجد سيارات مارسدن الفاخرة - بالتأكيد لم يأخذوا دوني الضخم إلى المشرحة في سيارته البورش بوكستر - فتحتُ فمي لأقول إنّه على الأغلب تيدي - حارس البوابة - لأن هذا الرجل كان نحيفًا، ومن المؤكد أنه ليس مارسدن، ولكن حينها رأيتُ أن فمه غير موجود.

سألتُ: "هل هذه هي سيارة البورش بوكستر؟"، آملًا أن يكون صوتي طبيعيًا إلى حد ما، مشيرًا إلى المرأب والرجل الواقف أمامه.

ألقت نظرة ثم قالت: "أجل، ولكن إذا كنتَ تأمل أن أصطحبك في جولة بها، أو حتى أن تلقي نظرة عليها، فأعتذر لتخييب أملك، فنحن هنا لتأدية مهمة محددة".

حسنًا، بما أنّها ليست قادرة على رؤيته، وبالنظر إلى تلك الفجوة ذات اللون الأحمر الموجودة حيث كان فمه غالبًا، فيمكن معرفة أنه لم يمت ميتةً طبيعيةً؛ كما قلتُ سابقًا، أنا أروي قصة رعب.

60

أوقفت ليز المحرك عن العمل، وترجلت من السيارة، وعندما رأت أنني ما زلتُ جالسًا في مقعدي، وقد تجمدت قدماي وسط مجموعة من أغلفة الوجبات الخفيفة، هزّت كتفي وقالت: "تعالَ يا جيمي، حان وقت العمل، يمكنك الخروج من السيارة".

ترجّلت من السيارة، وتبعتُها باتجاه الباب الأمامي، وفي الوقت الذي كنت أسير فيه، ألقيت نظرة على الرجل الواقف أمام باب المرأب؛ بالتأكيد كان يعلم أنني أستطيع رؤيته لأنه رفع يده ولوّح لي، فرفعتُ يدي ولوحتُ له بالمقابل بعد أن تأكدتُ إن ليز لا تنظر إليّ.

صعدنا درجًا حجريًا أدى إلى بابٍ خشبي طويل عليه مطرقة على شكل رأس أسد، ولكن لم تهتم ليز بالباب كثيرًا وكل ما فعلته أنها أخرجت تلك القصاصة الورقية، وضغطت عدة أرقام، وهذا ما حوّل اللون الأحمر إلى لون أخضر، فأصدر الباب صوتًا مكتومًا وهو يفتح.

هل أعطى مارسدن كل هذه الأرقام إلى مجرد ناقلة؟ لم أعتقد ذلك، ولا أعتقد أن الشخص الذي أخبرها عن الحبوب، أيًا يكن، يعرفُ هذه الأرقام، ففكرة أنها تمتلكها لم تعجبني، وللمرة الأولى فكرتُ في ثيريولت... أو في ذلك الشيء الذي يعيش في ما تبقى من ثيريولت. لقد غلبتُ هذا الشيء في طقوس تشود، وربما سيأتي إذا ناديته على افتراض أنه يحترم الصفقة التي عقدناها، لكن ما من شيء يثبت ذلك، أيًا يكن الأمر، كنتُ أخطط لاستخدامه كملاذ أخير فقط لأنني كنتُ مرعوبًا منه.

"ادخل"، وضعت ليز الورقة في جيبها الخلفي، ثم وضعت يدها في جيب معطفها الواقي من المطر. ألقيتُ نظرة على الرجل - أفترض أنه تيدي - الذي يقف بجانب المرأب، ونظرتُ إلى الفتحة الدامية حيث كان فمه، وفكرتُ في تلك الدماء الكثيرة على كنزة ليز، ربما جاءت هذه الدماء من مسح أنفها... وربما لا.

قالت بطريقة لا تشبه الدعوة أبدًا: "قلتُ ادخلْ".

فتحتُ الباب؛ لم يكن هناك بهو أو مدخل، بل فقط مجرد غرفة رئيسية ضخمة، وفي وسطها منطقة مليئة بالأرائك والكراسي، وعرفتُ في وقت لاحق أنها تدعى ببقعة المناقشات.

كان هناك أثاث باهظ أكثر حول هذه البقعة - ربما ليتأكد الناس من ضرورة إصغائهم إلى المحادثات الجارية - وهناك بار صغير يبدو كما لو أنه ذو عجلات، وأشياء معلقة على الجدران، قلتُ أشياء لأنها لا تبدو كقطع فنية بالنسبة إليّ، فهي نتيجة إمساك أحدهم لريشة وضربها عدة ضربات بعدة اتجاهات، ولكن يبدو أنها كانت بمثابة الفن لمارسدن حيث أطّرها ووضعها بشكل جميل هناك.

كان هناك ثريا ضخمة فوق بقعة المحادثات، بدا وزنها قرابة الخمسمئة رطل على الأقل، في الحقيقة، لم أرغب بالجلوس تحتها أبدًا، وخلف تلك البقعة في الجانب الآخر من الغرفة كان هناك درج مزدوج - في اليمين درج وفي اليسار درج - يفضي إلى الطابق الثاني، وكان هذا شيئًا رأيتُ مشابهًا له في الحياة الواقعية – أجل، ليس من الأفلام أو التلفاز - حيث رأيتُ مشابهًا له في متجر آبل في الشارع الخامس.

قالت ليز: "إنه فخم جدًا، أليس كذلك؟".

ثم أغلقت الباب، وضربت لوحة واسعة من أزرار النور براحة يدها، فأضاءت المزيد من المصابيح بالإضافة إلى الثريا. كان المنظر جميلًا جدًا والأنوار الناتجة كانت متناسقة ومريحة للعين، ولكنني لم أكن في حالة مزاجية تسمح لي بالاستمتاع بها، فكنتُ أزداد يقينًا أن ليز جاءت إلى هنا بالفعل وأطلقت النار على تيدي قبل أن تأتي وتجبرني على المجيء.

قلتُ لنفسي إنها لن تضطر لقتلي، إذا لم أخبرها بأنني رأيته، وعلى الرغم من أن هذا يبدو منطقيًا، إلّا أنني لا أثق أن المنطق وحده كفيل بإخراجي من هنا حيًا، لقد كانت في أعلى مراحل النشوة، وفكرت مرة أخرى بقنابل ثامبر الموقوتة.

قلتُ: "لمْ تسأليني؟".

"أسألك ماذا؟".

"هل هو هنا؟".

لم تبدُ مستاءة كما كانت عندما بحثنا عن ثيريولت سابقًا.

"دعنا نبحث في الطابق الثاني، ربما يكون في غرفة النوم الرئيسية يتذكر أوقاته السعيدة مع العاهرات، فلقد كان هناك الكثير منهن بعد مغادرة مادلين، وربما قبل أن تغادر أيضًا".

"لا أريد أن أصعد إلى هناك".

"لِمَ لا؟ المكان ليس مسكونًا يا جيمي".

"إنه مسكون إذا كان هناك".

فكرت بهذا ثم قهقهت. كانت يدها في جيب معطفها، فقالت: "حسنًا، لديك وجهة نظر، ولكن نظرًا لأنّه الشخص الذي نبحث عنه، فعليك أن تصعد، هيا".

أشرتُ بيدي إلى الردهة البعيدة في الجانب الأيمن من الغرفة الكبيرة وقلتُ: "ربما يكون في المطبخ".

"يأكل بعض الوجبات الخفيفة؟ لا أظن ذلك. أظنه في الطابق الثاني، هيا اصعدْ".

فكرتُ في أن أجادلها قليلًا، أو أرفض ذلك، ولكنني شعرتُ أنها على وشك إخراج يدها من معطفها، وأعتقد أن لديّ فكرة جيدة عما يوجد بداخله، لذلك بدأت أصعد الدرج الأيمن؛ كان السياج زجاجيًّا باللون الأخضر القاتم، وقد بدا ناعمًا ورائعًا جدًا، والدرجات مصنوعة من الحجر الأخضر، وقد بلغ مجموع الدرجات سبع وأربعين درجة - عددتُها بينما أصعد - وكل واحدة منها بسعر سيارة كيا على الأرجح.

في نهاية الدرج في الطابق العلوي، هناك مرآة طويلة ذات إطار مذهب يبلغ ارتفاعها قرابة السبع أقدام على الأقل، وهناك مرآة مشابهة لها تمامًا في نهاية الدرج الأيسر، نظرتُ إلى المرآة، ورأيتُ نفسي أصعد آخر درجات كما رأيتُ ليز ورائي تنظر من فوق كتفي، وقلتُ: "أنفكِ".

"رأيتُه"، كانت فتحتا أنفها تنزفان الآن، مسحت أنفها، ثم مسحت يدها بكنزتها السميكة وقالت: "يحدث ذلك بسبب التوتر والإجهاد مما يؤدي إلى ارتفاع ضغط دمي، بمجرد أن نجد مارسدن ويخبرنا عن مكان الحبوب، سينخفض ضغطي".

تساءلتُ في سرّيّ: هل نزف عندما أطلقتِ النار على تيدي؟ أتساءل كم كان ذلك باعثًا للتوتر يا ليز؟.

كانت القاعة الموجودة في الطابق العلوي عبارة عن شرفة دائرية في الواقع، تشبه تقريبًا منصة العرض محاطة بسياج يصل ارتفاعه إلى الخصر، عندما نظرت من أعلى السياج شعرت بالسوء، إذا سقطت - أو دُفِعتُ مثلًا - فسأقوم برحلة قصيرة وأسقط في منتصف بقعة المحادثات، حيث لن تقوم السجادة الملونة بحمايتي كثيرًا من الأرضية الحجرية تحتها.

"جيمي، انعطف يسارًا".

هذا يعني أننا سنبتعد عن الشرفة، ما منَحني شعورًا بشيء من الأمان. نزلنَا عبر ردهة طويلة جميع أبوابها إلى جهة اليسار، بحيث أيًا من يسكن هذه الغرف يستطيع أن يتنعم بالإطلالة. كان هناك باب وحيد مفتوح وكان في منتصف مسار الردهة الطويل؛ إنّها مكتبة دائرية كبيرة جدًا، كل رفوفها مكدسة بالكتب، ففكرتُ بوالدتي... كان سيغمى عليها من شدة الفرح لو رأتها، وكان هناك عدة كراسٍ وأريكة أمام الحائط الوحيد الذي لا يحوي رفوفًا وكتبًا. كان هذا الجدار عبارة عن نافذة، وهو شيء منطقي بالتأكيد، جدار زجاجي بأكمله يطل على منظر طبيعي جميل تتغير ألوانه مع تغير موقع الشمس؛ بإمكاني رؤية أنوار مدينة رينفيلد، وكنتُ مستعدًا لدفع أي ثمن لأكون هناك الآن بدلًا من هذا الخوف الذي أمر به.

لم تسألني ليز إن كان مارسدن في المكتبة، ولم تقم بجولة سريعة فيها حتى. وصلنا إلى نهاية الردهة، وأشارت بيدها الأخرى - التي لا تضعها في جيب معطفها - إلى الباب الأخير، وقالت: "أنا متأكدة من أنه هناك، افتح الباب".

فعلتُ ما طلبته، وكان دونالد مارسدن هناك، كان هو بالتأكيد ممتدًا هناك على سرير مزدوج وقد يكون سريرًا ثلاثيًا أو رباعيًا بالنظر إلى حجمه؛ كانت ليز محقة بذلك، فحتى بالنسبة إليّ كطفل، كانت كتلته تلك كبيرة جدًا، ربما كانت البذلة ذات التصميم الجيد ستخفي شيئًا قليلًا من شحومه، ولكنه لم يكن يرتدي بذلة، بل كان يرتدي ملابسه الداخلية فقط ولا شيء آخر، مجرد سروال قصير ضخم، بينما يمكن رؤية صدره ومحيطه الهائل وذراعيه المترهلتين المليئتين بالخطوط الضحلة. كان وجهه كالفطيرة ومليئًا بالكدمات، كما تورمت إحدى عينيه بشكل واضح جدًا، وهناك شيء غريب محشور في فمه علمتُ ماهيته في وقت لاحق - على أحد تلك المواقع التي لن ترغب بأن تعلم والدتك عنها - كان شيئًا يُمكن استخدامه أثناء ممارسة الجنس، وقد تم تقييد

معصميه إلى عمودي السرير. لا بد أن ليز أحضرت زوجًا واحدًا فقط من الأصفاد، لأنها عملت على ربط قدميه بعمودي السرير السفليين باستخدام شريط لاصق، ولا بد أنها استخدمت لفّة كاملة لكل قدم.

قالت ليز: "انظرْ إلى صاحب البيت".

رمشت عينه السليمة التي لم تتعرض للكدمات؛ قد تقول إنه كان يجب أن أعلم بمجرد النظر إلى الأصفاد والشريط اللاصق، وكان يجب أن أعلم لأن بعض الجروح لا تزال ترشح القليل من الدم، ولكنني لم أعلم، كنتُ في حالة صدمة شديدة، وغير قادر على معرفة ذلك، حتى رأيته يرمش بتلك الطريقة.

"إنه حي".

قالت ليز: "أستطيع إصلاح هذه المشكلة"، ثم أخرجت المسدس من جيب معطفها، وأطلقت النار على رأسه.

61

تناثرتِ الدماء وأشلاء دماغه على الحائط خلفه، فصرختُ وخرجتُ من الغرفة، ونزلت الدرج ثم تجاوزتُ تيدي، وعبرتُ أسفل التل ووصلتُ إلى رينفيلد، تخيلتُ أنني ركضتُ كل هذه المسافة في ثانية واحدة، ثم شعرتُ بليز تقيدني بذراعيها.

"ابقَ ثابتًا، اثبت...".

لكمت بطنها، وسمعتُ صوت تألمها المندهش قبل أن تقوم بتدوير ذراعي وتثبيتها خلفي، لقد تألمتُ كثيرًا، وصرختُ أكثر، وفجأة شعرتُ بأن قدميّ لم تعودا قادرتين على حملي، لقد سحبتني بعيدًا، فبدأتُ أصرخ وأنا أجثو على ركبتيّ، صرختُ كثيرًا وهي تقوم بثني ذراعي أكثر وأكثر لدرجة أنني كنتُ أسمع صوت معصمي يكاد ينكسر.

"اصمت"، كان صوتها يتردد في ذهني، هذه المرأة التي لعبت معي بسيارات الماتشبوكس ذات مرة حيث جلسنا منتظرَين أن تنتهي والدتي من تحضير المعكرونة والاستماع إلى الأغاني القديمة في المطبخ.

قالت: "توقف عن هذا الضجيج المزعج، وسأفلتُك".

فعلتُ ما طلبته وأفلتتني بدورها. حدقتُ إلى السجادة وبدأ جسدي بأكمله يرتعش من الخوف.

"قف على قدميك يا جيمي"، تمكنتُ من فعل ذلك ببذل جهد إضافي، لكنني بقيتُ أنظر إلى السجادة، حيث إنني لم أرغب بالنظر إلى الرجل البدين الذي أصبح بلا رأس أيضًا.

"هل هو هنا؟".

حدقتُ إلى السجادة ولم أقل شيئًا، كان شعري يغطي عينيّ، فهززتُ رأسي نافيًا.

"هل هو هنا؟ انظر حولك جيدًا".

رفعتُ رأسي وسمعتُ صوت طقطقة رقبتي بينما أفعل ذلك، وحاولتُ ألّا أنظر مباشرة إلى جثة مارسدن - على الرغم من أنه كان أكبر من أن يخرج من محيط نظري بشكل كلي - ونظرتُ إلى الطاولة بجانب سريره، حيث كان هناك علبتان من الحبوب وشطيرة دسمة بالإضافة إلى زجاجة مياه.

صفعتني على مؤخرة رأسي وسألتني: "هل هو هنا؟".

مسحتُ الغرفة بنظري، لم يكن هناك أحد سوانا نحن وجثة الرجل السمين؛ فخلال حياتي حتى الآن رأيتُ رجلين مصابين بطلق رصاص في رأسيهما؛ كان شكل ثيريولت سيئًا جدًا أيضًا، ولكنني لم أضطر لمشاهدته عندما مات على الأقل.

قلتُ: "لا يوجد أحد".

"لماذا ليس هنا؟ لماذا؟"، كانت أشبه بكلب مسعور، ولم أفكر في الأمر كثيرًا حينها، كنتُ على وشك الموت من الخوف والرعب. في وقت لاحق فقط - عندما أعدتُ التفكير بتلك الدقائق الخمس اللامتناهية التي قضيناها في غرفة مارسدن - أدركتُ أنها كانت تشك بمقدرتي على رؤية الموتى، على الرغم من كتاب توماس ريغيس، وعلى الرغم من ثيريولت وقنبلته، لكنها كانت تشعر بالخوف من أن كل هذه القدرة قد تكون كذبة، ولقد قتلت لتوها الشخص الوحيد الذي يعرف مكان هذه الحبوب.

قلتُ: "لا أعلم، لم يسبق لي أن كنتُ في المكان الذي يموت فيه الشخص مباشرة، ربما... ربما يستغرق الأمر بعض الوقت. لا أعرف يا ليز".

قالت: "حسنًا، سننتظر".

"ولكن ليس في هذه الغرفة، حسنًا؟ من فضلك يا ليز، ليس في هذه الغرفة بحيث أراه كيفما نظرتُ".

"حسنًا، في الردهة، إذا تركتُكَ، فهل ستصبح أفضل؟".

"أجل؟".

"ألن تحاول الهرب؟".

"لن أفعل".

"من الأفضل ألّا تفعل ذلك، لا أريد أن أطلق النار على ساقك أو قدمك لأن هذه ستكون نهاية مسيرتك في كرة المضرب، هيا اخرج".

خرجتُ وخرجت معي بدورها، لتحرص على منعي من أخذ قسط بسيط جدًا من الراحة، وطلبت مني أن أنظر مرة أخرى بينما نحن في الردهة فنظرتُ حولي، ولكنه لم يكن هناك، وأخبرتُها بذلك.

"اللعنة"، قالت بعد فترة: "لقد رأيتَ الشطيرة، أليس كذلك؟".

أومأتُ برأسي، فلقد رأيتُ الشطيرة وبجانبها زجاجة ماء لرجل تم ربطه وتقييد كلّ من قدميه ويديه إلى أعمدة سريره الضخم.

قالت ليز: "لقد أعجبتُ بذوقه في الطعام حين أكلتُ معه ذات مرة في مطعم، كان يجب أن يقدموا له حينها مجرفة بدلًا من الشوكة والملعقة، فهو عبارة عن خنزير".

"لماذا تتركين بجانبه شطيرة إذا كان لا يستطيع أكلها؟".

"أردته أن ينظر إليها فقط، لهذا السبب فقط، أردت أن ينظر إليها طوال اليوم بينما أذهب لإحضارك وأعود. صدقني رصاصة في رأسه هي كل ما يستحقه، هل لديك أي فكرة عن عدد الأشخاص الذين قتلهم بـ... بسُمِّهِ السعيد ذلك؟".

فكرتُ في نفسي: ومنْ ساعدهُ بفعل ذلك؟ ولكنني بالتأكيد بقيتُ صامتًا.

"أيًا يكن الأمر، كم كان سيعيش بحسب اعتقادك؟ لسنتين؟ لخمس سنوات؟ لقد دخلتُ حمامه يا جيمي؛ لديه حمام بضعف عرض الحمام الطبيعي"، ثم أحدثت صوتًا لا يمكن اعتباره ضحكًا، كان بين الضحك والاشمئزاز.

قالت: "حسنًا، دعنا نتنزه على الشرفة، لنتفقد ما إذا كان في الغرفة الكبيرة، هيا، ولكن على مهل".

لم يكن بإمكاني الإسراع أكثر حتى لو رغبتُ بذلك، فلقد كانت فخذاي ترتجفان وشعرتُ وكأن عظام قدمي متلاشية.

"هل تعرف كيف حصلتُ على كلمة سر البوابة الرئيسية الضخمة؟ من رجل مارسدن الذي كان بمثابة كلبه، كان لديه إدمان لعين على الكوكايين، وكان بإمكاني أن أُعاشر زوجته إن أردتُ ذلك، كان من دواعي سروره أن يقدمها لي مقابل أن أقدم له الكوكايين. أما كلمة سر باب المنزل، فقد حصلتُ عليها من تيدي".

"قبل أن تقتليه".

"ماذا بإمكاني أن أفعل غير ذلك؟ كما لو أنني بذلك الغباء لأتركه يعيش، يمكنه أن يبتزني ويقوم بشيء ضدي".

فكرتُ في نفسي: وأستطيع أنا أيضًا فعل ذلك، وأعادني هذا مجددًا إلى الشيء الذي يمكن لهذا الفتى - أنا - أن يصفر ويستدعيه. كان عليّ أن أفعل ذلك، ولكنني لا أرغب بفعله. لأنه قد لا ينجح؟ أجل، ولكن ليس بسبب ذلك فقط، لنقل مثلًا إنك فركتَ المصباح وحصلتَ على جنيٍّ، هذا جيد جدًا، ولكن على فرض أنك فركتَه وحصلتَ على شيطان - الضوء الميت - وحده الله يعلم بما قد يحدث، ولكنني شخصيًا لا أعلم.

وصلنا إلى الشرفة المرتفعة عن الأرض ومنخفضة السياج، فانحنيتُ نحو الأمام، وملتُ بجسمي بعض الشيء إلى الأسفل.

سألتني: "هل هو هناك؟".

"لا".

شعرتُ بالمسدس يُوضع أسفل ظهري ثم قالت: "هل تكذب؟".

"كلا".

تنهدت بعمق وقالت: "لا يُفترض أن تسير الأمور بهذه الطريقة".

"لا أعرفُ كيف يفترض بها أن تسير يا ليز، لكن كل ما أعرفه أنه قد يكون في الخارج يتحدث مع تي..."، وهنا توقفتُ عن الكلام.

أمسكت بكتفي وأدارتني نحوها، كان الدم قد وصل حتى شفتها العليا - لا بد أن مستوى توترها كان عاليًا جدًا - لكنها كانت تبتسم، وقالت: "هل رأيتَ تيدي؟".

أخفضتُ عينيّ، وكانت هذه الإجابة كافية.

قالت وهي تقهقه: "أنت كلب ماكر"، ثم ضحكت قليلًا وقالت: "إذا لم يظهر مارسدن هنا فسنخرج ونلقي نظرة، ولكن دعنا ننتظر قليلًا في الوقت الحالي، يمكن أن نتحمل ذلك قليلًا بعد. آخر عاهرة امتلكها كانت في زيارة لأقاربها في جامايكا أو باربادوس أو في مكان ما مشابه لهذا المكان؛ مليء بأشجار النخيل، وبقي وحيدًا بغير صحبة خلال الأسبوع، ويقوم بجميع أعماله عن طريق الهاتف. عندما دخلتُ وجدتُه مستلقيًا هناك يشاهد برنامج جون لو كورت على التلفاز. يا إلهي، أتمنى لو أنه كان يرتدي لباس النوم على الأقل، تعلمُ ما الذي أقصده".

لم أقل شيئًا.

"أخبرني أنه لا يملك أي حبوب، ولكنني استطعتُ معرفة أنه يكذب، لذلك ضربته بعض الشيء، ثم قمتُ بجرحه أيضًا، أنت تظن أيضًا أن هذا سيجعله يفك عقدة لسانه ويتكلم، ولكن، هل تعلم ما الذي فعله؟ لقد ضحك عليّ وقال نعم، أجل، هناك الكثير من الأوكسي، والكثير الكثير منه، ولكنه لم يخبرني بمكانه، قال: لماذا عليّ فعل ذلك؟ فسوف تقتلينني على أية حال، وهنا عندما خطر لي الشيء الذهبي الذي بحوزتي، لم أصدق أنني لم أفكر بذلك من قبل". ضربت رأسها بيدها التي تحمل بها المسدس وقالت: "غبية جدًا".

قلتُ: "أنا... أنا هو هذا الشيء الذهبي".

"أجل وبقوة، لذلك تركتُ له شطيرة وزجاجة ماء ليتأملهما بإعجاب، وذهبتُ إلى نيويورك لأحضرك وعدنا بالسيارة، وها نحن ذا، فأين هو بحق الجحيم؟".

قلتُ: "هناك".

"ماذا؟ أين؟".

أشرتُ بيدي فالتفتت، ولكنها لم تتمكن من رؤية أي أحد بالطبع، لكنني تمكنتُ من الرؤية نيابة عنها. كان دونالد مارسدن - المعروف أيضًا باسم دوني الضخم - يقف هناك عند مدخل مكتبته الدائرية. لم يكن يرتدي أي شيء آخر عدا ملابسه الداخلية، وقد اختفى الجزء العلوي من

رأسه تمامًا، وغطتِ الدماء كتفيه، لكنه كان يحدق إليّ بعينه الأخرى التي لم تضربها ليز خلال غضبها الشديد.

رفعتُ يدي نحوه تجريبيًا لأرى ما الذي سيحدث، فرفع يده نحوي بالمقابل.

62

قالت: "اسألْه"، كان إصبعها يحفر في كتفي، وأنفاسها تتدفق في وجهي، وبالتأكيد لم يكن أيًا منهما لطيفًا، لكن الأنفاس كانت أسوأ.

"اتركيني وسأفعل ما تريدينه".

مشيتُ ببطء باتجاه مارسدن، وتبعتني ليز عن قرب لدرجة استطعت أن أشعر بخطواتها المترقبة.

توقفتُ على بعد خمس أقدام منه وسألته: "أين الحبوب؟".

أجاب دون أي تردد، متحدثًا بطلاقة كما فعلوا جميعًا - باستثناء ثيريولت - كما لو أن الأمر لا يهمهم، وحقًا، لِمَ سيهتمون؟ لم يعد بحاجة إلى الحبوب بعد الآن، لا يحتاجها حيث هو الآن، ولا حيث هو ذاهب؛ على افتراض أنه ذاهب إلى مكان ما أصلًا.

"بعضها على الطاولة بجانب سريري، ولكن معظمها في خزانة الأدوية، التوبوماكس، والمارينوكس، والإينديرال، والبيبسيد، والفلوماكس..."، واستمر بعد عشرات الأسماء الأخرى.

قالها كما لو أنه يقرأها من لائحة المنتجات.

"ماذا يقول عن...".

قلتُ: "ابقي ساكنة"، للحظات كنتُ أنا القائد على الرغم من علمي بأن ذلك لن يدوم طويلًا، ففكرتُ إن سأكون القائد إذا استدعيتُ ذلك الشيء الذي يسكن ثيريولت؛ لم أكن أعلم ذلك.

قلتُ: "لقد سألتُ السؤال الخاطئ"، ثم التفتُّ باتجاهها وتابعتُ: "أستطيع أن أسأل السؤال الصحيح، ولكن عليك أن تعديني أولًا بأنك ستتركينني أذهب بمجرد أن تأخذي ما أتيتِ لأجله".

"بالتأكيد سأفعل ذلك يا جيمي"، وعلمتُ أنها كانت تكذب بالطبع. لستُ متأكدًا تمامًا كيف عرفتُ ذلك حينها، لم يكن الأمر باستعمال المنطق على الإطلاق، ولكنه لم يكن مجرد حدس أيضًا؛ أعتقد أنني علمتُ من الطريقة التي تجنبت بها أن تنظر إلى عينيّ وهي تذكر اسمي.

عرفتُ حينها أنني سأضطر لأن أصفّر له.

لا يزال مارسدن يقف هناك عند باب مكتبته، فتساءلتُ لفترة وجيزة إن كان قد قرأ كل تلك الكتب بالفعل، أو أنه وضعها بغرض التباهي فقط.

"إنها لا تريد الحبوب المتعلقة بوصفات الدواء، إنها تريد الأوكسي فقط، أين هو؟".

ما حدث بعد هذا السؤال لم يسبق أن حدث لي سوى مرة واحدة فقط، عندما سألتُ ثيريولت أين زرع قنبلته الأخيرة. بدأت حركة شفتيه تفقد التزامن مع إيقاع كلماته، كما لو أنه يقاوم ضد ذلك الإلزام الذي يجبره على الإجابة، ثم قال أخيرًا: "لا أريد أن أخبرك".

نفس ما قاله ثيريولت بالضبط.

"جيمي، ماذا؟".

قلتُ: "كوني هادئة، أعطني فرصة لأتحدث إليه"، ثم التفتُ باتجاهه وقلتُ: "أين الأوكسي؟".

عندما ضغطتُ على ثيريولت أكثر ليعطيني جوابًا، ظهرت ملامح الألم على وجهه وأعتقد - لا أعلم تمامًا بل أعتقد فقط - أن ذلك الشيء - الضوء الميت - دخل إليه حينها. لم يبدُ أن مارسدن يتألم، ولكن كان هناك شيء ما متعلق بمشاعره الداخلية على الرغم من أنه ميت. وضع يديه على وجهه كما لو أنه طفل ارتكب فعلًا خاطئًا، وقال: "في غرفة الهلع".

"ما الذي تعنيه؟ ما هي غرفة الهلع؟".

"إنها مكان تلجأ إليه في حال اقتحم منزلك"، كان الصوت العاطفي قد تلاشى بالسرعة نفسها التي ظهر بها، وعاد صوتُه إلى الإيقاع الثابت: "لديّ أعداء، كانت واحدة منهم، ولكنني فقط لم أعلم ذلك".

قالت ليز: "اسأله أين هي هذه الغرفة".

كنتُ متأكدًا من أنني أعلم ذلك، ولكنني سألته على أي حال، وأشار بدوره إلى المكتبة.

قلتُ: "إنها غرفة سرية"، وبما أنني لم أقل ذلك بصيغة السؤال، لكنه لم يجب، لذلك عدتُ وقلتُ: "هل هي غرفة سرية؟".

"أجل".

"أرني إياها".

دخل إلى المكتبة التي كانت قد أصبحت مظلمة بحلول هذا الوقت. الموتى الذين أراهم ليسوا أشباحًا تمامًا، ولكن عندما رأيته يدخل أمامي ويغرق في الظلام الدامس بدا وكأنه شبح، ووجب على ليز أن تتحسس الجدران بحثًا عن مفاتيح إضاءة المصابيح، ربما توحي لي أنها لم تقضِ أي وقت هناك، على الرغم من أنها كانت تعلم كل شيء. كم عدد المرات التي أتت فيها إلى هذا المنزل يا تُرى؟

سطعت أضواء المصابيح من السقف، فانتشر الضوء في المكتبة. أشار مارسدن إلى رف من الكتب، وبما أن ليز لم تكن قادرة على رؤيته فقد حاكيتُ إيماءته، وقلتُ: "ذلك الرف".

ذهبت إليه وسحبته، كنتُ لأهرب حينها لو أنها لم تسحبني معها؛ كانت مندهشة ومحمرة الخدّين من شدة الحماسة، ولكنها رغم ذلك لا تزال تمتلك بعضًا من غرائزها كشرطية، فعملت على نزع كل ما كان على الرفوف بيدها، ولكن لم يحصل شيء، وبدأت تشتم واستدارت إليّ.

لأتجنب لوي ذراعي مرة أخرى أو كسرها سألته بشكل واضح: "هل هناك مقبض ما لفتحه؟".

"أجل".

"ماذا يقول يا جيمي؟ ماذا يقول؟ اللعنة... ماذا يقول؟".

لم تكتفِ بكونها تخيفني لدرجة الموت، ولكن كانت أسئلتها تلك تقودني إلى الجنون.

لقد نسيت أن تمسح أنفها، وبدأ الدم يسيل على شفتها العليا حتى بدت كواحدة من مصاصي دماء برام ستوكر، وبرأيي الشخصي كانت نوعًا ما واحدة منهم.

"اعطيني فرصة لأقوم بذلك يا ليز"، ثم نظرتُ إلى مارسدن وسألته: "أين المقبض؟".

"أعلى الرفّ جهة اليمين".

أخبرتُ ليز بذلك، وقفت على أصابع قدميها، فاختلّ توازنها قليلًا، ثم سُمِعَ صوت نقرة. هذه المرة عندما قامت بالسحب دارت خزانة الكتب حول مفصلات مخفية، وكشفت عن باب فولاذي ولوحة مفاتيح أخرى، وضوء أحمر صغير آخر فوق الأرقام؛ استطعتُ أن أعلم ماذا عليّ أن أسأله بعد ذلك.

"ما هو الرمز؟".

مجددًا، رفع يديه وغطى عينيه، تلك الحركة الطفولية التي تعني أنني إذا كنتُ لا أستطيع رؤيتك فلا يمكنك رؤيتي أيضًا، لقد كانت حركة تخفي حزنًا عميقًا، ولكن لم أكن قادرًا على التأثر بها، ليس فقط لأنه كان مسؤولًا كبيرًا في مجال المخدرات وقتلت منتجاته المئات من الناس عدا عن الآلاف ممن يتعاطونها، فلقد كان لديّ ما يكفيني من المشاكل.

قلتُ وأنا أنطق كل كلمة مؤكدًا عليها كما فعلتُ مع ثيريولت: "ما... هو... الرمز؟"، كان هذا الموقف مختلفًا تمامًا، ولكن النتيجة نفسها، أخبرني... فلقد كان ملزمًا بفعل ذلك.

قلتُ: "73612".

ضغطت أزرار الأرقام بسرعة، بينما بقيت ممسكة بذراعي. كنتُ أتوقع أن أسمع صوت هسيس غريب كما يحدث في أفلام الخيال العلمي عند فتح غرفة معادلة الضغط في مركبة الفضاء، ولكن الشيء الوحيد الذي حدث هو أن ذلك الضوء الأحمر تحول إلى الأخضر، ولم يكن هناك أي مقبض للباب لذلك دفعته ليز، وفتح الباب. كانت الغرفة بالداخل حالكة الظلام.

قالت ليز: "اسأله أين مفاتيح الإضاءة".

فعلتُ ذلك، وقال مارسدن: "لا يوجد أي منها"، ترك يديه متدليتين بجانبيه مجددًا، وكان صوته قد بدأ يتلاشى. في تلك اللحظة ظننتُ أنه كان يتلاشى بهذه السرعة لأنه قُتل بدلًا من الموت بطريقة طبيعية أو التعرض لحادث مميت، ولكن غيرتُ رأيي في وقتٍ لاحق حيث أظن أن كل ما أراده هو أن يرحل قبل أن نكتشف ما كان بداخل تلك الغرفة.

قلتُ: "جربي أن تدخلي فقط".

خطت خطوة مترددة في الظلام، ولم تفلتني خلال كل هذا، وبمجرد أن خطت أضاءت المصابيح فوق رأسها. كانت الغرفة مليئة بالأشياء؛ فعلى الجانب البعيد المقابل لنا كان هناك صندوق الثلج - أتى صوت البروفيسور بوركيت إليّ من بعيد - وموقد، وميكروويف، وإلى اليسار واليمين من كل هذا كان هناك رفوف مكدسة بالأطعمة المعلبة الرخيصة مثل سردين أوسكار كينغ، واللحم البقري دينتي مور. كان هناك أيضًا بعض الأكياس التي تحتوي على المزيد من الطعام - اكتشفتُ في وقت لاحق أنها ما يسميه رجال الجيش بالوجبات الجاهزة للأكل - بالإضافة إلى وجود ست قوارير من الماء والبيرة أيضًا. كان هناك هاتف أرضي على أحد الرفوف السفلية، وفي منتصف الغرفة كان هناك طاولة خشبية بسيطة عليها حاسوب مكتبي، وطابعة، وملف سميك، بالإضافة إلى حقيبة حلاقة ذات سحاب.

سألتُه: "أين الأوكسي؟".

ثم قلتُ: "يقول إنها في حقيبة، أيًا تكن".

أمسكت بحقيبة الحلاقة، وفتحتها، ثم قلبتها على الطاولة، فسقطت حينها مجموعة من الزجاجات المليئة بالحبوب، بالإضافة إلى عبوتين أو ثلاث صغيرة لُفّت بشريط.

لا يمكن القول إنّ هذا كنز ثمين تمامًا، فصرخت قائلة: "ما هذا بحق الجحيم؟".

بالكاد سمعتُ صوتها وهي تصرخ، حيث كنتُ قد قلبتُ الملف المجاور للحاسوب لا لسبب إلّا لأنه كان موجودًا هناك، وكنتُ في حالة صدمة. في البداية شعرتُ كما لو أنني لا أعرف ما هذا؛ ولكنني عرفتُ بالطبع. وعلمتُ أيضًا لماذا لم يرد مارسدن أن نأتي إلى هنا، ولماذا لا يزال يشعر بالخزي رغم وفاته، فالأمر لا يتعلق بالمخدرات.

تساءلت إذا كانت المرأة التي أنظر إليها تضع الكرة نفسها التي وضعتها ليز في فمه عندما قيدته، ستكون هذه هي شاعرية العدالة لو أنها كذلك.

ناديتُها وأنا أشعرُ بالخدر في شفتيّ كما لو أن طبيب الأسنان قد حقن لتوه المخدر في فمي: "ليز".

كانت تصرخ: "هل هذا كل شيء؟ لا تجرؤ أيها اللعين أن تخبرني أن هذا كل شيء". ثم فتحت غطاء إحدى الزجاجات وأفرغت محتوياتها، ربما كان هناك حوالى عشرين حبة، وعادت لتصرخ: "هذه ليست حبوب أوكسي حتى، إنها حبوب دارفونز اللعينة".

لقد تركتني، وكان بإمكاني أن أركض، ولكنني لم أفكّر في ذلك مطلقًا، كما أنني تخليت في تلك اللحظة عن فكرة الصفير لأثيريولت.

ناديتُ مرة أخرى: "ليز".

لم تعرني اهتمامًا، كانت تفتح الزجاجات الواحدة تلو الأخرى، وتظهر أنواع مختلفة من الحبوب، ولكن لا يوجد الكثير منها. كانت تحدق إلى بعض الحبوب ذات اللون الأزرق وتقول: "حسنًا، حبوب روكسيز جيدة، ولكن عددها لا يتجاوز العشرة حتى، اسأله أين البقية".

"ليز، انظري إلى هذا"، كنتُ أعلم أن هذا صوتي ولكنه بدا صوتًا بعيدًا جدًا.

"قلت اسأله...".

تراجعت قليلًا باتجاهي، ثم توقفت ونظرت إلى ما كنتُ انظرُ إليه؛ كانت صورة لامعة أعلى كدسة أخرى من الصور اللامعة.

وكان هناك ثلاثة أشخاص يظهرون فيها: رجلان وامرأة. كان أحد الرجلين مارسدن الذي لم يكن يرتدي ملابسه الداخلية حتى، وكان الرجل الآخر عاريًا أيضًا؛ كانا يفعلان أشياء لتلك المرأة التي وضعا الكرة - أو أيًا يكن اسم هذا الشيء - في فمها. لا أريد أن أفصّل كثيرًا، سأكتفي فقط بقول إن مارسدن كان يحمل موقد لحم صغير، والرجل الآخر يحمل إحدى الشوكات المخصصة للحم ذات الرأسين.

"اللعنة"، ثم همست: "أوه، اللعنة"، وتصفحت المزيد من الصور التي لا يمكن التكلم عنها حتى، ثم أغلقت الملف وقالت: "إنها هي".

"من".

"زوجته مادي، لم تهرب إذًا".

لا يزال مارسدن في الخارج في المكتبة ينظر بعيدًا عنا، كان الجزء الخلفي من ظهره عبارة عن خرابة يشبه الجانب الأيسر من رأس ثيريولت، ولكنني بالكاد لاحظتُ ذلك بينما نظرتُ إليه من مكاني، فلقد علمتُ ذلك المساء أن هناك أشياء أسوأ من جروح الرصاص.

قلتُ: "لقد عذباها حتى الموت".

"أجل، وقد استمتعا بذلك، انظر إلى الابتسامة التي تعلو وجهيهما، هل ما زلتَ تشعر بالأسف لأنني قتلته؟".

قلتُ: "لكنك لم تقتليه بسبب ما فعله لزوجته؛ لم تكوني على علم حينها، لقد قتلته بسبب المخدرات".

هزت كتفيها كما لو أن السبب بحد ذاته لا يهم، وأعتقد أنه لم يكن يهمها حقًا. نظرت خارج تلك الغرفة السرية حيث اقترب قليلًا ليرى صوره المروعة تلك، وتابع عبوره متجاوزًا المكتبة باتجاه الطابق العلوي.

سألتني: "هل ما زال هناك؟".

"نعم، إنه في المدخل".

"لقد أخبرني في البداية أنه لا يملك أي حبوب، ولكنني علمتُ أنه يكذب. ثم قال إنّ هناك الكثير والكثير من الحبوب".

"ربما كان يكذب عندما قال ذلك، كان بإمكانه الكذب، فهو لم يكن ميتًا حينها".

"ولكنه أخبرك بأن الحبوب في غرفة الهلع تلك، وكان ميتًا حينها".

"لم يقلْ كم يملك منها"، ثم سألتُ مارسدن: "هل هذا كل ما تملكه؟".

قال بصوتٍ متلاشٍ: "أجل، هذا كل شيء".

"لقد أخبرتَها أن لديك الكثير".

هز كتفيه الملطختين بالدماء وقال: "ظننتُ أنها إذا بقيت تعتقد أن لديّ ما تريده، فستبقيني على قيد الحياة".

"لكنها سمعت تلك الإخبارية عن حصولك على شحنة كبيرة خاصة بك...".

قاطعني قائلًا: "كل هذا مجرد هراء، يشغل الناس أنفسهم بالتحدث حول أنواع الهراء كافة، فقط بغرض التحدث والاستماع إلى أنفسهم"، هزت ليز رأسها عندما أخبرتُها بما قاله، ولم تصدق ذلك؛ لم ترغب بتصديق ذلك، لأنها إذا فعلت ذلك، وصدقت الأمر، فهذا يعني أن جميع خططها المتعلقة بالساحل الغربي ستذهب أدراج الرياح، وهذا يعني أنها خُدِعَت.

أصرت على رأيها قائلة: "إنه يخفي شيئًا ما بطريقة ما وفي مكان ما، اسأله مرة أخرى أين البقية"، فتحتُ فمي لأخبرها بأنه لو كان هناك المزيد من الحبوب كان ليخبرني بذلك، ثم - ربما لأن تلك الصور الرهيبة جعلتني أقف مذهولًا كالذي تلقى صفعة - خطرت لي فكرة.

ربما يمكنني أن أقوم ببعض الحيل لخداعها، لأنها بالتأكيد لن تميز الخداع عن غيره وهي في هذه الحالة، وهكذا، إذا نجح الأمر، فقد أتمكن من الابتعاد عنها دون أن أصفّر لذلك الشيطان.

أمسكت بكتفي وهزتني: "قلتُ اسأله".

لذلك فعلت ما طلبته: "أين بقية المخدرات يا سيد مارسدن؟".

قال، وصوته شبه متلاشٍ: "لقد سبق لي أن أخبرتك، هذا كل ما لديّ، أبقي القليل أيضًا في متناول يديّ من أجل متطلبات ماريا ولكنها الآن في منطقة بيميني في جزر الباهاماس".

"حسنًا إذًا، أجل، من المنطقي أكثر وضعها هناك"، ثم أشرتُ إلى رفوف الأغذية المعلبة.

"هل ترين علب السباغيتي التي هناك على الرف العلوي؟"، من المستحيل ألّا تكون قد رأتها، هناك ثلاثون علبة على الأقل، أظن أن دوني الضخم أحب أنّه نصف أمريكي ونصف فرنسي.

تابعتُ: "لقد قال إنّه أخفى بعض الحبوب في هذه - ليس أوكسي - ولكن أخفى شيئًا ما آخر"، كان من الممكن أن تسحبني معها، ولكنني فكرتُ في أنها ستكون متحمسة للغاية بحيث إنها ستنسى ذلك، وكان صحيحًا ما فكرت فيه.

حين ركضت إلى رفوف الأغذية المعلبة، انتظرتُ حتى وقفت على أطراف أصابعها بانتصاب شديد، ثم خرجتُ من الغرفة مذعورًا وعبرتُ المكتبة؛ أتمنى فقط لو أنني تذكرتُ أن أغلق الباب، ولكنني لم أتذكر، كان مارسدن يقف هناك وبدا قطعة جامدة تمامًا، ولكنني مررتُ من خلاله. هناك لحظات شعرتُ بها بالبرد القارس، وامتلأ فمي بطعم مدهن أعتقد أنه كان الببروني، ثم وجدتُ نفسي أركض صعودًا على الدرج.

كان هناك صوت للعلب المتساقطة من ورائي وصوتها وهي تصرخ: "جيمي، عد إلى هنا، جيمي".

لحقت بي، وسمعتُ صوت خطواتها. استطعتُ الوصول إلى حافة الدرج، وقمتُ بالنظر إلى الخلف لأتفقد الطريق، لكن هذه حركة كانت خاطئة حيث تعثرتُ، وبحكم نفاد جميع خياراتي الأخرى، ضممتُ شفتي معًا لأصفر، ولكن لم يكن بإمكاني فعل أي شيء سوى نفث الهواء لأن شفتي كانتَا جافتين للغاية، وحاولتُ أن أصرخ بدلًا من ذلك.

"ثيريولت"، وبدأتُ في الزحف على الدرج بشكل معاكس وشعري يغطي عينيّ، لكنها أمسكت بكاحلي.

"ثيريولت، ساعدني، تخلص منها".

فجأة أنار ضوء أبيض المكان كله؛ ليس فقط الشرفة أو الدرج، بل كل المساحة التي تقع فوق الغرفة الكبيرة وبقعة المحادثات. كنتُ أنظر إلى ليز عندما حدث ذلك، وأغمضتُ عينيّ نصف إغماضة محدقًا إلى ذلك الوهج الذي يسبب العمى. كان قادمًا من تلك المرآة الطويلة، وأتى قسم آخر منه من المرآة الأخرى في نهاية الدرج الآخر. ارتخت قبضة ليز، وأمسكتُ بإحدى حجارة الدرج، وبدأت أجذب نفسي بكل قوتي بعيدًا عنها، وأخذتُ أزحف على بطني نزولًا مثل طفل صغير يبدأ أولى رحلاته الخطرة في هذا العالم. توقفتُ بعد أن تجاوزتُ حوالى ربع الطريق نزولًا، حيث كانت ليز تصيح عاليًا، فنظرتُ من بين ذراعي وجانبي، وبسبب وضعيتي هذه كنتُ أراها بصورة مقلوبة. كانت تقف أمام المرآة ولا أعلم ماهية ما رأته تمامًا، وهذا جيد، لأنني لو رأيته ما كنت على الأرجح لأنام مجددًا، وكانت رؤية الضوء - ذلك الضوء اللامع عديم اللون الذي يخرج من المرآة مثل توهج الشمس - كافية لوحدها؛

إنه الضوء الميت.

ثم رأيتُ - أعتقد أنني رأيتُ - يدًا تخرج من المرآة وتمسك برقبة ليز، وشرعت هذه اليد تجذبها وتشد على عنقها، واستمرت ليز بالصراخ، وسمعتُ أصوات تكسير زجاج المرآة جراء شدها، ثم انطفأت كل الأنوار.

كان الوقتُ قرابة نهاية الغسق، لذلك يمكن القول إنّ المنزل لم يكن غارقًا بالظلام الحالك تمامًا بعدُ، ولكنه كان يقتربُ من ذلك، وامتلأت الغرفة المتواجدة في الأسفل بكل أشكال الظلال المختلفة.

ليز ورائي أعلى الدرج، ولم تكف عن الصراخ. أمسكتُ بالسياج الزجاجي الأملس محاولًا الوقوف على قدميّ، وتمكنتُ بعدها من المشي مترنحًا إلى غرفة المعيشة من دون أن يختلّ توازني وأسقط.

توقفت ليز عن الصراخ، وبدأت تضحك عاليًا، فاستدرتُ ورأيتُها تنزل الدرج، كانت عبارة عن شكل مظلم يضحك بطريقة مشابهة للجوكر في كارتون باتمان. نزلت بسرعة كبيرة جدًا، ولم تنظر أمامها، نزلت مترنحة من طرف إلى آخر وهي ترتد عن سياج الدرج، وتنظر بين اللحظة والأخرى إلى المرآة حيث كان الضوء يتلاشى تدريجيًا كما ينطفئ الخيط تدريجيًا في المصباح اليدوي القديم.

"ليز، احذري"، صرختُ بهذه العبارة على الرغم من أن أكثر شيء أريده في العالم هو الابتعاد عنها. كان تحذيري ذلك غزيريًا، ولكنه لم ينفع حيث اختل توازنها هناك وسقطت إلى الأمام وارتطمت بالدرج، ثم هبطت، واصطدمت بالدرج مرة أخرى، وتشقلبت مرة أخيرة قبل أن تنزلق على مسار الدرج حتى النهاية. في المرة الأولى التي خبطت فيها الدرج بقيت تضحك بصوت مسموع، ولكن في المرة الثانية سكنَ صوتها تمامًا، كما لو أنها جهاز راديو معطل.

كانت مستلقية هناك في الأسفل في نهاية الدرج وجهها باتجاه الأعلى ورأسها مقلوب قليلًا وقد التوى أنفها جانبيًا، وإحدى ذراعيها ممدودة إلى جانبها، وعيناها تحدقان إلى الفراغ المظلم.

"ليز؟".

لم يأتني ردّ منها.

"ليز، هل أنت بخير؟".

يا له من سؤال غبي! ولِمَ قد أهتم أصلًا؟ حسنًا هذا السؤال يمكنني تقديم إجابة له، أردتُها أن تكون على قيد الحياة لأن شيئًا ما كان ورائي لم أكن أسمعه، ولكنني كنتُ أشعر به.

ركعتُ إلى جانبها، ووضعتُ يدي أمام فمها المليء بالدماء، فلم أشعر بأي نفس على راحة يدي ولم ترمش عيناها أبدًا؛ لقد ماتت. نهضتُ ثم نظرتُ خلفي، ورأيتُ ما كنتُ أتوقعه تمامًا... كانت ليز تقف هناك مرتدية معطفها الواقي من المطر وكنزتها المليئة ببقع الدماء. كانت تنظر من فوقي مباشرة، ثم رفعت يدها وأشارت باتجاه شيء ما؛ ذكرتني بتلك اللحظة الرهيبة من رواية شبح عيد الميلاد القادم عندما يتم الإشارة إلى شاهد قبر سكروج.

كان كينيث ثيريولت - أو ما تبقى منه بشكل أدق - ينزل إلى الطابق السفلي.

63

كان مثل قطعة حطب محترقة ولا تزال النار متقدة في أحشائها؛ لا أعرف طريقة أخرى لوصفه؛ حيث تحول إلى اللون الأسود، وتشققت بشرته في عشرات الأماكن، وظهر ذلك الضوء الميت الساطع من تلك التشققات؛ كان يخرج من أنفه وعينيه وحتى من أذنيه، وعندما يفتح فمه يخرج من هناك أيضًا.

كشر مبتسمًا ابتسامة عريضة وقال: "دعنا نقم بالطقوس مرة أخرى، ولنرَ من سيفوز هذه المرة. أعتقد أنك مدين لي بذلك لأنني أنقذتك منها"، ثم مشى بسرعة على طول الدرج نحوي، جاهزًا لإعادة ذلك المشهد الطويل الذي جرى في ردهة مبنانا.

شعرتُ بغزيرتي تطلب مني أن أستدير وأركض، ولكن شيئًا آخر أعمق أخبرني بأنه يجب أن أقف بثبات بغض النظر عن مدى رغبتي بالهروب من كل هذا الرعب القادم باتجاهي، لأنه إذا استدرتُ وذهبتُ، فسيتمسك بي من الخلف ويلف ذراعيه المتفحمتين حولي وستكون هذه النهاية. سيفوز وسيستعبدني، وسأصبح حينها ملزمًا بالمجيء إليه كلما ناداني، سيتملكني وأنا حي كما تملكتُه وهو ميت، وتستطيع معرفة أن هذا أسوأ.

قلتُ: "توقفْ"، فتوقف ثيريولت بلونه الأسود ذلك عند أسفل الدرج حيث كان يبعد أقل من قدم واحدة عني، وقلتُ: "ابتعد من هنا، لقد انتهيتُ من عملي معك، وللأبد".

"لن ينتهي عملك معي أبدًا"، ثم قال كلمة أخرى، كلمة جعلتني أشعر بقشعريرة وجعلت شعري يقف: "أيها البطل".

قلتُ: "انتظر وسترى"، أجل، إنها كلمات شجاعة، ولكنني لم أستطع قولها من دون أن يرتجف صوتي.

لا تزال ذراعاه ممدودتين اتجاهي، ويداه السوداوان مع شقوقهما المليئة بالضوء اللامع على بعد بوصات قليلة من رقبتي، قال: "إذا كنتَ تريد التخلص مني إلى الأبد، دعنا نعيد الطقوس مرة أخرى، وهكذا سيكون الأمر أكثر عدلًا، لأنني هذه المرة مستعد لأواجهك".

لقد حثثت بشكل غريب؛ لا تسألني عن المسبب، فأنا نفسي لا أعلم ذلك؛ ولكن غلب عليّ جانب عميق جدًا مني أعمق من الأنا ومن الغزيرة. يمكنك أن تهزم الشيطان من خلال العناية الإلهية والشجاعة والحظ الغبي أو باستخدام مزيج منها جميعًا، ولكن بالتأكيد لا يمكنك فعل ذلك مرتين، ولا أعتقد أن هناك أحدًا غير القديسين هزموا الشيطان مرتين؛ وربما هم لم يستطيعوا ذلك.

كان قد أصبح دوري الآن لأشير مثل آخر شبح لسكروج، فأشرتُ إلى الباب وقلتُ: "اذهب".

بدأ هذا الشيء يحرك شفتي ثيريولت المتفحمتين بهدوء وبشيء من السخرية قائلًا: "لا يمكنك أن ترسلني بعيدًا عنك يا جيمي، فنحن مرتبطان ببعضنا، ألم تدرك ذلك بعدُ؟ لم تفكر في عواقب أفعالك، ولكن ها نحن ذا".

كررتُ كلمتي السابقة، فقد كانت كل ما استطعتُ قوله بعد أن أجبرتُ نفسي على قولها من خلال حلقي الذي بدأ يتضيق أكثر فجأة. بدا جسد ثيريولت مستعدًا لمحي المسافة الفاصلة بيننا والقفز نحوي وعصري بين يديه، ولكنه لم يفعل ذلك، أو لم يستطع فعل ذلك.

ارتدّت ليز عندما مرّ بها. كنتُ أتوقع أن يمر عبر الباب - كما مررتُ أنا عبر مارسدن - ولكن مهما يكن هذا الشيء، فهو لم يكن شبحًا، فقد أمسكت يده بمقبض الباب وأدارته مما جعل يده تتشقق أكثر مؤدية إلى مرور المزيد من الضوء عبرها؛ وفُتِح الباب.

استدار مجددًا باتجاهي وقال: "أوه، فقط صفّر لي وسآتي إليك يا صديقي".

ثم غادر.

64

أوشكت ساقاي أن تنهارا، وكان الدرج قريبًا مني، ولكنني لن أجلس عليه حيث يمتد جسد ليز داتون المهشم، فمشيتُ مترنحًا باتجاه بقعة المحادثات، وانهرتُ على أحد الكراسي القريبة. أخفضتُ رأسي وبكيتُ قليلًا، كانت تلك دموع رعب وهستيريا، ولكنني أعتقد أنها كانت أيضًا - على الرغم من أنني لا أتذكر تمامًا - دموع فرح.

كنتُ على قيد الحياة، أجل كنتُ في منزل مظلم يقع في نهاية طريق خاص ومعي جثتان وشبحان ميتان - كان مارسدن ينظر إليّ من الشرفة - لكنني كنتُ على قيد الحياة.

صحتُ: "ثلاث... أجل ثلاث جثث وثلاثة أشباح ميتة. لا تنسَ تيدي"، فشرع يقهقه، ولكن تذكرتُ ليز عندما كانت تقهقه بالطريقة نفسها قبل وفاتها مباشرة، وأوقفتُ نفسي محاولًا ألّا أضحك، وحاولتُ أن أفكر في ما يجب عليّ فعله الآن.

قررتُ أن أول ما عليّ فعله هو إغلاق ذلك الباب الأمامي اللعين، لم يكن وجود هذين المنتقمين - كلمة تعلمتها أو يمكن القول خمنتها في وقت لاحق - وهما يحدقان إلى وجهي أمرًا ممتعًا، ولكنني معتاد على رؤية الموتى وهم يشاهدونني وأنا أشاهدهم، ولكن ما لم يعجبني حقًّا هو فكرة وجود ثيريولت هنا في مكان ما مع ذلك الضوء الذي يسطع عبر بشرته المتحللة. لقد قلتُ له أن يذهب وحينها ذهب... ولكن ماذا لو عاد؟

مشيتُ بجوار ليز، وأغلقتُ الباب، وسألتُها ماذا عليّ أن أفعل؛ لم أتوقع إجابة منها، ولكنني حصلتُ على واحدة: "اتصل بأمك"، حينها تذكرتُ الهاتف الأرضي في غرفة الهلع، ولكنني لم أكن على استعداد لصعود الدرج إلى تلك الغرفة وإن كان ذلك مقابل مليون دولار.

"هل هاتفك معكِ يا ليز؟".

قالت بعدم اهتمام، كما يكون معظمهم: "أجل".

ليس كلهم طبعًا، فالسيدة بوركيت عاشت بما يكفي لتقدم انتقادات حول الخصائص الفنية لديكي الرومي، وقد حاول دوني الضخم أن يخفي ما لديه من أشياء تتعلق بالتعذيب الإباحي.

"أين هو؟".

"في جيب معطفي؟".

توجهتُ إلى جثتها، وأدخلتُ يدي في الجيب الأيمن للمعطف، حيث شعرتُ بيدي تلمس المسدس الذي استخدمته لإنهاء حياة دونالد مارسدن، فأرجعتُ يدي بسرعة كما لو أنني لمستُ شيئًا ساخنًا، ثم تفقدتُ الجيب الآخر حيث وجدتُ هاتفها، وفتحته.

"ما هو الرقم السري؟".

."2665"

ضغطت على الأرقام، ووضعت رمز مدينة نيويورك ثم ضغطتُ على الأرقام الثلاثة الأولى من رقم أمي، ولكنني مسحتها، وغيرتُ رأيي، وقررتُ الاتصال بشخص مختلف.

"911، ما هي حالة الطوارئ التي لديك؟".

قلتُ: "أنا في منزل فيه شخصان ميتان، قُتل أحدهما والآخر سقط عن الدرج".

"هل هذه مزحة يا بني؟".

"أتمنى لو كانت كذلك، لقد قامت المرأة التي سقطت عن الدرج بخطفي وإحضاري إلى هنا".

سألتني بلهجة جدية: "ما هو موقعك؟".

"في نهاية طريق خاص خارج رينفيلد يا سيدتي، لا أعلم كم تبعد تمامًا ولا أعلم إذا كان يوجد رقم للشارع"، ثم فكرتُ قليلًا وقلتُ على الفور: "أنا في منزل دونالد مارسدن وهو الرجل الذي قتلته هذه المرأة التي سقطت عن الدرج واسمها ليز داتون، إليزابيث".

سألتني إذا ما كنتُ على ما يرام، ثم طلبت مني الجلوس والبقاء ساكنًا وقويًا، وقالت لي إن الرجال في الطريق إليّ.

جلستُ بعدها واتصلتُ بأمي، كانت محادثتي معها أطول بكثير، ولم تكنْ دائمًا بلغة واضحة لأننا كنا ننشج، أخبرتُها بكل شيء عدا عن ذلك الشيء الخارق. كانت ستصدقني لو أخبرتُها عنه، ولكن يكفي أن يتعرض أحدنا فقط إلى الكوابيس، فاكتفيتُ بقول إنّ ليز تعثرت وهي تلاحقني وسقطت وكسرت رقبتها.

أثناء حديثنا نزل دونالد مارسدن الدرج ووقف بجوار الحائط؛ لقد ماتَ أحدهما بسبب طلق ناري في رأسه، والثانية بسبب كسر في رقبتها وانحناء رأسها جانبيًا، يا له من زوج متكامل؛ أخبرتُكَ مسبقًا عدة مرات أن هذه قصة رعب، ولكنني كنتُ قادرًا على النظر إليهما من دون أن أشعر بالكثير من الضيق، لأن الرعب الحقيقي كان قد اختفى، إلّا إذا رغبتُ بعودته مرة ثانية، فحينها سيأتي.

كل ما عليّ فعله هو أن أُصفّر.

بعد مرور خمس عشرة دقيقة طويلة جدًا، سمعتُ أصوات صفارات إنذار قادمة من بعيد، ثم بعد خمس وعشرين دقيقة انعكست الأضواء الحمراء والزرقاء عن جميع نوافذ المنزل، وكان هناك ما لا يقل عن ستة رجال شرطة. في البداية، لم يكونوا سوى أشكال داكنة تبحث حول البيت عن أي آثار أخيرة لضوء النهار؛ على فرض أنه بقي أي أثر. سأل أحدهم عن مكان لوحة المصابيح اللعينة، وقال آخر: "لقد وجدتُها"، ثم شرع يشتم عندما ضغط ولم يُضأ أيّ نور.

صرخ أحدهم: "منْ هنا؟... هل هناك أي شخص هنا؟ عرّفْ عن نفسك".

وقفتُ ورفعتُ يديّ، على الرغم من أنني كنتُ أشك في قدرتهم على رؤيتي أكثر من مجرد شيء مظلم يتحرك، وقلتُ: "أنا هنا، يداي مرفوعتان، لقد تعطلت الأنوار، أنا الولد الذي اتصل".

اتجهت المصابيح الكاشفة باتجاهات عديدة متعاكسة ثم تركزت أنوارها عليّ، فتقدم أحد أفراد الشرطة - امرأة - ودارت حول ليز من دون أن تعلم لماذا تفعل ذلك بالتأكيد. في البداية كانت تضع يدها على مسدسها باستعداد، ولكن حين رأتني رفعت يدها عنه، وهذا كان شيئًا مريحًا حقًا.

جثت على ركبتيها وقالت: "هل أنت بمفردك في المنزل يا بني؟".

نظرتُ إلى ليز، وإلى مارسدن الذي يقف بعيدًا عن المرأة التي قتلته، حتى تيدي كان قد وصل ووقف عند المدخل ربما لمجرد الفضول أو جذبته الأصوات الكثيرة؛ فهم عبارة عن ثلاثة أشخاص ثانويين غير ميتين تمامًا.

قلتُ: "أجل لوحدي، أنا الشخص الوحيد هنا".

65

وضعت السيدة الشرطية ذراعها حول كتفي، واصطحبتني إلى الخارج، وبدأت أرتجفُ، فاعتقدت هي أنني أرتجفُ من هواء الليل على الأغلب، ولكن ذلك لم يكن السبب بالتأكيد.

نزعت سترتها، ووضعتها فوق كتفي، ولكن ذلك لم يكن جيدًا كفاية، فوضعتُ ذراعي بداخل الكمين الطويلين جدًا وضممتُ يدي معًا، لقد كانت السترة ثقيلة نظرًا لكل أشياء الشرطة التي تحويها بداخلها، ولكن ذلك لم يزعجني، بل في الحقيقة أعطاني ثقلها شعورًا جيدًا.

كان هناك ثلاث سيارات في الفناء، رُكِنت اثنتان منهما إلى جانبي سيارة ليز الصغيرة والثالثة خلفها، وتوقفت سيارة أخرى رباعية الدفع وعليها عبارة مأمور شرطة رينفيلد إلى جانبها.

فكرتُ بأن هذا اليوم سيكون بمثابة يوم عطلة للسكارى والسائقين المسرعين في وسط المدينة لأنه وفي الغالب معظم شرطة البلدة كانت هنا.

خرج شرطي آخر من الباب، وانضم إلى الشرطية، ثم سألني: "ما الذي حدث هناك يا فتى؟".

قبل أن أتمكن من الإجابة وضعت الشرطية إصبعها على شفتي، ولم أمانع ذلك، في الحقيقة شعرتُ بنوع من الراحة، ثم قالت للشرطي: "لا أسئلة يا دوايت، هذا الفتى في حالة صدمة ويحتاج إلى عناية طبية".

خرج من السيارة رباعية الدفع رجل قوي البنية يرتدي قميصًا أبيض مع شارة معلقة حول رقبته - أعتقد أنه مأمور الشرطة - ووصل إلينا بحيث سمع آخر جملة، وقال: "خذيه يا كارولين، واحرصي على أن يتلقى العناية اللازمة. هل هناك حالات موت مؤكدة؟".

"هناك جسد ممدد في نهاية الدرج لامرأة لا أستطيع أن أؤكد أنها متوفاة. ولكن من طريقة فتل رأسها...".

قلتُ لهم: "أوه، إنها ميتة"، ثم بدأتُ بالبكاء.

قال المأمور: "هيا يا كارو، لا داعي أن تذهبي طوال الطريق إلى كاونتي أيضًا، خذيه إلى ميدناو. لا توجهوا له أي أسئلة حتى أصل إلى هناك، وأيضًا حتى يصل أي شخص بالغ مسؤول عنه. هل حصلتِ على اسمه؟".

قالت الشرطية كارولين: "ليس بعد، لقد كان الوضع جنونيًا ولا يوجد أي أضواء في الداخل".

انحنى المأمور باتجاهي واضعًا يديه على فخذيه ما أشعرني كما لو أنني في الخامسة من عمري، وسألني: "ما اسمك يا بني؟".

لم تمضِ ثوانٍ على قراره بعدم سؤالي أي شيء، فقلتُ: "جيمي كونكلين، وأمي هي الشخص القادم لأجلي، اسمها تي كونكلين، لقد اتصلتُ بها بالفعل".

"حسنًا"، ثم التفتَ إلى دوايت وقال: "لماذا ليس هناك أي أضواء؟ جميع المنازل التي مررتُ بها خلال طريقي إلى هنا مُنارة".

"لا نعلم أيها الرئيس".

قلتُ: "لقد انطفأت الأضواء عندما كانت تركض ورائي على الدرج، أعتقد أن هذا سبب تعثرها وسقوطها".

استطعتُ أن أرى على وجهه أنه أراد أن يطرح عليّ مزيدًا من الأسئلة، ولكنه قد أخبر الشرطية كارولين للتو بعدم طرح أية أسئلة وبأخذي إلى العناية الطبية فقط. بدأنا نشق طريقنا عبر الفناء ثم عبر الطريق المتعرج وشعرتُ حينها بوجود شيء ما في جيب بنطالي... كان هاتف ليز، على الرغم من أنني لا أتذكر أنني وضعتُه هناك إطلاقًا.

سألتُها: "هل يمكنني الاتصال بوالدتي وإخبارها أننا في طريقنا إلى مركز العناية الطبية؟".

"أجل بالتأكيد".

بينما كنتُ أفتح هاتف ليز لأتصل أدركتُ أنني قد أقع في مشكلة لو اكتشفت الشرطية كارولين أنني استعمل هاتف ليز، وربما ستسألني كيف لي أن أعلم كلمة سر هاتف المرأة الميتة، وبالتأكيد كنتُ سأتلعثم ولن أكون قادرًا على إعطاء جواب جيد، ولكنها لم تسأل.

قالت أمي إنها الآن في سيارة أوبر - سيكلف هذا مبلغًا ليس بقليل، لذلك من الجيد أن الوكالة قد عادت إلى وضعها المالي المستقر - وكانت تسير بسرعة جيدة. سألتني إذا كنتُ حقًا بخير، وأخبرتُها أنني كذلك وأن الشرطية كارولين تأخذني الآن إلى ميدناو في رينفيلد من أجل إجراء فحص عام للاطمئنان فقط، وطلبت مني ألّا أجيب على أي أسئلة حتى تصل إلى هناك، وقلتُ لها إنني لن أفعل.

قالت أمي: "سأتصل بمونتي غريشام، إنه لا يتعامل مع هذا النوع من القضايا، ولكنه بالتأكيد يعرف بعض الأشخاص المتخصصين به".

"لا أحتاج إلى محامٍ يا أمي، فأنا لم أفعل شيئًا"، فرمقتني الشرطية كارولين بنظرة سريعة عندما قلتُ هذا.

"إذا قتلت ليز شخصًا ما وكنتَ موجودًا هناك فستحتاج إلى محامٍ، وسيكون هناك تحقيقات عديدة... وصحافة... لا أعلم كيف ستكون الأمور تمامًا، ولكن سيكون هناك الكثير من الأحداث. إنه خطأي لقد أحضرتُ تلك العاهرة إلى منزلنا"، ثم قالت بغضب: "اللعنة عليك يا ليز".

قلتُ: "لقد كانت شخصًا جيدًا في البداية"؛ كانت هذه حقيقة، ولكنني شعرتُ فجأة بأنني مُتعب جدًا جدًا.

ثم أنهيتُ المكالمة قائلًا: "إلى اللقاء، أراك عندما تصلين إلى هنا". سألتُ الشرطية كارولين كم من الوقت يلزمنا للوصول إلى مركز العناية الطبية، وقالت إنّ الأمر سيستغرق عشرين دقيقة. نظرتُ إلى الخلف عبر الفاصل المثقب بين الصندوق الخلفي والمقعد متأكدًا للحظة أن ليز لن تكون هناك أو ربما الأسوأ بكثير مثل أن يكون ثيريولت هناك. ولكن لم أجد أحدًا.

قالت الشرطية كارولين: "لا يوجد أحد غيرنا نحن الاثنين، لا تقلقْ".

قلتُ: "لست قلقًا"؛ كان هناك شيء واحدٌ عليّ القلق بشأنه، والشكر لله لقد تذكرتُه وإلّا كنت وأمي سنقع في مشكلة.

أسندتُ رأسي على النافذة، وأدرتُه حوالى النصف دورة بعيدًا عن الشرطية كارولين قائلًا: "سآخذ قسطًا من النوم".

قالت مبتسمة ابتسامة بسيطة: "حسنًا، افعل ذلك".

أخذتُ قسطًا من النوم، ولكن قبل أن أفعل ذلك فتحتُ هاتف ليز بينما أخفيه بجسدي المنحني، وحذفتُ المقطع الصوتي الذي سجلته لي بينما أقوم بتسريب حبكة رواية سر روينوك لأمي؛ فلو تفحّصوا الهاتف واكتشفوا أنه ليس ملكي سأخترع قصة ما، أو سأكتفي بالقول إنني لا أذكر، ولكن يجب ألّا يسمعوا هذا التسجيل أبدًا.

وصل المأمور وشرطيان إلى الميدناو بعد ساعة تقريبًا من وصولنا أنا وكارولين، بالإضافة إلى رجل يرتدي بذلة رسمية عرّف نفسه على أنه محامي المقاطعة.

فحصني الطبيب وقال إنني بخير بشكل عام، مع ارتفاع ضغط الدم قليلًا، ولكن نظرًا لما مررتُ به فهذا ليس مفاجئًا، وكان متأكدًا من أنه سيعود طبيعيًا بحلول الغد، فقال لي: "بنيتك العامة صحية كمراهق"، لقد صادف أن أكون مراهقًا يتمتّع ببنية صحية جيدة ويرى الموتى أيضًا، ولكنني لم أرغب بالخوض في ذلك.

66

جلستُ مع المأمور ومع محامي المقاطعة في غرفة استراحة الموظفين في انتظار والدتي، وبمجرد أن وصلت، بدأت الأسئلة تنهال. قضينا تلك الليلة في نُزل رينفيلد ستارديست، وفي الصباح التالي، استُكمِل طرح المزيد والمزيد من الأسئلة. أخبرتهما أمي أنّها كانت على علاقة مع إليزابيث داتون، وأنّ هذه العلاقة انتهت عندما اكتشفت أن ليز مُشترِكة في تجارة المخدرات، وأخبرتُهما أنا كيف استدرجتني بعد تدريب كرة المضرب، وأخذتني إلى رينفيلد حيث توقعت الحصول على كمية كبيرة من حبوب الأوكسي من منزل السيد مارسدن الذي أخبرها في النهاية أين يضع المخدرات ثم قتلته، إما لأنّها لم تجد الكمية التي كانت تتوقعها أو بسبب تلك الأشياء الأخرى التي وجدتها؛ الصور.

قالت الشرطية كارولين بينما كنتُ أعيدُ لها سترتها التي أرتديتُها طوال الوقت: "هناك شيء وحيد لم أستطع فهمه".

فرمقتَها والدتي بنظرة حذر واستعداد مطلق لحماية ابنها، لكنها لم ترها حيث كانت تنظر إليّ مباشرة، وتابعت: "لقد قامت بربط الشخص...".

"لقد قالت إنّها أمنت عليه، هذه هي العبارة التي استخدمتها، أعتقد أنها اعتادت عليها من عملها السابق في الشرطة".

"حسنًا، لقد أمنت عليه، وبحسب ما أخبرتَنا به - واعتمادًا على ما وجدناه أيضًا في الطابق الثاني - فلقد قامت بتعذيبه قليلًا، ولكن ليس لتلك الدرجة الرهيبة جدًا.

قالت والدتي: "هلّا تصلين إلى الفكرة الأساسية؟ لقد مر ابني بتجربة مرعبة حقًا وهو مرهق".

تجاهلتها الشرطية كارولين، بينما استمرت في النظر إليّ وعيناها تلمعان بشدة، وتابعت: "لقد كان بإمكانها أن تفعل أكثر من ذلك بكثير، تستطيع مثلًا أن تقوم بتعذيبه حتى تأخذ ما تريده منه، ولكن بدلًا من ذلك قررت أن تتركه هناك، وتقود كل المسافة عائدة باتجاه نيويورك لتخطفك ثم تحضرك إلى هنا مرة ثانية، لماذا فعلت ذلك؟".

"لا أعلم".

"لقد قضيتَ ساعتين معها في السيارة، ولكنها لم تقل أبدًا سبب خطفك؟".

"كل ما قالته إنّها سعيدة لرؤيتي مجددًا"، لم أكن أتذكر إذا قالت ذلك حقًا أو لا، لذلك خمنت، أي أنها كانت كذبة نوعًا ما، ولكنها لم تكن بثقل كذبة حقيقية. تذكرتُ تلك الليالي التي قضيتُها أجلس بينهما ونحن نشاهد التلفاز، وننفجر جميعنا ضاحكين بين اللحظة والأخرى، وبدأتُ بالبكاء مما جعلنا نتمكن من الخروج من هناك.

بمجرد أن وصلنا إلى النزل، وبعد أن أغلقت أمي الباب وتأكدت من إقفاله، قالت: "إذا سألوك مجددًا، قل لهم إنّها ربما كانت تخطط لأخذك معها عندما تتجه جنوبًا، هل يمكنك فعل ذلك؟".

قلتُ: "أجل". وتساءلتُ عما إذا كانت ليز قد فكرت بمثل هذه الفكرة حقًا؛ لم تكن فكرة جيدة تمامًا، ولكنها أفضل مما اعتقدتُه - ولا زلتُ أظن ذلك حتى اليوم - بأنها كانت تخطط لقتلي.

لم أنم في غرفتي، بل نمتُ على الكنبة في غرفة والدتي، وحلمتُ ذلك اليوم أنني أمشي وحيدًا في طريق ريفي تحت ضوء القمر هلالي الشكل، وكنتُ أقول لنفسي لا تُصفّر، لا تُصفّر، ولكنني لم أستطع السيطرة على نفسي وكنتُ أصفّر قائلًا: "تعال إليّ". أتذكر ذلك بوضوح ثم لم يمضِ وقت طويل حتى سمعتُ أصوات خطوات خلفي.

استيقظتُ وأنا أضع يدي على فمي مغلقًا إياه بقوة، كما لو أنني أكتمُ صرخة؛ لقد سبق لي أن استيقظت عدة مرات على هذا النحو في السنوات السابقة، وفي الحقيقة لستُ خائفًا من أن أصرخ، الشيء الحقيقي الذي يصيبني بالخوف هو أن أستيقظ وأنا أصفّر حيث سيلاقيني الضوء الميت فاتحًا يديه باتجاهي ومستعدًا لحضني والإمساك بي.

67

هناك الكثير من العيوب في كون الشخص ولدًا، ومن تلك العيوب على سبيل المثال البثور الجلدية، ومعاناة اختيار الملابس اليومية بحيث تكون ملائمة تمامًا كيلا تتعرض للتنمر وتصبح مهرج الصف، بالإضافة إلى الغموض الكبير المحيط بعالم الفتيات بالنسبة إليك. ولكن بعد رحلتي إلى منزل السيد دونالد مارسدن - لأكون دقيقًا تمامًا، اختطافي - اكتشفتُ أن هناك بعض الإيجابيات أيضًا، إحداها أنك غير مضطر للوقوف خلال مشاحنات التحقيقات والكاميرات والتقارير والإدلاء بشهادتك، لأنك لستَ مضطرًا لتشهد شخصيًا.

لقد أدليت بشهادتي من خلال تسجيل مقاطع فيديو بدلًا من ذلك، وهذا ما قاله المحامي مونتي غريشام من جهة وأمي من الجهة الأخرى. كانت الصحافة تعلم من أنا، ولكن اسمي لم يظهر في الإعلام أبدًا، لأنني كنتُ أتمتع بتلك الصفة السحرية؛ كنتُ قاصرًا.

اكتشف الأولاد في المدرسة ذلك - دائمًا يكتشف الأولاد في المدرسة كل شيء - ولكن أحدًا منهم لم يستهزئ بي، بل بدلًا من ذلك احترموني أكثر، ولم يكن عليّ أن أتعلم كيف أتحدث إلى الفتيات لأنهن جئن إليّ، ووقفن حول خزانتي، وتحدثن مختلف الأحاديث معي، وأفضل شيء على الإطلاق أن الشرطة لم تطلب أي شيء متعلق بهاتفي - والذي كان هاتف ليز في الحقيقة - والذي لم يعد موجودًا بعد الآن حيث رمته والدتي في المحرقة، وطلبت مني أن أقول إنني أضعتُه إذا سألني شخص ما عنه، ولكن لم يسأل أحد. أما بالنسبة إلى سبب قرار ليز بإحضاري معها، فقد توصلت الشرطة إلى الفكرة نفسها التي اقترحتها والدتي: أرادت ليز ولدًا معها عندما تذهب إلى الغرب لأن امرأة تسافر إلى الغرب مع ولد سيكون أقل إثارة للشبهات، ولم يفكر أي شخص في احتمال أن أحاول الهرب أو على الأقل أن أصرخ طلبًا للمساعدة عندما نتوقف لنملأ وقود السيارة في ولاية بنسلفانيا أو إنديانا أو مونتانا، بالتأكيد لن أفعل ذلك حيث سأكون مجرد ضحية سهلة الانقياد لأنني ولد.

أدت الصحافة دورًا كبيرًا خلال أسبوع، خاصة الصحف الشعبية، ويعود ذلك بشكل جزئي لكون مارسدن زعيم تجارة المخدرات، ولكن السبب الأساسي هو تلك الصور الموجودة في غرفة الهلع. وتحولت ليز إلى بطلة نسبيًا، وهو أمر غريب، ولكنه حقيقي. تصدرت عناوين مثل شرطية سابقة تموت بعد أن تقتل وحش التعذيب الإباحي أغلفة الصحف اليومية. لم يُذكر أنها فقدت وظيفتها بسبب تحقيقات لجنة مكافحة المخدرات وبسبب اختبار مخدرات إيجابي النتيجة، بل ذكر أنها كانت عنصرًا أساسيًا في اكتشاف مكان قنبلة ثامبر الأخيرة قبل أن تقتل عددًا كبيرًا من الناس.

أعتقد أن صحيفة البوست لديها مراسل ما داخل منزل مارسدن - تقول أمي: "الصراصير تستطيع الدخول إلى كل مكان" - أو ربما استطاعوا الحصول على الصور من مكان مقاطعة رينفيلد، لأن العناوين الأساسية كانت كلها على هذا الشكل: من داخل منزل دوني الضخم المرعب، وضحكت أمي حقًا بسبب وجود خطأ في الصياغة اللغوية للعبارة.

68

لم يمضِ وقت طويل حتى تصدرت عناوين أخبار أخرى الصفحات الأولى من الصحف دافعة البيت المرعب لدوني الضخم بعيدًا عن الساحة. وتلاشت شهرتي في المدرسة تدريجيًا، كان الأمر كما قالت ليز عندما تحدثت عن تشيت أتكينز، ينسى الناس بسرعة حقًا. مجددًا، وجدتُ نفسي أمام مشكلة التحدث إلى الفتيات بدلًا من انتظارهن ليأتين باتجاه خزانتي وهنّ يضعن الماسكارا وملمع الشفاه. استمررت بلعب كرة المضرب، وحاولتُ أن أشترك في مسرحية الصف حيث انتهى بي الأمر بقول جملتين فقط، ولكنني تمرنتُ عليهما وأديتهما من كل قلبي، كما لعبتُ ألعاب الفيديو مع أصدقائي، وأخذتُ ماري لو شتيان إلى عدة أفلام حيث قبلتُها وقبلتني بدورها، وكان الأمر مثاليًا.

لنسرّعِ المونتاج قليلًا، سنقلّب في صفحات التقويم تباعًا، انتهت سنة 2016 ثم بعدها سنة 2017، وكنت أحلمُ أحيانًا بذلك الطريق الريفي وأستيقظ واضعًا يدي على فمي أفكر إذا صفّرتُ مرارًا وتكرارًا، ولكن تلك الأحلام أصبحت تراودني بوتيرة أقل. رأيت أمواتًا عدة مرات، ولكن لم ألتقِ بهم كثيرًا، ولم يكونوا مخيفين جدًا. سألتني والدتي إنّ كنتُ لا أزال أراهم وأجبتها بأنني نادرًا جدًا ما أراهم، لأنني أعلم أن ذلك سيجعلها أفضل، وكان هذا شيئًا أريده حقًا لأنها مرت بوقت عصيب أيضًا وكنتُ أعلم ذلك.

قالت: "ربما تتركها بعيدًا خلفك بينما تكبر".

وافقتها قائلًا: "ربما كذلك".

وهنا تصل بنا الأحداث إلى سنة 2018، مع البطل جيمي كونكلين الذي بلغ طوله أكثر من ست أقدام، وأصبح قادرًا على إنماء لحية - تكن لها والدتي مشاعر كره رهيبة - وقُبل في جامعة برينكتون، وأصبح تقريبًا كبيرًا بما يكفي ليصوّت؛ سأكون كبيرًا بما يكفي لأصوت في الانتخابات التي ستحصل بحلول شهر تشرين الأول.

كنتُ في غرفتي محاطًا بالكتب، أدرس للاختبارات النهائية عندما رن هاتفي، كانت أمي تتصل من المقعد الخلفي بأوبر مرة أخرى، ولكن هذه المرة متوجهة إلى تينافلاي حيث يقيم الخال هاري الآن.

قالت: "لقد تفاقم الالتهاب الرئوي مرة أخرى، ولا أظن أنه سيتحسن هذه المرة يا جيمي، لقد طلبوا مني المجيء، وهم لا يقومون بهذا عادة ما لم يكن الأمر جديًا جدًا"، سكتت قليلًا ثم قالت: "مميت".

"سأكون هناك بأسرع ما يمكنني".

"لستَ مضطرًا لفعل ذلك"، كانت ضمنيًا تقصد أنني لا أعرفه أبدًا على أي حال، على الأقل ليس خلال تلك السنين التي كان فيها فتىً ذكيًا يحاول أن يبني مسيرته المهنية، وتعمل أخته في عالم النشر القاسي في نيويورك، والذي كان عالمًا قاسيًا حقًا، وأستطيع أن أعلم أنه قاسٍ بعد أن أصبحتُ أعمل في المكتب أيضًا، لعدة ساعات فقط في الأسبوع، حيث أحفظ الملفات في الأضابير. في الحقيقة، صحيح أنني لا أملك سوى ذكريات ضبابية عن ذلك الفتى الذكي الذي كان يجب أن يبقى ذكيًا لفترة أطول، ولكنني لم أكن ذاهبًا إلى هناك لأجله.

"سأستقل الحافلة"، وهو ما أستطيع فعله بكل سهولة، فلقد كنا نذهب بالحافلة دائمًا إلى نيوجيرسي في تلك الأيام التي كانت شركات الأوبر والليفت بعيدة جدًا عن ميزانيتنا.

"..ماذا عن امتحاناتك؟... يجب أن تدرس للامتحان...".

"الكتب شيء سحري صغير قابل للحمل يا أمي، أستطيع الدرس في مكان ما، سأجلب كتبي معي. أراك هناك".

قالت: "ربما نضطر لقضاء الليلة هناك، هل أنت متأكد من أنك تريد المجيء؟".

أجبتُها بأنني متأكد.

لا أعلم أين كنتُ تمامًا عندما توفي الخال هاري، ربما في نيوجرسي أو ربما كنتُ لا أزال في هودسن، وربما على ذلك الطريق حيث كنتُ قادرًا على رؤية ملعب اليانكي عبر نافذة الحافلة، كل ما أعلمه أن أمي كانت تنتظرني هناك خارج دار الرعاية - آخر دار رعاية ذهب إليها - تجلس على مقعد في ظل شجرة، وقد جفت دموعها، وتدخن سيجارة وهو أمر لم أرَها تفعله منذ مدة

طويلة، احتضنتني حضنًا مليئًا بالمشاعر، واحتضنتها بدوري. كنتُ أستطيع شم رائحة عطرها؛ تلك الرائحة الطيبة القديمة من عطر لا في إيه بيل والتي تعيدني دائمًا إلى طفولتي، إلى ذلك الطفل الصغير الذي كان يحمل ديكه الرومي الأخضر بيده، لم يكن عليّ أن اسأل أي شيء لأعلم شعورها.

قالت: "لقد توفي قبل عشر دقائق من وصولي إلى هنا".

"هل أنتِ بخير؟".

"أجل، أشعر بالحزن بالطبع، ولكنني ارتحتُ أخيرًا لأن هذه المعاناة انتهت، لقد عاش أكثر من معظم الناس الذين يعانون مما يعانيه. هل تعلم بماذا كنتُ أفكر خلال جلوسي هنا؟ كنتُ أفكر بلعبة ثلاث رميات قصيرة وست كرات أرضية، هل تعرفها؟".

"أجل، أعتقد ذلك".

"لم يرد الأولاد الآخرون أن يشركوني باللعبة لأنني كنتُ فتاة، وحينها أخبرهم هاري بأنه إذا لم يسمحوا لي باللعب فلن يلعب هو أيضًا، وبحكم أنه كان معروفًا، بل الأكثر شهرة بينهم، فأصبحتُ - كما قالوا حينها – الفتاة الوحيدة في هذه اللعبة".

"هل كنتِ جيدة فيها؟".

قالت ضاحكة: "كلا، كنتُ سيئة جدًا"، ثم مسحت دمعة من إحدى عينيها.

بكت، وفي النهاية قالت: "اسمع، عليّ أن أتكلم مع السيدة آكرمان - إنها السيدة المسؤولة هنا - ويجب أن أوقع بعض الأوراق، ثم يجب أن أذهب إلى غرفته، وأرى إذا كان هناك أي أشياء يجب عليّ أخذها معي مباشرة، لا أظن أن هناك شيئًا".

شعرتُ بالقلق فسألتها: "ألا يزال...؟".

"كلا يا عزيزي، هناك بيوت دفن هنا، سأقوم ببعض الإجراءات المتعلقة بجلبه إلى نيويورك غدًا، بالإضافة إلى بعض... تعلم تلك الإجراءات الأخيرة"، ثم سكتت قليلًا وقالت: "جيمي؟".

نظرتُ إليها.

"أنت لا... لا تراه، هل تراه؟".

ابتسمتُ: "كلا، يا مامي".

أمسكت بذقني قائلة: "كم مرة قلتُ لك ألّا تناديني بذلك؟ من يقول مامي حتى الآن؟".

قلتُ: "صغير الخاروف، أجل، أجل، أجل".

جعلها هذا تضحك ثم قالت: "انتظرني يا عزيزي، فلن يستغرق الأمر وقتًا طويلًا".

دخلت، ونظرتُ حينها إلى الخال هاري الذي كان يقف على بعد عشر أقدام تقريبًا بعيدًا عنا، حيث كان هنا طوال الوقت مرتديًا لباس النوم الذي كان يرتديه عندما توفي.

قلتُ: "مرحبًا أيها الخال هاري".

كان ينظر إليّ ولم يظهر أي رد فعل.

"هل ما زلتَ تعاني من الزهايمر؟".

"كلا".

"إذًا، هل أنت بخير الآن؟".

نظر إليّ بقليل من الوميض الفكاهي قائلًا: "أفترض أنني كذلك، إذا كان الموت يلائم تعريفك لفكرة كون الشخص بخير".

"سنفتقدكُ أيها الخال هاري".

لم يعطني أي جواب، ولم أكن أتوقع ذلك لأن ذلك لم يكن سؤالًا. كان لديّ سؤال أريد طرحه على الرغم من ذلك، وأظن أنه لا يعلم إجابته، ولكن هناك مقولة مفادها: أنك لن تعرف الإجابة مطلقًا ما لم تسأل.

"هل تعلم من هو والدي؟".

"أجل".

"من؟ من هو؟".

"أنا".

69

إنني على وشك الانتهاء الآن - وأتذكر ذلك الوقت الذي ظننتُ فيه أن الثلاثين صفحة تعتبر رقمًا كبيرًا - ولكن لم أنتهِ تمامًا، لذلك تأكدوا من قراءة التالي:

توفي جداي - وهما الزوج الوحيد من الأجداد الذي أمتلكه كما تبيّن لي في وقت لاحق – وهما في طريقهما للاحتفال بعيد الميلاد، حيث دهسهما شخص أفرط في شرب الكحول خلال الاحتفال بينما كان يسرع كثيرًا عبر منعطفات الشوارع، وقد بقي ذلك المخمور على قيد الحياة، مثل أغلب المخمورين. كان خالي - ووالدي أيضًا، كما تبيّن - في نيويورك عندما سمع هذه الأخبار، يقوم بالجولات على احتفالات عيد الميلاد يتحدث عن الكُتاب والناشرين والمحررين، حيث كانت وكالتُه جديدة في ذلك الوقت، وكان الخال هاري - والدي العزيز - مثل رجل في عمق الغابة يمسك بحزمة صغيرة من الأغصان المشتعلة ويأمل أن يشعل النار للمخيم.

عاد إلى منزله في أركولا - وهي بلدة صغيرة في إلينوي - لحضور الجنازة، وبعد أن انتهت الجنازة كان هناك جنّاز في منزل المتوفيَين، وبما أن ليستر ونورما كانا محبوبَين للغاية، جاء كثير من الناس وأحضر بعضهم الطعام، وأحضر بعضهم الآخر الكحول الذي كان بمثابة الأب الروحي للكثير من المفاجآت في تلك الليلة. تي كونكلين التي كانت حديثة التخرج من الكلية، وتعمل في أول وظيفة لها في شركة محاسبة، شربت كمية ليست بقليلة من الكحول، وكذلك فعل شقيقها؛ أوه أوه، هذا ليس جيدًا، أليس كذلك؟

بعد أن غادر المعزّون المنزل، ذهب هاري إليها حيث وجدها في غرفتها مستلقية على سريرها تبكي بشدة، استلقى إلى جانبها واحتضنها لا لشيء سوى لبعث مشاعر الراحة في نفسها، ذلك أمر طبيعي ومفهوم، ولكنه نوع من الراحة الذي يقود لغيره وهكذا.

حدث ذلك مرة واحدة، ولكن مرة واحدة كافية؛ بعد ستة أسابيع وفي وقت لاحق، تلقى هاري - الذي كان قد عاد إلى نيويورك - مكالمة مهمة، وبعد فترة قصيرة انضمت والدتي الحامل

إلى الشركة.

هل كانت وكالة كونكلين الأدبية لتنجح في هذا المجال القاسي والمُنافِس بشدة لولاها؟ وهل انطفأت تلك النار الصغيرة المنبعثة من أغصان خالي/ والدي وتحولت إلى مجرد دخان أبيض قبل أن يتمكن من إضافة قطعة الحطب الكبيرة الأولى؟ من الصعب معرفة ذلك، وأخيرًا، عندما حدث الأمر كنتُ مستلقيًا في سرير الرضيع خاصتي أتبول في حفاضتي وأبكي، ولكن الشيء الذي أعلمه بصدق أنها كانت جيدة في عملها، لأنها لو لم تكنْ كذلك لكانت الوكالة قد سقطت في وقت لاحق عندما هبطت السوق المالية.

دعوني أخبركم شيئًا، هناك الكثير من الأساطير التي تنطوي على هراء فقط حول الأطفال الذين ولدوا نتيجة سفاح القربى، خاصة عندما يتعلق الموضوع بالآباء وبناتهم، أو بالأخوات والإخوان. حسنًا، أجل، هناك ما يدعى بالمشاكل الخَلقية، وأجل، احتمال هذه المشاكل يكون أكبر في هذه الحالة، ولكن الفكرة القائلة إنّ أغلبية هؤلاء الأطفال يولدون بلا دماغ، أو بعين واحدة، أو مصابين بالقدم الحنفاء، فهي عبارة عن هراء مطلق؛ لقد وجدتُ أن أكثر العيوب شيوعًا نتيجة لهذه العلاقات هو التصاق أصابع القدمين أو اليدين.

لديّ ندبة على الجهة الداخلية لإصبعي الثانية والثالثة في يدي اليسرى، نتيجة لإجراء عملية جراحية بهدف فصلهما عن بعضهما عندما كنتُ رضيعًا، وعندما سألتُ والدتي عن هذه الندبة للمرة الأولى - لم أكن قد تجاوزتُ الرابعة أو الخامسة من عمري بعد - أخبرتني أن الطبيب قد أجراها لي قبل أن نعود إلى المنزل من المستشفى.

قالت: "كان الأمر سهلًا كشرب الماء".

بالتأكيد هناك ذلك الشيء الآخر الذي ولدتُ وأنا أمتلكه، الذي ربما يكون لديه علاقة بحقيقة أنه في إحدى الليالي وتحت تأثير الكحول اقترب والديّ من بعضهما أكثر مما يفترض بالأخ والأخت أن يقتربا، أو قد لا يكون هناك أي صلة بين رؤيتي للموتى وبين ذلك. قد يولد مغنٍ عظيم لشخص ذي صوت سيئ جدًا، وقد يحظى الأميّ بابن يملك موهبة الكتابة، أحيانًا لا يكون هناك مكان محدد تأتي منه القدرة، الأمر هكذا على ما يبدو.

انتظروا لحظة، ما عدا إذا كانت أحداث قصتهما هذه مجرد تخيلات من عندي.

أنا لا علم حقًا كيف أصبحت تي وهاري الوالدين لرضيع صغير يدعى جيمز لي كونكلين لأنني لم أسأل الخال هاري أبدًا عن أية تفاصيل على الرغم من أنه كان ليخبرني - لا يمكن للموتى أن يكذبوا، أظن أننا وضّحنا هذا جيدًا - ولكنني لم أرغب بمعرفة ذلك. بعد أن قال تلك الكلمة - أنا - أدرتُ ظهري بعيدًا، ودخلتُ إلى دار الرعاية لأجد أمي، ولم يتبعني، ولم أرَه مجددًا، ظننتُ أنه سيأتي إلى جنازته، أو سيظهر في مراسم الدفن، ولكنه لم يظهر أبدًا.

في طريق عودتنا إلى المنزل - في الحافلة مثل تلك الأيام الخوالي - سألتني أمي عما إذا كنتُ أعاني من أية مشكلة، فأخبرتُها أنني بخير، وأنني فقط أحاول التأقلم مع فكرة رحيل الخال هاري، وقلتُ: "إن الأمر أشبه بخسارة واحدة من أسناني اللبنية، حيث تترك حفرة وراءها وأشعر بها دائمًا".

قالت وهي تحتضنني: "أعلم ذلك، أشعر بالطريقة نفسها، ولكنني لستُ حزينة، لم أكن أتوقع أن أكون حزينة حقًا، وذلك لأننا فقدناه بالفعل منذ سنوات طويلة".

لقد كان حضنها هذا جيدًا للغاية؛ لقد أحببتُ أمي كثيرًا، وما زلتُ أحبها، ولكنني كذبتُ عليها في ذلك اليوم وليس عن طريق الخطأ.

لم يكن الأمر كفقدان إحدى أسناني، بل ما اكتشفتُه كان أشبه بنمو سن جديدة، سنٍّ ليس لها مكان في فمي.

هناك عدة أشياء تجعل القصة التي أخبرتكم إياها هي القصة الأكثر احتمالًا، حيث إن نورما وليستر كونكلين دهسهما سائق ثمل وهما في طريقهما للاحتفال بعيد الميلاد، وهاري أتى المدينة من أجل الجنازة، وجدتُ مقالًا في أركولا ريكورد هيرالد ذكر فيه أن هاري هو الشخص الذي قام بتأبينهما. وفي مطلع العام التالي، استقالت تي كونكلين من عملها وتوجهت إلى نيويورك حيث عملت في وكالة أخيها الأدبية الجديدة، وظهر جميز لي كونكلين في هذا العالم للمرة الأولى بعد تسعة أشهر تقريبًا على الجنازة.

إذًا، أجل، أجل، وصحيح، صحيح جدًا أنه احتمال عالٍ جدًا أن يكون تتالي أحداث تلك الليلة بالطريقة التي قلتُها، فهي طريقة منطقية لدرجة كبيرة.

لكن هناك احتمالًا أن تكون قد حصلت بطريقة أخرى - والتي لن أرغب حقًا بحصولها - اغتصاب فتاة شابة في حالة سُكر فاقدة للوعي من قبل أخيها الأكبر الشيطان، والسبب الحقيقي

لكوني لم اسأل عن حقيقة ما جرى هو أنني وبكل بساطة لا أريد أن أعلم.

هل أفكر إن كان خيار الإجهاض خيارهما؟ أجل، أحيانًا. هل أنا قلق من حقيقة أنني ورثتُ من والدي أكثر من مجرد تلك الغمازات التي تظهر عندما ابتسم، أو من حقيقة أن هناك أولى الخصل الصغيرة جدًا من الشعر الأبيض في شعري الأسود في عمر الثانية والعشرين؟ ولأقول هذا بشكل مباشر، هل أنا قلق أنني ربما أفقد ذاكرتي في عمر الشباب أي في عمر الثلاثين أو الخامسة والثلاثين، أو الأربعين؟ أجل.

بالتأكيد أنا قلق من كل هذا، فبحسب المعلومات التي حصلتُ عليها من صفحات الإنترنت فإن والدي/ خالي كان يعاني من مرض الزهايمر العائلي المبكر، وهذا المرض مرتبط بالجينتين PSEN1 وPSEN2، وبالتالي، هناك اختبار يمكن إجراؤه لمعرفة احتمال الإصابة: كل ما عليك فعله هو البصق في أنبوب اختبار وانتظار النتيجة. أعتقد أنني سأقوم به... في وقت لاحق.

سأخبركم بشيء مضحك؛ عندما أعود وأنظر إلى تلك الصفحات، أستطيع أن أرى أن أسلوب كتابتي قد تحسن بالمقارنة مع الصفحات الأولى؛ أنا لا أقول إنني أصبحتُ عبقري كتابة أو أن أسلوبي أصبح مشابهًا لفوكنر أو أبدايك، بل ما أقصده هو أنني تحسنت من خلال فعلي للشيء، وأفترض أن هذا المبدأ فعّال بالنسبة إلى معظم أمور الحياة. عليّ فقط أن أتحلى بالأمل بأنني سأكون شخصًا أقوى عندما أواجه ذلك الشيء الذي يسكن ثيريولت مرة أخرى، لأنني سأواجهه يومًا ما بالتأكيد. لم ألمحه منذ تلك الليلة التي رأيته فيها في منزل مارسدن عندما جُنت ليز في اللحظة التي رأت فيها شيئًا ما أيًا يكن في المرآة، ولكنه لا يزال ينتظرني، فأنا أشعر بذلك، بل متيقن من ذلك في الحقيقة، ولكنني لا أعلم تمامًا ما سيحصل.

لا يهمني ذلك، فلن أعيش حياتي متسائلًا عما إذا كنتُ سأفقد ذاكرتي في منتصف عمري، ولن أعيش وأنا أتخيل ظل ذلك الشيء حولي دائمًا، فلقد مررتُ بما يكفي لعدة سنوات. تبدو حقيقة أنني نتيجة سفاح قربى مضحكة وبلا أهمية حقًا عندما تُقارنها بثيريولت داكن السواد والضوء الساطع من شقوقه.

لقد قرأتُ الكثير من الكتب في السنوات التي تلت ذلك اليوم الذي طلب مني فيه أن نُعيد إجراء طقوس تشود، وصادفتُ خلال قراءتي الكثير من الخرافات والأساطير الغريبة؛ أشياء لم تصل أبدًا إلى كتب مثل كتاب توماس روينوك أو دراكولا. وعلى الرغم من وجود الكثير من الأمور المتعلقة باستحواذ الشياطين على الأحياء، فلم أجد حتى الآن كتابًا واحدًا يتحدث عن

مخلوق قادر على الاستحواذ على الموتى، وأقرب ما حصلت عليه هي قصص عن الأشباح الحاقدة، وفي الحقيقة الأمر ليس مشابهًا لذلك على الإطلاق، لذلك، أنا لا أملك أي فكرة عما أتعامل معه، وكل ما أعرفه هو أنني يجب أن أتعامل معه... سأصفّر من أجله، وسيأتي حيث سنعصر بعضنا بعضًا في عناق طويل بدلًا من الطقوس المتعلقة بتبادل الكلمات، وبعد ذلك...

حسنًا، بعد ذلك سنرى ما سيحدث، أليس كذلك؟

أجل، سوف نرى... في وقت لاحق.

Notes

[1←]
بسكويت الأماني نوع من البسكويت توضع فيه ورقة كتبت عليه أمنية أو عبارة مأثورة. (المترجم)

[2←]
برنامج تلفازي بريطاني عن الخيال العلمي. (المترجم).

[3←]
مسلسل تلفازي درامي أميركي عن الجريمة كتبه وقدّمه مراسل الشرطة السابق ديفيد سيمون. (المترجم)

[4←]
مسلسل تلفازي أميركي عن الخيال العلمي (المترجم).

[5←]
فريق نيويورك ميتس هو فريق بيسبول أميركي محترف يقع مقره في كوينز بمدينة نيويورك، إنّه ينافس في دوري البيسبول الرئيسي، إنّه من أندية الدوري الرئيسية في مدينة نيويورك. (المترجم)

[6←]
ديترويت تايغر هو فريق بيسبول أميركي محترف مقره في ديترويت. ينافس التايغر في دوري البيسبول الرئيسي. تم تأسيس النادي في ديترويت في العام 1894 وهو واحد من امتيازات الاتحاد الثماني المستأجرة، وهو الفريق الوحيد الذي لا يزال في مدينته الأصلية. وهو أيضًا أقدم فريق حافظ على اسمه. (المترجم).

[7←]
السكان الأصليون لنيوزيلاندا. (المترجم)

[8←]
شذوذ في الحركة والسلوك ناجم عن حالة عقلية مضطربة؛ عادة انفصام الشخصية.